

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن بلة وهران 1

معهد الترجمة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة

موسومة بـ:

الترجمة و نظرية أنواع النصوص

إشراف:

أد. فرقاني جازية

إعداد الطالبة:

بن طيب نصيرة

لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة وهران 1	أد. بلحيا الطاهر
مشرفاً مقراً	جامعة وهران 1	أد. جازية فرقاني
عضواً مناقشا	جامعة وهران 1	أد. عباد أحمد
عضواً مناقشا	جامعة الجيلالي اليابس بلعباس	أد. بودالي التاج
عضواً مناقشا	جامعة الجزائر 2	أد. محمصاجي مختار
عضواً مناقشا	جامعة وهران 2	أد. حسين صديقي

السنة الجامعية 2015/2016

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى والدي العزيزين..

إلى زوجي وأولادي..

إلى إخوتي وأخواتي..

إلى كل الأصدقاء والصديقات..

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة فراقني جازية على تشجيعاتها ونصائحها

وعلى جميع ما أفادتني به، وقد استفدت منها الكثير، وتعلمت الأكثر.

فهي لم تبخل عليّ بشيء قط، وقد أثبتت لي طيبة قلبها وإنسانيتها وكانت لي سنداً في كل صغيرة

وكبيرة، أشكرك سيدتي الكريمة على كل ما جاءني من طرفك من مساعدة جمّة، فنعم العون

ونعم الأستاذة المشرفة، والأخت الوفية.

وإلى زملائي وزميلاتي في معهد الترجمة، وإلى أصدقائي وصديقاتي، وكل من يستحق تشكراتي

العطرة، وأخص الذين أرشدوني إلى المراجع المفيدة وجادوا عليّ بآرائهم السديدة.

مقدمة

تعد الترجمة من أقدم أنواع النشاط الإنساني؛ فهي ظاهرة ملازمة لتاريخ الإنسان من أقدم العصور، فقد ظهرت بظهور الحاجة إلى وسيلة للتفاهم بين شعوب العالم لاختلاف أداة التواصل بينهم. إذ إن تعدد الشعوب، واختلاف اللغات جعلها الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل المصاحب لكافة أنواع التبادل والصلات بين البشر، وما يتولد عن هذه الصلات من اختلاط ناتج عن التجارة والحروب، والاتصال الثقافي والحضاري.

فالترجمة إذن هي المحرك الثقافي إذ تقدم الأرضية المناسبة التي يمكن للمبدع والباحث والعالم أن يقف عليها ومن ثم ينطلق إلى عوالم جديدة ويبدع فيها ويبتكر ويخترع. هذه الأرضية تصنعها الترجمة بما توفره من معارف الشعوب الأخرى التي حققت تراكمًا عبر التاريخ يمكنها من دفع النخبة الفكرية من النقطة التي بلغتها الثقافة البشرية، وكذلك بما تقدمه من نماذج وأساليب تمكنت الشعوب السابقة من إيجادها عبر كفاحها المتواصل والمستمر لتحسين العقل البشري وتطوير المعرفة لدى الإنسان.

الترجمة تجسر الهوة القائمة بين الشعوب. ذلك أن الإنسان في سعيه الحثيث والدائب لاكتساب المعرفة يتطلع دائماً إلى من سبقه في هذا الميدان، لهذا تغدو المراكز الحضارية في العالم مراكز نور وإشعاع تجذب الآخر نحوها وتغريه بالاندفاع إليها، كما تلعب دوراً مهماً في إغناء اللغة وتطويرها، ذلك أن الميادين الجديدة التي تخوضها الترجمة تقتضي منها أن تبحث عن صيغ جديدة وتعابير مناسبة وكلمات ملائمة، وهذا كله إغناء للغة وتطوير لها.

لقد انطلقنا في هذه الأطروحة من مبدأ حرصنا الشديد على وضع الأسس الرئيسة لمشروع تطبيق النظريات اللسانية وما تمحضت عنه من رؤى في مجال الترجمة، ليُقتفى أثر

أصحاب الخطوات الأولى في هذا العلم وتُتبع بصماتهم تلك ببصمات أخرى، مع مزيد استفادة من القديم والوافد الغربيّ الدّخيل على حدّ السواء.

فالترجمة على امتداد التاريخ كانت ركيزة من ركائز الحضارة وأساساً من أسس النهضة وقيامها في أي مجتمع بشري. فمع النهضة يزداد النشاط الترجمي ويزدهر. فللترجمة العديد من الأهداف والدوافع: منها ما هو سياسي، أو ديني، أو ثقافي، أو اجتماعي، أو علمي وغبرها من الأهداف التي تمثل أنواع نصوص مختلفة ومتباينة من حيث البنية و الوسيلة.

إشكالية البحث:

الترجمة كباقي الميادين المعرفيّة خضعت لقاعدة التقليد نفسها المذكورة سابقا، حتى أنك عندما تطالع كتب بعض المفكرين العرب، تجد أن طابع كتاباتهم ذات صبغة أجنبية فحديثهم عن الترجمة لا يخلو مما يشبه ما جاء به الباحثون الغرب ولا نرجع هذا لكون أنهم تناسوا أن لهم في تراثهم ما يؤسس لهم علم الترجمة إن رغبوا في النّهل منه، أو غفلوا عن خصوصية التراث العربي الذي يختلف عن نظيره الغربي، بل سعيا إلى النهوض من الخمول الذي دام طويلا وفرض هوية التي حاربها المستعمر على مر السنين ولا يزال الأمر قائما فيما نشهده من حروب وفتن.

إن إشكالية البحث تعمق لاستخلاصنا أن الترجمة لا تتأتى بالممارسة أو بفضل التدريب أو بعض الوصايا التي يكتسبها المترجمون عبر الزمن، بل دخل هذا المجال حقل الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية فهي لم تخرج عن دائرة اللسانيات ولا تزال تستغل

أغلب النظريات التي أتى بها هذا الحقل الأخير، وسنحت لنا الظروف، أن نطلع على محاولات بعض نظريات الباحثين الغرب لمعرفة طرائق النقل وآلياته وكذا تقنيات التي تساعد المترجم على تدليل أغلب الصعوبات في عملية الترجمة من خلال استغلال نظرية تصنيف النصوص لكاتارينا رايس كون أن الترجمة هي عملية نقل نصية. لذلك ارتأينا أن نجدد في عملية البحث، وذلك بأن نغوص أكثر في الموضوع، ومن الغايات المرجو بلوغها:

- التعريف بنظرية أنواع النصوص وعلاقتها بالترجمة.
- الكشف عن خصائص هذه النظرية في الترجمة.
- توضيح أهمية نظرية أنواع النصوص و دورها في اكتساب المهارات الترجمة.
- التحليل اللغوي للنصوص بوصفه محطة أولى تليها محطات أخرى متسقة و منسجمة تعمل مجتمعة على تحقيق العلاقة التواصلية لمختلف أنواع النصوص.
- الوقوف على أنواع النصوص ومن ثم أنواع المقاربات الترجمة التي تعمل على التقليل من الهوة الفاصلة بين نص المصدر ونص الوصول .

ميدان البحث وطبيعته:

مجال بحثنا هو السعي إلى الكشف عن إسهامات نظرية أنواع النصوص في الترجمة، وهو المجال الذي يتعلق من جهة بموضوع النص وبجانبه التواصل الوظيفي وبآليات النقل الترجمة. وهو مجال حيوي يساعد على إدراك عيوب الترجمة وتقويم اعوجاجها من جهة، ولأنه جدير بأن يرفع بمستوى المترجم الادراكي لآليات النقل ومعرفة خصائص النصوص وكيفية

التعامل معها من جهة أخرى. ولقد اخترناه هيكلا أساسيًا في بحثنا منه ننطلق وإليه نعود، لأنه لا يمكن الحصول على حلول لمشاكل النقل الترجمي لنصوص ذات انتماء متباين بدون تطبيق الجانب النظري واستغلال مستجدات البحث في مجال الترجمة.

ذلك أنّ ممارس الترجمة لا يستطيع فهم ما يحدث في عملية النقل ما لم يستطيع الربط بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، بل يجب عليه أن يكون ملما بنظريات الترجمة وما وصلت إليه، فهو ينقل ما يراه مناسباً ودقيقاً لمتلقيه ويتفادى ما لا يخدم الرسالة التي تتطلب الأمانة والصدق في تحويلها من ضفة إلى ضفة أخرى.

جوهر بحثنا هو السعي إلى ربط الجانب التنظيري بالممارسة الترجمية ودراسة أهمية نظرية تصنيف النصوص و دورها في الترجمة بصفة عامة والنصوص النفعية على وجه الخصوص والسعي إلى تعميم تطبيقه على مختلف أنواع النصوص التي تتطلب من المترجم كفاءة في التخصص إلى جانب الكفاءات الأخرى التي تحدث عنها الجاحظ و عددها في القرن الرابع للهجرة.

منهج البحث:

اخترنا تبعاً لطبيعة الموضوع الذي نكتب فيه، وكذا للخطة التي رسمناها له، أن يكون منهج بحثنا في الأساس موافقاً لمبادئ وخصائص المنهج الوصفي التحليلي. فخصوصية هذا المنهج العلمي تفتح لنا مجال القيام بعملية مسح للظاهرة المراد تسليط الضوء عليها. وعليه سوف نحري وصفاً لنظرية أنواع النصوص المترجمة، عبر استعراض المناهج والمبادئ العامة والآليات الإجرائية لها.

أمّا فيما يخصّ المعلومات من الكتب الأجنبية، فنريد أن ننوه إلى أن الاستشهادات التي اقبسناها من مؤلفات باحثين ومنظرين غربيين، قد أوردناها في متن البحث اعتماداً على ترجمتنا الخاصة، وهي ترجمات لا تعدو كونها تعريفاً يبيّن المراد من النصّ فقط حتى يستوي كلامنا في البحث بكلام المنقول عنه. أما إذا كانت الترجمة من إنجاز باحث آخر، فقد أشرنا إلى صاحبها في مكانه، من باب الأمانة العلمية.

صعوبات البحث:

من نافلة القول إنّ البحث لا يخلو من صعوبات، ولكن كلها تهون في سبيل الوصول إلى ما يثلج الصدر على رأي ابن خلدون، إلا واحدة تتعلق بمكتبة البحث تتمثل في عدم توفر المراجع بالقدر الكافي. تطبيق هذه النظرية على المجالات المعرفية المختلفة ليس بالأمر الهين خاصة عندما يصعب وضع حدود فاصلة بين مختلف أنواع النصوص التي تتماس فيما بينها.

خطة البحث:

سعيًا لتحقيق غايات البحث، وحرصًا على استيعاب هذا الموضوع الشائك و المتشعب، قسمناه إلى أربعة فصول فضلًا عن مقدمة و خاتمة:

— في الفصل الأول المعنون ب: **تطور الدراسات اللسانية والترجمة** والذي يمكن اعتباره توطئة، نعرض بعضًا مما شهدته التطورات الخاصة بالدراسات اللسانية وكذلك التعريفات المختلفة للترجمة، والتي تشكّل في مجملها مقاربات لحصر مفهوم هذا النشاط المعرفي، فليس الغرض تقديم جرد مفصّل بعمومها، وإنما الوصول إلى الإلمام بالفكرة من جهة، وتبيين مدى صعوبة التعريف وتباينه من جهة أخرى. ومن ثم نتطرق إلى مدى تأثير التطورات اللسانية في الترجمة كنشاط لغوي تواصلي.

في الفصل الثاني والموسوم **مفاهيم الترجمة وأهم النظريات الترجمية**؛ يدرس هذا الفصل أهم النظريات التي تهم المترجم، وأهم المستجدات التي نظرت في مجال الترجمة، بالإضافة إلى أهم المناهج الترجمية التي تناولت البحث الترجمي من كل جوانبه وإشكالاته، وسوف نلج من خلاله إلى صميم البحث، حيث يتطابق مع الشق الأول من العنوان العام، فنقوم بتعريفه وفق خصائصه وآلياته الإجرائية المختلفة. ومن ثم نقابل هذا المجال المعرفي مع ميادين محاذية له، لكي نحصر معناه عبر تحديد العلاقة بينهما بشكل أفضل وأوضح.

ثم نعرض لأكثر النقاد الغربيين المهتمين بحقل النقد الترجمي تنظيرًا وممارسة، تأثيرًا في العالم العربي، بحسب ما وصلنا إليه من خلال قراءتنا بطبيعة الحال، وعلى رأسهم صاحبة نظرية انواع النصوص كاتارينا رايس K.Reiss.

في الفصل الثالث فحص الكفاءة الترجمية في ضوء أنواع النصوص؛ هو لب الموضوع وصلبه فمن خلاله وقفنا على الوسائل الإجرائية لهذه النظرية مع التعرّيج على آراء المنظرين حولها وما يتمخض عن اختلاف اللغات من مناهج في مقارنة مختلف أنواع النصوص.

أما الفصل الرابع و الأخير فقد خصصناه لدراسة نماذج تطبيقية ،إذ قمنا بالوقوف على القسمين المعروفين لأنواع النصوص: النص الأدبي والنص العلمي المتخصص ممثلا في النص الصحفي و النص الإشهاري والنص القانوني ،مع التركيز على توضيح أن الاختلاف بين هذين القسمين يكمن في طبيعة عمل المترجم وغايته التي تتراوح بين الجانب الجمالي في النص الأدبي والسعي إلى إيصال المعلومة بأكبر دقة ممكنة في النص العلمي ،و ما يترتب على هذا التصنيف من استخدام آليات ووسائل أثناء العملية الترجمية.

أما الخاتمة فقد جمعنا فيها مختلف النتائج التي توصلنا إليها من خلال إنعكاي الجانب النظريو خدمته للجانب التطبيقي، وكلنا أمل أن نصل في النهاية إلى تعميم هذه النتائج.

نحمد الله على إتمام نعمته علي و على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل ،فإن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن الله و ما توفيقنا إلا به.

والله نسأل التوفيق والسداد

مدخل

لعل من أهم خصائص شمولية العولمة، وما أضافته آخر صرخات التكنولوجيات الحديثة الجديدة، وأنواع تقنيات النانو، وأعقد الحواسيب البالغة الدقة والمهارة، إضافة إلى بعض المبتكرات المستحدثة من تلك التي أعلنت عن ميلاد عصر الحداثة، كل ذلك يدل على أن هذا الزمن الجديد، لا يمكن توصيفه بموضوعية، ودقة متناهية إلا أن نقول عنه: بأنه تعبير صادق، عن عصر الترجمات الدقيقة المتخصصة، كما وأنا قد نسمة كذلك بكونه: الفترة الحاسمة لفكر التكافل الحضاري بين الأمم كلها، إذ أصبح من المؤكد بأنه تعبير صادق عن هذه الفترة المزدهرة للعلوم البالغة التعقيد والمتناهية التداخلات بين فنونها وتطبيقاتها، بحيث لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نجد شعباً من الشعوب أو أمة من الأمم، مهما كان هذا الشعب أو تلك الأمة، أو الجماعة البشرية. اللهم إلا إذا استثنينا تلك (الجماعات البدائية المتفرقة..¹) التي تعيش في حقيقتها خارج التاريخ الإنساني وخارج تعقيدات هذه الحضارة التكنولوجية المعاصرة الصارخة، تلك التي نجدها مبعثرة في الأدغال والجبال، وهي عبارة عن جماعات مشتتة ساكنة في مناطق خالية من وسائل التواصل والتحضّر.

الأکید أنه لا يمكن لأي شعب أو أمة، العيش بمعزل عن معطيات هذا العالم الافتراضي الجديد، تلك حقيقة باتت مؤكدة علمياً وفلسفياً، بل حتى من الناحية الفكرية، وذلك لأن (الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، كما وأن التواصل والاتصال بين بني البشر، خصوصاً بواسطة الترجمات، أصبح يمثل ركناً أساسياً في عملية صيرورة الحياة البشرية بأكملها، ويقع في صميم مختلف العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والفكرية، ولذلك أصبح من المحتّم على البشرية جمعاء، أن تقيم علاقات فيما بينها، وأن تتواصل بشتى الوسائل..²) ثم إن طبيعة شبكات الاتصال، التي قد تنشأ بين الناس، وما قد تتخذه من أشكال تبليغ وطرق تحادث، ومن ترجمة، لفكرها³

¹ - ينظر: فريزر جيمس - الغصن الذهبي / ج 1 ترجمة: د. أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. ط. 1971. ص 68.

² - روزنتال و يودين، الموسوعة الفلسفية، مراجعة د. صادق جلال العظم. ص 471.

³ - المرجع نفسه، ص 472.

ولعقائدها، وفرحها، وسعادتها، وما تتوصل به من فعاليات فيما بينها، هي التي ستحدد بدرجة كبيرة فرص التقارب فيما بين أفراد المجتمع، من جهة، وفرص اندماجهم فيه من جهة ثانية، لكن هناك إشكال إذ بات من (المؤكد أنها قد تقرر إمكانية الحد من ذلك التوتر المريب، الذي هو مرض العصر كما يقال عنه، أو ما قد نسميه الآن بمحاولة إيجاد حلول لبعض المشاكل العالقة، والنزاعات أو الخصومات، التي تحدث بينهم لأسباب مختلفة، قد تكون مجتمعية، أو حدودية، أو عرقية، المهم أنها في نظرهم قد تكون أساسية بالنسبة حتى لبقية الأقطار، ثم هي في حقيقتها لا يمكنها أن تعيش بمعزل عن العالم، فقد أصبحت العلاقات بين سائر الأمم، متداخلة ومتشابكة فيما بينها، نتيجة المصالح الآنية، من تلك التي عبر عنها أحد الساسة الكبار، بقوله: لا أصدقاء لنا، ولا أعداء لنا، بل تجمعنا وتفرقنا المصالح وكل عنصر يشكل واقعا يوميا لسائر الأمم المتبقية.

وعليه فإن أمم وشعوب العالم بأكمله قد (تشهد تكافلا يزداد يوما بعد يوم)¹ أو لنقل بأن نظام الأقطاب السياسية، يجر لاتخاذ مواقف على غاية في الخطورة، نتيجة هذه النزاعات التي يجب التصدي لها ودحرها في مهدها، أينما ظهرت، وحيثما تواجدت لأن طبيعة الاحتكاكات بين الشعوب قد تؤدي كذلك إلى صراعات مختلفة ومتباينة، من تلك التي لا يمكن أن تتوقف نهائيا، بجرة قلم، ولعله السبب نفسه الذي أصبح يحدد مكانة كل أمة من أمم العالم، بل قد يمنحها مكانتها الخاصة في العالم، فهي تشكل بعدا مهما بالنسبة لبقية الأقطار الأخرى، ومهما كانت صغيرة أو متواضعة من الناحية الشكلية والحجمية، إلا أنها تمتلك مكانتها الخاصة في العالم، مثل ظاهرة (دولة قطر) الصغيرة مساحة، لكن لها مكانة عالمية مرموقة.

ونتيجة التطور التكنولوجي الرهيب في رقي الوعي بحقيقة ضرورة الملحة لهذا التكافل بين مختلف الأمم والشعوب، ربما لأن الاتصال لا يضمن استمرار الحياة في وجودها فحسب، بل يدفع النشاط الاجتماعي والفكري والاقتصادي إلى التعبير عن الحضارة المعاصرة، من خلال مجموعة من العمليات المعقدة التابعة لفكرة توثيق التواصل بين بني الإنسان.

¹ - ينظر روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية. ص 475.

ومن ضمنها مسائل النُظم، والاستعلام، والاستقصاء، وإصدار الأوامر المستعجلة، والتوجيه، نحو تكوين العقل في خدمة مشاريع الحضارة، والتكافل الفكري بين مختلف الأقطار وهو بهذا الشكل نجده يساهم في خلق انسجام عام بين الأفكار مهما كانت مبعثرة في رؤيتنا الأولية، كما أنه يؤكد ذلك الشعور الإنساني النبيل، والذي يهدف إلى أن الناس يعيشون متحابين مع بعضهم البعض، ومن ثم فإنه يخلق بينهم تلك الألفة التي تجعلهم يعبرون عن عواطفهم وحاجياتهم، ولهذا يمكننا أن نضيف بأن من أنبل مهام الاتصال والتواصل، كونه يساهم في التعبير عن الحاجات الإنسانية النبيلة، وذلك بداية من أبسط المهام التي قد تجمع بين فردين، إلى أسمى مهام مظاهر الإبداع، أو لنقل أشد مظاهر التدبير الذي يكفل للإنسان بقاءه على وجه البسيطة، ثم إن الاتصال بهذا المفهوم الذي نحاول إبرازه والتركيز عليه، فقط لأنه يحقق تكاملا في المعرفة الإنسانية بل يعطيها دعما متميزا، وفهما عميقا، خصوصا في جوانب التنظيم والمعرفة والتكامل والتكافل والقوة، بين أفراد الأمة الواحدة.

لكن عندما تطورت الحضارة البشرية، وتقدم العالم هذا التقدم الكبير مع بدايات الألفية الثالثة، فإن الاتصال أصبح أكثر تعقيدا، وقد ازدادت أهميته تبعا لذلك التطور المبهر، وهو الأمر الذي أدى إلى أن تطبع التكنولوجيا فلسفة الاتصال بمميزات حديثة، وخصوصيات لها علاقة بعصرنا، تمت بصلة إلى التطور والتحضر التكنولوجي الذي يشهد العالم جانبا مهما من نتائجه اليومية.¹ ولعل ذلك ما أسهم في تحرير الجنس البشري من تلك الحاجة الماسة، ومن تسلط الأفراد التي نسميها الآن: (بالحاكم الطاغية) ومن تسلطه على الجماعات البشرية المتخلفة، إن الاتصال، استطاع أن يحرر الفرد من القهر ومن الخوف الذي كان يقتل في داخله روح المبادرة. وفوق ذلك كله، فقد ساعد على توحيد الجماعات والطوائف في تضامن الأفراد فيما بينهم.

إلا أن الملاحظة الأساسية هي أن المنافع المحتملة للتطور التكنولوجي الرهيب الذي يشهده العالم، سوف لن يستفيد منه جميع البشر، وذلك نتيجة التعقيدات المنهجية المتصلة بالمسائل المالية، ومن جهة ثانية نتيجة طغيان بعض المؤسسات على غيرها.

¹ - غضبان مبروك. التنظيم الدولي، والمنظمات الدولية. ديوان المطبوعات الجامعية. ط5/ 94. ص19.

لقد سعى الجنس البشري عبر التاريخ إلى تحسين القدرة على استيعاب المعلومات عن البيئات المحيطة به بالدرجة الأولى تبعاً لتلك الفكرة الفلسفية التي كانت تؤكد على أن الفرد ابن بيئته، وأن (الحاجة أم الاختراع...) كما سعى في الوقت نفسه إلى زيادة سرعة ووضوح وتنوع أساليب أفرادها في بث تلك المعلومات التي حاول أن يتعامل معها، وقد كان هذا ضرورياً في البداية، ربما لخلق ذلك الوعي بالمخاطر التي كانت تحدق به، ومن ثم المشاركة في رؤية الإمكانيات الاجتماعية لمواجهة هذه المخاطر التي استطاع أن يتغلب على بعضها، ويسيطر على البعض الآخر، عبر مسيرته الحياتية الطويلة، والتي كانت حافلة بالمخاطر في أحيان كثيرة عبر الأجيال الإنسانية المتعاقبة.

وعليه فإن منطلق فكرة (التبادل) الحاصل بين أعضاء الجماعة الدولية الحديثة بالنسبة لزماننا الحاضر، تعتبر من أهم مظاهر التأزر المؤدي بالضرورة إلى تسهيل مسألة (العلاقات الدولية) في معناها المبسط، ذلك لأن هذا التبادل بمختلف أشكاله وصنوفه، تجارياً كان، أو ثقافياً، أو حتى في صورة من صور الحياة التجارية المختلفة، كل ذلك يصب في خانة التعارف والتقارب بين الأمم والشعوب وبالرغم من مناصرة بعض الأفكار المتطرفة الحداثية لشيوع فكرة الدولة العالمية إلا أن ذلك لا يؤثر في هذه الحقيقة الخالدة، التي هي انقسام البشرية سياسياً إلى زهاء مائتي دولة قطرية، ذات سيادة، بالمعنى القانوني الكامل لمفهوم السيادة.

ولذلك نجد كل قطر من هذه الأقطار يحاول أن يمارس سيادته الكاملة على إقليمه بقوة المعاهدات والقوانين، أما تلك العلاقات المتبادلة بين حكومات هذه الدول، فهي أساس وموضوع العلاقات الدولية التي يطلق عليها في القانون الدولي: مصطلح الدبلوماسية، والذي صار من مهامه النبيلة التركيز على فكرة التكافل بين الأمم والشعوب، إذ مع اشتداد التنافس السياسي والاقتصادي، بين القوى هذه التكتلات وظهور الاكتشافات المتعددة والمختلفة المشارب والأنواع، فقد ازداد هذا التنافس الدبلوماسي نتيجة ازدياد النشاطات الدولية، ونتيجة تنوع الصراعات، بين الأقطاب المتناحرة، الأمر الذي أدى إلى أن تحتل الترجمة أهمية متميزة باعتبارها أحد أبرز الحقول المعرفية التي أدت إلى تطور الفكر الإنساني التواصلي.

وعليه فإن محاولة البحث في قضايا الدبلوماسية، تعني التقرب من محاولات الإجابة عن
عديد التساؤلات التي تدور حول السياسات الدولية وصراعاتها، ذلك إن لم نستطع أن نقول حول
مستقبل الإنسان المعاصر، في خضم إشكالية التواصل، وهي المقاربة التي تؤدي إلى تفهم ما يقع
في خضم الصراعات الدائرة بين أقطاب الدول ذات المصالح الاقتصادية، لذلك نجد بأن جل
المقاربات تهدف إلى تقديم المزيد مما يجب معرفته حول ظاهرة التواصل بمعناه العام بين أفراد
المجموعة البشرية، إضافة إلى استجلاء أهم القواعد المنظمة للممارسة الدبلوماسية في مختلف
الحالات والأوضاع، وحقوق وواجبات الدبلوماسيين.، كما نجد بأن بعض الفلاسفة
والأنثروبولوجيين يؤكدون على أن البشرية قد بدأت التواصل، مستعملة في ذلك، أبسط الإشارات
الصوتية في رعيها الأول، ومستخدمة في ذلك الحركات المرتبطة بالبنية الجسدية، فلذلك نلاحظ
بأنهم قد شرعوا في تطوير مجموعة كاملة من الوسائل غير اللفظية لنقل الرسائل التي كانوا يتعاملون
بها في مجتمعاتهم، مثل الموسيقى والرقص والطبل.¹

وغير ذلك من الوسائل البدائية، ولأن البداية كانت جد بسيطة، فإن عملية التدرج قد
طال زمنها نتيجة لذلك الاستعمال الساذج، فهناك (الإشارات النارية، والرسوم والأشكال
الأخرى، إضافة إلى رسوم: البكتو جرام، التي تمثل أفكارا في حد ذاتها، وقد جاءت هذه الرموز
الكتابية المسماة: الإيدو جرام، في أعقابها وتتسم بأهمية خاصة لأنها ربطت عرض شيء ما بفكرة
مجردة، لكن تطور اللغة هو الذي جعل الاتصال الإنساني قويا، على نحو خاص، وجعل الجنس
البشري يتفوق على عالم الحيوان، إن هذا التطور العظيم الذي أحرزه الإنسان، يعتبر تطورا مهما
بالنسبة لتلك الأزمنة المتخلفة الأولى، خصوصا في طرق التفكير، ولا أدل على ذلك مما وُجد في
آثار الحضارتين الفرعونية في مصر والبابلية في العراق.²

فهناك عمق واتساع في عملية الاتصال، والأخطر من ذلك تلك الدقة المتناهية في تفاصيل المسائل
المعقدة، والواقع هو أنه لا توجد حدود لتنوع وبراعة طرق الاتصال الذي كان يستعمله الإنسان

¹ - ارنولد هاووزر. الفن والمجتمع عبر التاريخ. ترجمة فؤاد زكريا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2/ 1981. ص 87.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص33.

الأول، فقد تطورت أشكاله وطرقه، بل ومحتوياته ووسائله المستخدمة، كما تنوعت باستمرار، وقد ظهرت اللغات المختلفة والمتنوعة تبعا لذلك.

إن علماء (الأنثروبولوجيا..¹) يؤكدون على أن تعدد اللغات كان نتيجة حتمية لتعدد الأمم والشعوب التي ظهرت في مناطق متباعدة، ونتيجة عدم التواصل فيما بينها، ولكنها ظهرت بصفة خاصة لأن المجتمعات ذات التقاليد الثقافية والاقتصادية والأخلاقية المتميزة احتاجت إلى مجموعات خاصة من المفردات اللغوية وإلى هياكل لغوية معينة. لكن في الوقت نفسه نجد بأن الفوارق بين الطبقات الاجتماعية حتى داخل المجتمع الواحد، قد انعكست على الأخلاقيات في الاصطلاحات وفي المفردات، وفي المعاني التي تضيفي على كلمات معينة، وفي النطق كذلك، ولذلك نجد اليوم ملايين البشر يتحدثون لغة لا يفهمها حتى جيرانهم.

فبالرغم أن علاقات التجارة والاقتصاد كانت في الأزمنة الأولى، وثيقة الصلة فيما بينهم، من حيث المقايضة، والامتلاك الفردي لبعض الوسائل، وبالرغم كذلك من أن السكان قد امتزجوا فيما بينهم نتيجة التصاهر مثلا، أو نتيجة أسباب شبيهة بذلك، إلا أن مسألتي الثراء والتنوع في اللغة يمكن أن يجعلنا من الاتصال أمرا صعبا، تماما مثلما يمكن أن يؤديا من حيث تطويرهما وإتقانهما إلى دوام امتياز فئات أو مجتمعات على غيرها على ما في ذلك من تناقض ظاهر في ذلك، ونظرا لأن الكلمات أصبحت رموزا للتجربة الإنسانية، فإن المدركات المستمدة منها قد تعرضت للتغيير عبر الزمن، واستجابت للمواقف الجديدة²

وهذا التواصل غير المنظم، كان سائداً بين القبائل والشعوب المتجاورة ذات اللغات المختلفة بحكم الضرورة والمصلحة السائدة حينذاك، ويبدو الآن منطقياً أن يكون هذا النوع اللغوي في بدء التاريخ أكثر تعدداً منه في عصرنا، وذلك من جراء التقارب و التفاعل أو التوحيد اللغوي الناتج

¹ - ينظر: أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، ص75.

² - ينظر: ارنولد هاووزر. نفسه. ص198.

عن سيطرة بعض الشعوب أو الأقوام على غيرها¹ إذ أن قانون الغاب: (القوي يستعمل الضعيف ويغلبه) هو قانون سائد فعلا عبر جميع مراحل تطور الإنسان.

بحيث تقوم الجماعات أو الأمم الكبيرة بحكم مصالحها بخلق أو إبداع صناعات أو وظائف ظرفية يؤديها بعض المبدعين أو الوسطاء الذين هم صلة التفاهم بين الوفود التجارية أو وفود الجيوش المتحاربة أو البعثات الدبلوماسية أو عمليات التجسس والاستعلام التي يقوم بها كل عنصر أو محارب للتعرف على أحوال قبيلته أو عدوه، وهذه الظاهرة غنية عن التفسير والتحليل، لأن اختلاف اللهجات بين عناصر الأمة نفسها يجعل التفاهم والتواصل بينها بحاجة إلى وسطاء يعرفون أكثر من لهجة أو تفسير فيؤدون دور المترجم أو المفسر في اللغة نفسها، وهنا تدخل الترجمة باعتبارها وسيلة مهمة لفعل التقارب، ولعل ما نجد من كثرة المترادفات في بعض اللغات، ومنها العربية على سبيل المثال، مصدره تعدد لغات ولهجات القبائل في إطار اللغة الواحدة.

وهذا التعدد كما نراه قد أخفاه التوحيد المتدرج منذ القديم الناتج عن الاندماج الذي جاء بعده التوحيد العقائدي عند الفتح الإسلامي، بالنسبة إلى اللغة العربية، مع العلم بأن لهجات القبائل العربية لا تكاد تحصى حتى أن القرآن الكريم نفسه يحتوي على قراءات لها علاقة بهذه اللهجات، رغم غلبة لهجة قريش فيه على جميع اللهجات.

لم تكن الجماعات البشرية منذ القدم، لتعيش منعزلة، عن بعضها البعض، بل أن كل جماعة كانت تلمس التقرب من غيرها، ربما لتيسر لها سبيل المعيشة الطبيعية، ذلك لأن تلك العلاقات على بدائياتها، إلا أنها كانت تقيمها لأن حاجتها تتطلب ذلك، وتبعاً لتلك العلاقات فيما بينها، أقيمت دبلوماسية ولو بذلك المعنى المتقدم.

وقد كانت هذه الشعوب والأمم تمتلك رغبة كبيرة في أن تسوي خلافاتها مع غيرها بطرق سلمية، وأن توجد بعض الحلول الملائمة لكل ما تريد أن تسويه سلماً، ذلك لأن التفاوض

¹ - ينظر: حسن قبيسي، المرجع السابق، ص 47.

والتشاور بينها، تماماً كما يقتضي عقد اتفاقات في شأن ما يتطلب ذلك من مسائل في مهام التواصل¹

من هنا كانت البداية الفعلية، فقد عرف الإنسان المتحضّر فضائل الترجمة باعتبارها جزء لا يتجزأ من حركة التواصل، منذ زمان بعيد، ولكونها جسر تعبر عليه ثقافة الأمم بعضها إلى بعض فتزيد المعرفة وتعمق متعة الحياة في هذا العالم، فهي بهذا المعنى تعتبر عكاز التقدم، والنهضة في كل بلد تخلف عن ركب الحضارة لسبب أو لآخر، إنها كذلك الرمز والطابع لحضارة العصر الذي تمثله كل أمة ناهضة. فقد ازداد هذا التواصل بشكل وفير وخاصة في العصر الحاضر بعد أن تبوأَت الترجمات الحديثة مكانة معتبرة في المجتمعات، من علمية وسياسية وصناعية وأدبية.²

إنها الآن قوية مع صدور الجرائد والمجلات والقصص الرائجة المترجمة في كل مكان تصله المواصلات، فالترجمة بهذا المعنى الجديد هي مجرد عملية شرح وتفسير لما يقوله ويكتبه الآخر الذي يعاصرنا ولا يعيش بجانبنا، هذا الآخر الذي قد يبدع أشياء كثيرة تفيد الإنسانية، فمهما كان هذا الآخر، إلا أنه يشاركنا الحياة، وقد يتجاوزنا في التكنولوجيا والاكتشافات المستحدثة في مجالات الطب والهندسة، لكن الشرط الأساسي في ذلك أن يكون من لغة أخرى، ويتم هذا الشرح والنقل إلى لغة المتلقي أو المستمع، فهي بالنسبة للمترجم تفسير فكرة مصاغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى، وليس عليه أن يبحث عن هذه الفكرة في أي مكان بل كل ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة مغايرة للتي أبدعت بها. إن ظاهرة (الترجمة)³ كانت ولا تزال ملازمة لتاريخ الإنسان، وتطورها بل هي أحيانا قد تعتبر إضافة نوعية يساهم بها الإنسان العالم في مجال هذه الحياة، لأن تعدد الشعوب والأمم والأقوام واختلاف اللغات التي برزت نتيجة للبيئات المتنوعة والأغذية والتناسل والحياة المتنوعة المختلفة يستلزم العمل الترجمي الفائق الدقة.

¹ - علي صادق أبو هيف. القانون الدبلوماسي. منشأة المعارف. الإسكندرية. ط. 1975. ص 10.

² - ألان بلانتي. مبادئ في الدبلوماسية. الفصل الأول. الدبلوماسية والثقافة. ترجمة: نور الدين خلودي. دار الأمة للطباعة والنشر. ط 1998/1. ص 255.

³ - ينظر: شحادة الخوري: الترجمة قديماً وحديثاً، ص 157.

كل ذلك أسهم في الحضارة الإنسانية بشكل أو بآخر، وجعل ظاهرة الترجمة هي الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل بين البشر، سواء كانوا فرادى أو جماعات وفي كل أنواع التبادل. وقبل القراءة والكتابة عن طريق الإيماء ثم استحضار مفرد الشيء أو مصغره ومن ثم تصوير المطلوب إلى المخاطب من قبل المتكلم، وقد تدرج هذا التفاعل بين الشعوب البدائية حتى الوصول إلى الكتابة والقراءة.

فالشعوب البدائية، مهما كانت منغلقة على نفسها لم تستطع إيقاف التواصل بأنواعه المختلفة، وخاصة على تخومها، وما يتولد عنه من اختلاط ناتج عن التجارة أو الحرب أو الاتصال الدبلوماسي أو الثقافي.. وهذا التواصل غير المنظم، كان سائداً بين القبائل والشعوب المتجاورة ذات اللغات المختلفة بحكم الضرورة والمصلحة السائدة حينذاك، ويبدو الآن منطقياً أن يكون هذا النوع اللغوي في بدء التاريخ أكثر تعدداً منه في عصرنا، وذلك من جراء التقارب والتفاعل أو التوحيد اللغوي الناتج عن سيطرة بعض الشعوب أو الأقوام على غيرها.

استناداً لجميع ما أوردناه سابقاً نقول بأن صيرورة التاريخ شاءت أن تكون الأمور على هذا النحو المعقد المتجاذب أحياناً، فلعل اختلاف اللغات العالمية إلى نوعين كانت له أسبابه الموضوعية، بحيث كان الاختلاف الأول هو الجذري، ذلك لأنه هو الحاصل بين لغتين وقد ينشأ في ظروف وأصقاع مختلفة كذلك، وبسبب ذلك الاختلاف الحاصل بين الأجناس اللغوية، كما هو حصيلة تاريخية طويلة المدى، ومرجعها الأساسي هو تكوّن هذه اللغات في عزلة عن لغات الجوار والبلاد المتاخمة التي قد تؤثر وتتأثر تبعاً لدرجة الاتصال والتواصل¹ أما الاختلاف المتتالي، أو الاختلاف المتنوع، ولعلّ بعد المسافات وبطء الانتقال وقلة القبائل أو الجماعات في بداية التاريخ هي السبب في هذا التعدد، غير أن العامل الأساسي في هذا التعدد هو الأصل والجنس والعامل السياسي، لأنها الأكثر تمثيلاً لسيطرة لغة الغالب.

¹ - ينظر: جرجي زيدان. تاريخ التمدن الإسلامي ج3- ص 147 وما بعد. وأحمد أمين / فجر الإسلام. ص 195 وضحى الإسلام ج1- ص 263-273. وتراث الإسلام في مواضع كثيرة...

إن الاختلاف المتتالي هو أفضل تعريف يمكن أن ينطبق عليه، كونه تباعداً أي بين شعبين من أمة واحدة تباعداً مناخياً أو زمنياً أدى إلى تحول اختلاف اللهجة ثم إلى انفصال لغوي كامل، بحيث يزول التفاهم لعدم انطباق كامل مفردات اللغة، خاصة إذا صاحب الانفصال ظاهرة جديدة ومترافقة تحللها امتزاج اللهجة بلغة مجاورة لها لهجة مختلفة مما يؤدي إلى موت اللغة الأم بعد انفصال هذا الشعب عن شعوب أمته مدة زمنية طويلة الأمد¹، ولعل أحسن مثال على ذلك هو موت اللغة اللاتينية، وقد حدث ذلك في أواخر القرون الوسطى، ربما بفعل تولد اللغات اللاتينية المتفرعة عنها مثل (الفرنسية-الإسبانية-البرتغالية) وقد حدث ذلك بعد تفهقر الإمبراطورية الرومانية، وتزايد الهجمات عليها.

نظراً لمرور أجيال عديدة في تاريخ شعوب هذا الكون، يصعب علينا معرفة تكون اللغات الخالصة البريئة من كل تعدد في الأصل لأن اللغات الصافية لا يمكن اعتبارها الآن إلا مجرد فرضية نظرية يمكن وضعها لفهم وتحليل كنه اللغات المزيجية أو بالمقابل لدراسة وتعليل إرجاع اللغات المتوفرة لدينا إلى أصل ما من مجمل اللغات² ولعلها لغات مزيجية من لغات حية ومعمول بها حتى الآن أو قديمة نجعل عناصرها الأصلية. فإذا ما استعرضنا تكون اللغات يمكن التجرؤ بالزعم بأن اللغات الصافية لا وجود لها، بل هي لغات كانت تامة لشعوب أو أجناس محددة ثم أصبحت أجزاء لغوية لشعوب متجاوزة لأزمة محددة، ثم صارت لغة واحدة على المستوى الفونولوجي والمعجمي كمادة، وعلى مستوى التأليف والإعراب، وذلك بفعل سيطرة إمبراطورية أو دولة قوية على مجتمعات أو شعوب أخرى.

الفرضية الثانية هذه تبدو أقرب إلى الحقيقة التاريخية البعيدة والقريبة ويمكن أن نقدم مثلاً على ذلك، ما حدث عند الفتح الإسلامي وما كان حادثاً في الشرق العربي القديم. وما هو حادث الآن بين لهجات شعوب الأمة العربية مما يفيد بأن الأصل كان متعدد اللهجات وأن ظاهرة الوحدة

¹ - ينظر: أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة. خليل أحمد خليل، ص75.

² - ينظر: روزنتال ويودين، الموسوعة الفلسفية، مراجعة د. صادق جلال العظم، ص471.

اللغوية هي التالية أي اللاحقة، بحيث إن اللغة الواحدة مع مرور الزمن، منها سيطرة الاقتصاد واللغة - الثقافة - أو التفاعلات المتنوعة الأخرى.

قد انصبَّ عليها لهجات متعددة أو لغة وسيطة تحولت جميعها إلى ما يشبه التنوعات في اللغة الأم. وهذا ما يجعل ظاهرة الترجمة داخل كل لغة أساسية في دورها التكويني على المستوى اللغوي، وهي في الوقت نفسه تحاكي الظاهرة الكونية التي تستدعي الترجمة بين اللغات المختلفة في دورها على المستوى الفكري. وبذلك يمكن القول إن ظاهرة الترجمة مترافقة دوماً مع التواصل اللغوي إما ضمن لهجات نفس اللغة أو بين لهجات لغات متباعدة، وهاتان الظاهرتان على المستوى اللغوي والفكري أصبحتا قابلتين للتوحيد ولو فرضياً.

ومنه نتوصل إلى نعتبر أصل جميع اللغات هي لهجات الشعوب المتقاربة التي خضعت لإمبراطورية واحدة وحدّتها سياسياً قبل اكتمال لغاتها الخاصة، فأصبحت المنبع الذي تولدت منه اللغات التي نعتبرها الآن صافية.، ومن هنا نجد أن وحدة اللغة، مثل وحدة الجنس، هي حصيلة تاريخية وليست منطلقاً للتاريخ، أي ليست بداية، لأن اللغات الرسمية أو الواسعة الانتشار تسيطر بالتدريج حيث تصل مع طول الزمن إلى إزالة تعدد اللغات في أمتها، وذلك ما نلاحظه خاصة في شعوب أفريقيا السوداء بحكم سيطرة لغة الاستعمار الفرنسي أو الانكليزي، لغة الغالب على حد تعبير العلامة ابن خلدون، التي تكاد أن تقتل اللغات القبلية المتفوقة على نفسها، وكما يحدث أيضاً في الهند والاتحاد الروسي بالنسبة إلى الانكليزية والروسية. هناك بالمقابل حالات قليلة تبدو فيها وحدة اللغة والجنس حاصلة ومتعمقة كما هي الحال في الصين واليابان بفضل الكتابة التي كانت ولا تزال هي وحدة التواصل الفريدة التي حافظ الصينيون خاصة عليها رغم تخلفها.

الترجمة هي الحضارة الفعلية، أو لنقل تلك العبارة التي ألفها المؤرخون، كونها رفيقة الحضارة الدائمة عبر الزمان والمكان، وذلك باعتبارها نافذة تفتحها الشعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها، ولقد عرفها العرب منذ القديم، تماماً كما عرفت سائر الشعوب والأمم، ثم إن المسألة السياسية هنا كون العرب قد عرفوا التواصل في زمن الجاهلية، مع المحيط المجاور لهم، ومع سائر الحضارات المتاخمة لبلادهم، وعرفوها كذلك مع اليونان والصين والهند، ولكن بشكل محدود، كما نقل الغرب

بدوره عن العرب في الماضي وخاصة في زمن الصليبيين ثمار الحضارة العربية، كما نقل العباسيون بدورهم عن الفرس واليونان والهند وغيرهم.

لذلك تعتبر الترجمة اليوم من أهم روافد الثقافة العالمية، وقد أحرزت هذا الانتشار الواسع والمتنوع، نتيجة جهود علماء الترجمة، بحيث أوجبت الضرورات القيام بتلك المهام النبيلة التي قاموا بها ومن ثم متابعتها، الأمر الذي أفقدنا القدرة على التمييز بين مصادر الصور الغنية التي تضمنتها من صور: (فكرية، وأدبية، وفنية، وعلمية) قد اتسعت لها أذهاننا وأفكارنا في لحظة تأمل صادق، إن حضور الترجمة المتواصل منذ القدم والمتعدد المراكز والجهات وأيضاً اللغات يفرض أن يكون بسبب روح التواصل.¹

ولعل أهم ظاهرة ملفتة للنظر في النصف الثاني من القرن العشرين، هي حصول أكثر من ثمانين أمة على استقلالها، الأمر الذي أدى إلى استقلال أكثر من مليارين من البشر، من ربة المستعمر، وعلى الرغم من ذلك فإن ظروف العالم الحاضر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وحتى التكنولوجيا والعسكرية والثقافية، تميل إلى تعزيز مراكز بلاد معينة، وتأكيد هيمنتها باستمرار على عدد كبير من البلاد الأخرى التي تسير في فلكها، وذلك ما يسميه الدارسون بالتبعية الفكرية، وقد نلاحظ ذلك في مواقف بلاد الغرب نحو سياسات الشرق على تنوعها، إذ نجد الولايات المتحدة، وخلفها مجموع البلاد التي تسير في فلكها، إنجلترا، وبقية الدول، ولقد قيل بأنه لا يمكن لأية أمة أن تدعي الاستقلال، إذا كانت وسائلها الإعلامية تحت سيطرة أجنبية، فإن الإعلام في عالم اليوم، أصبح في أغلب الحالات بمثابة تبادل بين شركاء غير متساويين. أما بخصوص الترجمة إلى اللغة العربية من أجل إثرائها، فقد ذكرت (موسوعة الدكتور يوسف فرحات عدد كبير من علماء الترجمة الذين نقلوا إلى العربية عن اللغات الأخرى علوم الأمم الأخرى، وكان لهم الإسهام المفيد والأيادي البيضاء في إثراء حضارة العرب والمسلمين..)² يؤدي إلى أن يتغلب الأقوى، والأغنى والأفضل عدة على الأضعف، ذلك لأن التفاوت في السلطة والثراء نظراً لما له

¹ - ينظر: مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية، ص 24-27..

² - بن داود عبد القادر. إشكالية لغة الاختصاص مجلة المترجم العدد 9 يناير جوان 2004 ص 141.

من وزن خاص، يؤدي بالضرورة إلى اختلال فضيع على البنيات الإعلامية، والتدفق الإعلامي، وهنا يكمن الاختلال والتفاوت في الفرص، الأمر الذي يؤدي إلى ما يحدث في العالم من تفاوت في الفرص الذي هو من خصائص الاتصالات الدولية لاسيما بين الدول الصناعية والبلاد النامية. بحيث أصبحت الأمم في كافة أنحاء العالم، تعتمد على بعضها البعض، بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وذلك بفضل التقدم التكنولوجي، وبفضل مجموعة الشبكات العالمية الإلكترونية المترابطة، التي يمكنها أن تؤدي وظيفة تعليمية تثقيفية لأنها شبيهة.

إن دور الاتصال في العالم، دور هام وحاسم بالفعل، إذ أنه يتحكم في قدرة الرأي العام الدولي على الأخذ بنواصي المشكلات التي تهدد بقاء الجنس البشري، وهي مشكلات لا يمكن أن تحل بدون مشاورات وتعاون بين البلاد، مثل قضايا سباق التسلح، والمجاعات، وقضايا الفقر والأمراض الفتاكة، وعلى وجه الخصوص أمراض العصر: والأمية، والعنصرية التي بدأت تتفاقم وصراع الأديان، والبطالة والظلم الاقتصادي، وتدمير البيئة، وغير ذلك من المشكلات المستعصية والتي تحتاج من البشرية إلى تفكير ملي لمحاولة القضاء عليها أو التقليل منها.

إن لوسائل الإعلام في عالم اليوم دورها الهام، في إيقاظ الرأي العام العالمي بخطورة هذه القضايا والمشكلات، وذلك بجعلها مفهومة بشكل أحسن، وعلى نحو أفضل، وفي حفز الإرادة لحل تلك المشكلات، ولن يتسنى لشعوب العالم أن تكون قادرة على أن تساعد بعضها البعض، من خلال التبادل السلمي، والتفاهم المشترك، إلا إذا ركزت وسائل الإعلام على ما يربط بين الناس، بدلا من أن تركز على ما يفرقهم، تمتد جذور البعد الدولي لقضايا الاتصال، إلى حقائق الموقف العالمي الجديد، وبوجه أخص فإن اهتمامات ومطالب والمنازعات التي تولد الجدل الدولي الحالي، إنما تنجم عن آثار سلبية معينة لمبادئ كانت تتبع في الماضي، واتخذت شكلا من أشكال الاختلال وعدم المساواة، ذلك لأن بعض المفاهيم مثل مصطلح حرية الإعلام، والتدفق الحر للمعلومات، أو كما يحلو لبعضهم أن يسميه : بالتدفق المتوازن للمعلومات وحرية الانتفاع بوسائل الإعلام المختلفة، جاءت ثمارا طبيعية للمبدأ الأساسي الخاص بحرية القول والرأي، وإذا كانت هذه الحرية حقا فرديا فإن حرية الإعلام جانبيها الفردي والجماعي، وهي تتخذ طابعا أشمل نظرا لتنوع واتساع أدوات الاتصال الجماهيري، ولأن انتقال حرية القول إلى عالم وسائل الاتصال الحديثة، قد

يطرح بالضرورة تساؤلات ويثير مشكلات جديدة، من ضمنها ما أصبح يسمى (بالتدفق الحر) لجميع ما يتوصل به الإنسان حيثما كان وحيثما وجد.

إلا أن غياب ظاهر عوائق الإعلام لا يعني أن هناك حرية كاملة للإعلام ومن بين العوائق الأشد إيذاء الاعتقال والتعذيب والاختطاف والقتل، وممارسة حكومات كثيرة رقابة مشددة على وسائل الإعلام وعلى إذاعة الأنباء وعلى الترخيص لمن يسمح لهم بممارسة المهنة، وكون مثل هذه الممارسات تقوم على أساس قوانين مدونة أمر لا ينفي أنها غير سليمة، وفي هذا الإطار يعقد جورج مونان، فصلاً كاملاً، هو الفصل الحادي عشر، لمسألة (الترجمة واللغة والاتصال بين الأفراد، ويحاول أن يثبت علمياً في هذا الفصل بأن مشاكل الألسنية المحدثّة أكبر بكثير من ما كان يعتقد ومما يتعلق بطبيعة الأمور اللغوية، بل أنها في نظر جورج مونان: (أضافت صعوبات جديدة في تأكيدها بأن الناس تتصل بواسطة اللغات، وأن رؤى العالم واختلاف الحضارات، ساعدت الترجمة بقدر ما شلتها).¹

واستناداً على جميع ما ذكرناه في هذا المدخل، نرى بأن الدبلوماسية، والترجمة، تقومون بدور أساسي في عملية التقارب بين الأمم والشعوب، ودورهما هام جداً في نطاق هذا التقارب بين الأمم، فعن طريقهما يتم التقارب الفعلي، وثم خلق العلاقات الدبلوماسية وتدعيمها، وعن طريقهما كذلك تعالج كافة المسائل العالقة بين الدول، إضافة إلى قضية التوفيق بين المصالح المتعارضة، ووجهات النظر المتباينة، وتيسر جميع الخلافات القائمة حول العلاقات التي تشكل حجر الزاوية بين الأمم والشعوب، وأهم شيء هو تسوية الخلافات القائمة، وإشاعة روح الود والإخاء بين بني البشر، كما تستطيع كل دولة أن توطد مركزها وتعزز نفوذها، في مواجهة الدول الأخرى، فالدبلوماسية والترجمة هما بالنسبة للمجتمع الدولي القوة المحركة للحياة الحقيقية.

¹ - ينظر جورج مونان G. Mounin (المسائل النظرية في الترجمة.) ترجمة لطيف زيتوني دار المنتخب العربي، بيروت لبنان. الطبعة الأولى. 1994 / ص 209.

الفصل الأول

تطوّر الدراسات اللسانية

والترجمة

1- من اللسانيات إلى الترجمة

عند تطرقنا لعلم الترجمة على مستوى الدرس الحديث وجب علينا تقييم الإرهاصات بكل حيثياتها النظرية والتطبيقية منذ أن كانت جزءا من اللسانيات العامة إلى غاية استقلالها بذاتها لتكون حقلا يمتاز برصيد معرفي لا يستهان به البتة، ومن تمّ استطاعت الترجمة أن تقتحم غالبية الحقول المعرفية على اختلاف أشكالها وأنواعها من مثل علم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم الدلالة واللسانيات النصية وغيرها من الحقول الأخرى، التي باتت تسيطر على الساحة المعرفية في الآونة الأخيرة.

إذا كانت المعرفة صورة من صور التلاؤم والائتلاف بين الحقول رغبة في التبادل المعرفي على المستويات جميعها كان على كل حقل معرفي أن يعطر رصيدا إجرائيا وتطبيقيا وعمليا، ما يجعله فعلا يبدو ذو فضل في إثراء وتطوير كثير من الجوانب سواء تعلق بالجانب المنهجي أو ما تعلق بالمفهومى الإجرائي، وهكذا كان الأمر بين اللسانيات والترجمة بحيث استطاعت الأخيرة، بعدها أن تفرض تواجدها المعرفي والفكري على حد سواء لتأخذ مسارا معرفيا نتيجة استثمارها لكثير من المعارف اللسانية لحظة احتكاكها بتلك الإجراءات النظرية والتطبيقية التي تمتاز بها اللسانيات بجميع تفرعاتها.

وعليه كان لابد أن نقف لحظة تأن وتبصّر، على مفهوم اللسانيات وكذا الاتجاهات المعاصرة التي أعطت بُعدا لدراسة واقع اللغة، يتماشى والمعطى الحضاري والثقافي وصولا إلى أهم محطة، تلك التي أنتجها الفكر اللساني لاسيما حقل اللسانيات النصية والتي أثرت في الترجمة لتطوّره وكذلك من جانبي التنظير والتطبيق ثم انعكس بعدها الدور، وراحت في خدمة اللسانيات هي الأخرى، بما تحتاجه في دراستها للواقع اللغوي.

إن المتصفح لتاريخ اللسانيات على مستوى تطوراتها يلاحظ أنه كان أصلا مع المنظر اللساني السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure)، خصوصا بعد صدور مؤلفه الموسوم بـ: (دروس في الألسنية العامة) (Cours de Linguistique Générale) سنة

1916م¹، والذي يشمل على سلسلة من المحاضرات في اللغة حيث أوضح فيها أنّ تلك الدراسات اللغوية التي تقوم عليها اللسانيات بوصفها موضوعاً لها، وكانت سابقة مهمة على عكس الدراسات اللغوية القديمة أي الدراسات اللسانية المقارنة²، حيث طوّر دي سوسير أبحاثه اللغوية في المدرسة السويسرية جنيف.

1.1. مدرسة جنيف (Ecole de Genève)

إنّ التحول المعرفي والموضوعي الذي جاء به دي سوسير في حقل البحث اللغوي شمل ما أسماه بواقع الثنائيات التي تعدّ فعلاً في نظره الجانب الأساس للمنهج اللغوي ومن ثمة فلا مانع في أن تشير إلى أهم هذه الثنائيات ثم كيف تمّ تطويرها لخدمة البحث الترجمي من الجانب النظري والتطبيقي وهي على النحو التالي:

1-1-1- تعاقبي/آني (Diachronique/ Synchronique)

قام دي سوسير بالتمييز بين منهجين في تناوله للحدث اللغوي، منهج يرتبط بالجانب التحولي للحدث اللساني عبر الزمان والمكان (Diachronique)، ثم بعدها بالجانب السانكروني (Synchronique) الذي يهتم أساساً بدراسة اللغة كلما هي في الواقع.³

1-1-2- لغة/ كلام (Langue/ Parole) :

ارتطم الباحث اللساني دي سوسير وهو يؤسس لأرضية الدراسة اللغوية بمفهوم اللغة والكلام؛ غد كل واحد منهما يتداخل في المفهوم والإجراء التطبيقي.

¹ - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مبحث ضوئي، تركيبي ودلالي، ط1. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1994 ص 32.

² - فاردينان دي سوسير، دروس في الألسنة العامة (مبادئ عامة). ترجمة صالح القرمادي وأحمد شاوش. ط1. الدار المعرفية للكتاب تونس 1985 ص 18.

³ - George Mounin : Chefs pour la Linguistique Générale, Librairie Seghers. Paris 1971. P.25

فاللغة (Langue) نظام من الرموز، بل إنّها عدّة أنظمة متشابكة يجمعها نظام واحد كلي، ويقسم بالتماسك والوحدة المنطقية. أمام الكلام (Parole) تقدّم الحيوية والاستمرار والتغيّر. و تحافظ تلك العلاقة المتوترة بين المستويين المنطوق والمكتوب على التجدد والبقاء معا.

- النسقي والاستبدالي (Paradigmatique et Syntagmatique):

النسقي (Syntagmatique): يسعى هذا المنحى إلى كيفية تشكيل الجمل من خلال التنظيم الصرفي للمرفيم (Morphème) للحصول على المعنى مثال على ذلك: أخذ الطفل الدواء " ولا نقول "الدواء أخذ الطفل"

- استدلالي (Paradigmatique) :

إنّ الوحدة التي يعتمد عليها المنحى الاستدلالي هو الفونيم (Phonème) الذي يتأسس على جانب النطق اللغوي، بحيث يصير أي تغيير، أو تبديل يطرأ عليه ينجر عليه تغيير في المعنى الملفوظ، فعلى سبيل المثال: "أقهر الملك عبده" "أبهر الملك عبده" فاستبدال "ق" "بالباء"، استطاع أن يغير معنى الملفوظ ومن هذا المبدأ، فإن الأمور كلها سيحدث عليها طارئ ألسني، وهذا ما يؤثر في مسير المترجم نفسه، وهو كذلك يهم المترجم في عملية الإنتاج اللغوي للنص الهدف.

1-1-3-دال / مدلول (Signifié/Signifiant) اعتبارية العلامة :

لقد انطلق دي سوسير من تطوره للحدث الفعلي لواقع اللسان من خلال تلك العملية التحدث بين ما أسماه بـ: الصورة السمعية (Image Acoustique) والمفهوم (Concept)، بمعنى أنّ اللسان - حسب رأيه- عبارة عن ظاهرة اجتماعية ليست لها علاقة على الإطلاق بالأداء الفردي في حد ذاته أي أنّها علاقة اعتبارية فالعلاقة بالنسبة لـ: دي سوسير ترتكز على مفهوم وصورة سمعية (مدلول + دال)،/ فيكون قد وضع حدا فاصلا بين علم العلامات وعلم الموجودات في الواقع

الخارجي؛ الأمر الذي جعله يرى بأن العملية التوليدية بين (الدال + المدلول) لا تتم إلا داخل نطاق النفسي لا غير.¹

لا ضير ونحن نتحدث عن واقع مفهوم اللغة عند دي سوسير أن نشير إلى تلك الرؤى التراثية التي كان لها أيضا بعدا في تحديد مفهوم اللغة على نحو ما أشار إليه الغزالي وابن سينا وغيرهما، ينضاف إلى ذلك رؤية الإمام الغزالي في (مقياس العلم) عند حديثه عن علاقة اللفظ بالمعنى إذ يقول في هذا الصدد ما نصه: "إنّ للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، وهو مثال الموجود في الأعيان".²

لقد أدرك الإمام الغزالي الأهمية القصوى التي تكتسبها اللغة الإنسانية، فالإنسان كوّن في بداية الأمر فكرة أو صورة ذهنية عن الأشياء الموجودة في حياته، ثم قام بترجمة تلك الأفكار المكونة في شكل حروف صوتية، ثم رقم كتابية لإعلام الغائبين عن الزمان والمكان وهو بهذا يلتقي مع ابن سينا حين تحدث عن قضية اللفظ وعلاقته بالمعنى³ كما أكدّ الغزالي على اعتبارية اللغة الإنسانية في كون أنّ الموجود في الواقع (المرجع) والموجود في الأذهان (الفكرة) لأمر اعتباري، وبهذا طور دي سوسير قضية مفهوم العلامة مستعينا بأبحاثه التجريبية واستطاع أن يدرك واقع الدراسة اللغوية، الأمر الذي أهله سلفا لأن يحدّد مسار حركية اللسانيات فالإجراءات النظرية والتطبيقية كما ينبغي الإقرار بما قدمته من رؤى استشرافية في هذا المجال ما جعل الكثير من الاتجاهات اللغوية تتأثر بخطاه وتتبعها.

ومن أجل إحصاء الإرهاصات كان ولا بد لنا أن نقف عند حدود البحث اللغوي من الكلمة ثم الجملة فالنص بهذا يسمح لنا المقام لأن نشير ولو بإيجاز إلى أهم الاتجاهات اللسانية وصولا على ذلك التطور المعرفي الذي ولّد اللسانيات النصية وكيف استمدت الترجمة نتائج هذا

¹ - سعيد حسن البصري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع. ص 21

² - الغزالي، مقياس العلم، بيروت ب. ت. ص 25

³ - ابن سينا الشفاء من العبارة تحقيق: محمد الحضري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1970. ص 54

الحقل لتوظيفها من أجل حلّ المشاكل التي يصادفها المترجم وهو يتعامل مع النص بوصفه وحدة ترجمة.

2. الاتجاهات اللسانية المعاصرة ومناهجها:

1.2. الاتجاه البنيوي:

ترتبط اللسانيات البنيوية بصورة رئيسية على إشكالية الدلالة: الرمز بمصطلحية الأساسية: الدال والمدلول إن أي كلمة في اللغة هي رمز: واللغة تعمل بوضعها نظاما من الرموز . ويشكل الرمز بمكونيه (الدال والمدلول) نظاما من الرموز يدرسها علم السيمياء المسمى السيمولوجيا (Sémiologie) ليستخلص منها الكيفيات التي يعمل بها العدد الهائل من نظم الرموز في أي ثقافة من الثقافات، والشيء بحد ذاته لا قيمة ثقافية له إلا من خلال النظام الرمزي الذي تضيفه عليه الثقافة. وذلك عن طريق البنية والحدث، أي بين النظم الموجودة من القواعد والأحداث المفردة التي تظهر ضمن ذلك النظام¹ حيث أقرّ أنّ العلاقة بينهما أو اعتبارية لا يمكن تمييز أصولها وقواعدها، كما أن هذا الاتجاه اعتبر الرمز عنصرا اتفاقيا والعلاقة بين الدال والمدلول عرضية وهي علاقة يقبلها الناس بحكم التقليد أو العرض. والنتيجة التي نستخلصها البنيوية من هذا الأمر هو أنّ اللغة ليست نظاما جوهريا، إنّما نظام العلاقات بين الوحدات التي تشكلها، وهذه الوحدات ليس لها وجود بذاتها، بل تعتمد على نظام يحددها.

وباعتبار اللغة شكلا وليس جوهرا فإنّها تدرس العلاقات القائمة بين مجموعة عناصر في نظام يشترط كل منها وجود الآخر، إذ ليس ثمة ما هو جوهري أو قاسم بذاته في الكلمة وليس هناك بالمحصلة معنى جوهري وإنّما مغزى تفاضلي ينطوي على إبعاد تحديثه. ويذهب الاتجاه البنيوي في بحثه عن المغزى في المعنى إلى ما لا نهاية له معتبر اللغة لا شخصية تتجاوز الأفراد، لاسيما في المستوى الخطابي لها، وهذا التغييب والإبعاد للفردية والذاتية طرح مشكلة الغياب العامل (Le Sujet) في الكتابة البنيوية، حيث صار مبنيا للمجهول، أو القارئ المطلق في حياة المؤلف

¹ - حسن قبسي: كلود ليفي سترواس: مقالات في الإناسة. دار التنوير. بيروت 1983 م . ص 55-57.

وبعد موته باعتبار النص ملكية مشاعة عامة¹ إلا أننا لا ننكر أنّ التحليل البنيوي مساهم من خلال تحليل الجملة في دراسة الخطاب النص من جميع المستويات: المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي والمعجمي وحتى البلاغي وذلك باستعانتة بمعطيات العلوم اللغوية وغير اللغوية الأخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها.

2.2 الاتجاه السلوكي:

ومن أعلامه الباحث اللغوي لويس هيالمسلاف (Louis Hjelmslev) حيث راح يتابع بحثه وهو ينطلق أساسا من منهجية الباحث اللساني دي سوسير إلا أنّ اهتمامه أخذ منحى آخر باعتماده على المنطق فكان اللسان برأيه يكمن في تلك العلاقات النسقية (Glossématique) الموجودة بين وحداته التي تشكله ولا مناص له منها. بعبارة أخرى إنّ هيالمسلاف ينظر إلى واقع الحدث اللساني نظرة شكلية محضة لا يخرج في ذلك كما أشار إليه دي سوسير وهما:

- كون أنّ اللسان شكل ولا يمكن أن يكون جوهرًا.
- كون أنّ دراسة اللسان ينبغي أن تتم وفق مستويين اثنين: مستوى المضمون (Le Contenu)، ثم مستوى التعبير (L'expression)².

بناءً على ذلك راح هيالمسلاف يقوم بعملية تعميمية لهذين المبدئين (الشكل / المضمون) متوصلا في نهاية المطاف إلى أنّ الفرق الجوهرى والأساسي بين لسانين ما إنّما يكمن في الجانب الشكلي التعبيري وليس المضمون، الأمر الذي جعل منه في الأيام المستقبلية يطور من مفهوم هذه النظرية الشكلية متحجها بها نحو اتجاه آخر "... لم يعتمد في دراسته للوحدات اللسانية على مبدأ التقابل وهو المفهوم الأول لدى دي سوسير؛ لأن هذا المبدأ يؤدي بها إلى منح الوحدات اللسانية الإيجابية بينما يعتبر هيالمسلاف الوحدة في غاية السلبية أي أنّها لا تحدّد نفسها وإنما بمجموع

¹ - سليم بابا عمر، اللسانيات العامة الميسرة. دار أنوار الجزائر 1990 ص 27-28

² - Claud-Strauss: Anthropologie Structurale-Agora .Plon.1958 P7

العلاقات الشكلية التي تقيمها مع بقية وحدات اللسان¹. بالتالي تكون اللغة في رأيه غير مفعولة في الإنسان التي يعبر بها عن مخالجة من انفعال وتأثر وتأثير وغيرها من الأمور.

بالإضافة إلى أنه كان من الباحثين الأوائل الذين ذكروا مفهوم الخطاب / النص في البحث اللغوي ألتنظيري حسب ما صرح به، أن النظرية اللغوية تهتم بالنصوص وغايتها هو ذلك بالإشارة إلى الطريقة تساعد على معرفة نص ما بطريقة الوصف والمبسط ولكن يجب أن تتمكن من إظهار أيضا كيف يمكننا وبالطريقة نفسها معرفة أي نص آخر من نفس الطبيعة المتوقعة وذلك بتزويدنا بالوسائل والمفاهيم التي تشتمل هذه النصوص.² وبهذا يمكن رجوع فضل ظهور مصطلح النص في البحث اللغوي إلى هيامسلاف ولكن لم يتناول دراسته دراسة علمية واضحة المعالم.

ولا شك في أننا نريد التحدث عن واقع اللسانيات المعاصرة، فإننا نقصد بالدرجة الأولى تلك الاتجاهات النظرية التي راحت تنظر إلى الظاهرة اللغوية وفقا للمعطى الثقافي والحضاري والفكري الذي ظل حيننا من الدهر يساير مركبة الواقع السياقي بكل ملابساته الداخلية والخارجية؛ الشيء الذي أدى فيما بعد إلى اختلاف وجهات النظر وتباينها بين الأخذ والرد. ومن تم اقتضى من السياق الحالي أن تنظر كل ذات إلى الظاهرة اللغوية وفق قناعتها التي آمنت بها، فنتج عن ذلك الاتجاه التوزيعي على يد العالم الأمريكي ليفورد بلومفيلد ثم الاتجاه التوليدي والتحويلي على يد نوم تشومسكي وكذلك الاتجاه الوظيفي الذي يراهن على مفهوم التواصل بوصفه أهم الوظائف الأساسية للغة.

¹ - ينظر سليم بابا عمر م.س. ص 28

² - « En partant du texte comme donnée et en cherchant à l'indiquer la voie pour une description non contradictoire et exhaustive de celui-ci à travers une analyse in passage déductif de classe à composante et de composante. Il faut que les niveaux les plus profonds du système de définition de la théorie du langage traitent du principe de cette analyse déterminant son nature et les concepts qui y entrent. »

www.universalis.fr/encyclopédie/Prolégomènes-à-une-Théorie-du-langage/

3.2. الاتجاه التوزيعي :

لقد جاء الباحث اللساني بلومفيلد الأمريكي باللسانيات التوزيعية مبينا كيف تتوزع الأشكال اللغوية ضمن مواقعها كتوزيع الصوامت داخل المقطع واللفاظم داخل الكلمة والكلمات داخل الجملة¹. إنها طريقة تعتمد علي تحليل الحدث الكلامي عند بلومفيلد وفقا لتلك العناصر اللغوية والعملية التوزيعية التي تحدث داخل السياق التركيبي. بعبارة أخرى إن ما يمكن تحديده في الدراسة اللسانية التي توقف عندها بلومفيلد المتكلم عند تلفظه بالحدث الكلامي؛ فإن ذلك يتم تحت تأثير ظروف معينة (منبه) هذا الأخير يتطلب رد فعل (استجابة) من المخاطب²

لنظرية السلوكية الأثر البالغ في الدراسات اللسانية التي سادت في منتصف القرن العشرين؛ فهي تعد من نظريات علم نفس التي توغلت في جميع الميادين العلمية آنذاك، ومن بينها المجال اللساني فأخذت تحلل الأشكال اللغوية كما هي في الواقع اللغوي دون مبالاة بالمعنى المتواري خلف البنية الظاهرة. وقد استقى زعيم هذه النظرية- كما أسلفنا الذكر- الباحث اللساني الأمريكي بلومفيلد (1887-1939) أفكاره من واتسون (Watson) يرى عالم النفس السلوكي وكما يرى تلميذه أن الهدف علميا ومنهجيا في علم النفس لا يتركز علي برهنة وجود الفكرة أو وجود أي شيء آخر لا يخضع للملاحظة المباشرة. وبهذا فإنه (بلومفيلد) يعزل كل المعطيات التي لا تخضع للملاحظة المباشرة أو ما يسمى بالجانب المادي للظاهرة. ورأى بلومفيلد أن العلماء في غنى عما يسمى بالذهنية أو العقلية لشرح قدرات الإنسان ونشاطاته. وهذا يعني أن اللغة ليست

¹- David crystal: Introducing Linguistics; penguin English Linguistics; clays ltd, England.1992. P: 26.

²- لقد ظهرت هذه المدرسة التوزيعية في الولايات المتحدة سنة 1930، وتميز مذهبها بعلاقته بعلم النفس السلوكي الذي كان مهيمنا آنذاك على الولايات المتحدة. فقد كان بلومفيلد صاحب أول نمط للبنوية التوزيعية وطبق في ميدان اللسانيات فرضيات السلوكيين حيث كان يعتبر الأحداث اللسانية ظواهر سلوكية من نوع خاص، فكل تصرف من اجل التبليغ يفترض أن يرسل المتكلم تحت تأثير ظروف معينة (منبه) أصواتا تتطلب رد فعل (استجابة) من المخاطب. ويشكل هذا الثنائي (منبه/استجابة) المعنى الذي يتماشى مع الأصوات المرسلة أي المتلفظ بها، ولذا فعلى الباحث اللساني أن يوضح العلاقة الموجودة بين الأصوات المتعاقبة من جهة والمنبه الذي يطلب استجابة الأفراد من جهة أخرى». سليم بابا عمر. م.ن.ص:35.

إلا شكلا من أشكال السلوك المرئي فأهمّل الجانب الذهني مثل العقل، التصور، الفكرة وكذا التحليل النفسي الخاضع للاستبطان وأقرّ بالمنهج الاختياري الذي يقوم علي ملاحظة السلوك الخارجي (الظاهر). وفي هذا المقام يورد لنا مثاله المشهور في تلك العلاقة الكائنة بين (جاك) و(جيل) ما نصه: «كان (جاك) و(جيل) يسيران في إحدى الطرق فلمحت (جيل) تفاحة علي إحدى الأشجار وبما أنها جائعة طلبت (جاك) أن يأتيها بها، صعد (جاك) إلي الشجرة وقطف التفاحة ثم أعطاها ل (جيل) فأكلتها»¹

فسر بلومفيلد هذه الحادثة بقوله: «إن الجوع عند (جيل) أي تقلصات بعض العضلات في المعدة التفاحة التي رأتها أي تموجات ضوئية صادرة عن التفاحة قد وقعت علي عينيها، يشكلان المنبع وكان يحتم علي (جيل) أن تذهب إلي الشجرة بنفسها لقطف التفاحة ولكنها عوضا عن ذلك أحدثت رد فعل منبه أخذ شكل متوالية خاصة من الأصوات المصوغة مع موجات الكلام وكان هذا بمثابة منبه بديل (لجاك) الذي اندفع نحو الشجرة كما لو كان هو الجائع الذي رأى التفاحة»²

وعليه يُعدّ التواصل اللغوي نوعا من الاستجابات لمثيرات تقدمها البيئة أو المحيط وقد أسقط تصوراته علي الظاهرة اللغوية فكان حصيلة ذلك كله أن أقر مبدئيا أن الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لا تعدو أن تكون الموقف الذي يقوم فيه المتكلم المستمع المثالي للغة بالإنتاج الفعلي للحدث الكلامي ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع؛ ذلك أن المتكلم حين أدائها الفعلي للحدث الكلامي يكون قد قام باستجابات نطقية لمثيرات ما تخضع لحافز البيئة أو المحيط، دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير، إذ أن اللغة في نظر السلوكيين لا تعدو أن تكون «...عادات صوتية يكتفيها حافز البيئة»³. إذ يبقى التحليل يقي محدودا ولا يمكن تعميمه وتطبيقه علي جميع المفردات اللغوية، ويمكن الإشارة في هذا السياق إلي

¹ - منذر عياشي: النظرية التوليدية ومناهج البحث عند تشومسكي. مجلة الفكر العربي المعاصر. ع 40 مركز الإنماء القومي.

بيروت. 1986. ص: 33.

² - المرجع نفسه، ص: 33.

³ - المرجع نفسه، ص: 33.

أن «التفسير السلوكي للدلالة اللسانية قد يكون ناجحاً إلى حد ما في تفسير بعض الكلمات ذات الإحالات المحسوسة التي يمكن لنا معاينتها في الواقع اللغوي بناءً على مظاهرها الفيزيائية. لكن علي الرغم من ذلك سيظل هذا التحليل محدوداً بحيث لا ينطبق علي الجانب الأعظم من الكلمات اللغوية، ربما تلك هي المعضلة التي جعلت بلومفيلد يقلل من شأن التحليل الدلالي ويستبعده مؤقتاً من منهجه الوصفي باعتبار أن التفسير العلمي الدقيق لمدلولات الأشكال اللسانية يتطلب معرفة العالم المتكلم»¹.

ولكنه يعود ليصرح في جانب آخر بأهمية الدراية الدلالة بقوله: «لكي تقدم تعريفاً صحيحاً علمياً عن معنى كل شكل لغوي، لابد لنا من أن نملك معرفة صحيحة علمية عما يكون عالم المتكلم؛ إذ التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية»².

وبهذا التصريح يلغي بما آمن به وحاول تطبيقه منتظراً نتائجه ومع هذا فقد واصل إقصائه للمعنى وتخلي عن التحليل الدلالي في وصف النظام اللساني، ولكن هذا لا يمنع من أن الفضل يرجع إليه في الوصف البنية التركيبية وصفاً بنيوياً تاماً من خلال منهج خاص في التحليل انفرادي، وأصبح يسمى بـ مدرسة بلومفيلد أو الاتجاه التوزيعي، وبذلك يكون التوزيع منهجاً في الجانب التحليلي اللغوي انتهجته مدرسة بلومفيلد.

قام بلوم فيلد بتحليل علم النفس السلوكي وبإسقاطها علي المنهج الوصفي أو ما يسمى بـ (التوزيعية) بمعنى توزيع الوحدات اللغوية وفق طريقة استبدال وحدة لغوية بوحدة أخرى من أجل تعيين القسم الذي تنسب إليه من أقسام الحدث الكلام. لقد قام هذا النهج علي أساس الوظيفة بداية، لكن سرعان ما تغير هذا اللفظ واستبدل بكلمة (توزيع)؛ والمقصود منها الإشارة إلى موقع العنصر اللساني بالنسبة إلى العناصر المحيطة، ومن ثمة فقد «يحدد توزيع عنصر بأنه مجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر (أ) يتكون من تركيب العناصر التي ترد فيه، أي العناصر الأخرى التي تتوافق كل منها في موقع معين مع العناصر في تركيب كرمي، والعناصر التي ترد مع العنصر (أ) في

¹ - أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، م.س، ص: 153.

² - المرجع نفسه، ص: 105.

موقع معين يدعى انتقاء هذا العنصر لهذا الموقع»¹. ويكون بهذا دون المتكلم مجسدا في انتقاء مصطلحاته في الموقع المناسب واختيار وحداته في الترتيب المناسب له والمتحقق لمحتوى كلامه. كما التوزيعين بوصف ما يجري علي السطح المنطوق أو المكتوب معتبرين في الوقت نفسه البحث فيه مثل البحث في المنهج عقيم وجعلوا المعاني موضوعا لدراسة علماء النفس ورأوا أنها «وحدات عقلية أشبه بالألغاز تخرج تماما عن نطاق علم معقول»². وعليه راحوا يصرون علي استبعاد المعنى كليا من التحليل اللغوي لصعوبة إخضاعه للدراسة الوصفية ذات المنهج العلمي الدقيق. يقوم بلومفيلد في هذا الصدد ما نصه: «إن دراسة المعنى وتحليله هو أضعف نقطة في دراسة اللغة وسيظل الأمر علي هذا النحو تصل المعرفة الإنسانية إلي مرحلة أكثر تقدما مما هي عليه الآن»³.

إن تحليل الدلالة يتطلب وصفا علميا كاملا للأشياء والحالات والعمليات ترمز إليها الكلمات؛ الأمر الذي يصعب تطبيقه علي معظم الكلمات ويسهل علي بعضها مثل أسماء النباتات أو الحيوانات أو بعض المواد الطبيعية. ومع هذا فإن الفضل يعزى إليهم في وصف البنية التركيبية وصفا بنيويا وقد اعتمدوا في ذلك علي منهج التحليل إلي المؤلفات⁴ والمقصود منه هو ذلك «التحليل الذي عن طريقه تفكك بنية الجملة ليس علي أساس أنها مؤلفة من طبقات مرصوف بعضها أكبر من بعضها الآخر إلي أن يتم تحليل الجملة إلي عناصرها الأولية إلي المورفيمات لكون المورفيم وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل»⁵.

هذا في حين تنقسم هذه المؤلفات إلي قسمين: مؤلفات مباشرة وهي القابلة للتحليل إلي مؤلفات أصغر، ومؤلفات نهائية وهي المؤلفات غير القابلة للتحليل إلي مؤلفات أصغر. ولا بأس أن

¹ - المرجع السابق. ص: 104.

² - نهاد الموسي: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظرية اللغوية الحديثة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الأردن. ص: 32.

³ - جان ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية: ترجمة: حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1995. ص: 70.

⁴ - م. ن. ص: 106.

⁵ - إن المورفيم عند التوزيعين يختلف عنه عند اللسانيين الأوروبيين المعاصرين، فهو يدل على الوحدة النحوية مقابل الوحدة المعجمية. ينظر في هذا الصدد. احمد حساني. م. س. ص: 106-107.

نعطى مثالا علي ذلك حتى يتضح لنا جليا واقع هذا التقسيم الثنائي بشكل جيد، وليكن النموذج التالي من الجملة العربية وهو: (أنتكم سحابة السماء) التي يمكن تحليلها إلي مؤلفين مباشرين ثم تحليل كل مؤلف إلي مؤلفين أيضا وهكذا إلي أن نصل إلي مؤلفات نهائية لا نستطيع بعدها التحليل إلي وحدات أصغر، ويمكن تمثيل ذلك بواسطة ما يسمى عند التوزيعيين ب: صندوق هوكات¹.

أضحى هذا النمط من الجانب التحليلي يسعى إلي وصف البنية التركيبية للغات من أجل ضبط الأشكال اللسانية في أي لغة من اللغات وتصنيفها، ووصل هذا التحليل إلى ذروته هاريس (Harris)² وهو قطب من أقطاب المدرسة التوزيعية الذي نشر كتابه عام 1951م عن المنهجية الشكلية في اللسانيات³. وقد أثر كثير في تلميذه تشومسكي صاحب النظرية المشهورة (النظرية التوليدية/التحويلية). وهذا ما ظهر في كتابه الأول بوضوح (البنية التركيبية) عام 1957م وتراجعت فيه المفاهيم التوزيعية لتحل محلها المفاهيم الجديدة وتبلور أكثر فأكثر في كتابه الثاني عام 1965م والموسوم ب: أوجه مظاهر النظرية التركيبية).

وأول ما قام به تشومسكي إزاء المذهب السلوكي تمحور حول عرض سكينر (Skinner) كتابه السلوك اللغوي عام 1959م، إذ رأى بأن «المصطلحات العلمية الفخمة والإحصاءات المؤثرة التي استعملها السلوكيون في دراساتهم ما هي إلا لون من ألوان الخداع والتمويه يخفون به عجزهم

¹ - المرجع السابق، ص: 109.

² - باحث لساني أمريكي ولد سنة 1909م. شغل منصب أستاذ في بانسيلفانيا وقد سار في الطريق الذي رسمه بلومفيلد في دراسته للحدث اللساني. يعد من أقطاب واضعي النظرية التوزيعية في حقل اللسانيات، حيث راح يستخدم في دراسته الرياضيات كوسيلة لإبراز الخصائص الشكلية لواقع اللغة، غير انه سرعان ما بدت له حدود هذا المنهج فلجا مباشرة إلى إدخال عنصر الجانب التحويلي لتوسيع نظريته وتطويرها، الأمر الذي اتخذته فيما بعد تلميذه تشومسكي وهو ينطلق لوضع نظريته التوليدية التحويلية. ينظر سليم بابا عمر. م. س. ص: 144.

³ - رأى هاريس بان الدراسة اللسانية ينبغي أن تنبني أساسا على السياقات الخطية بمعنى على معطيات صوتية فقط لتحديد من خلالها أقسام الخطاب بموقعها وليس بوظيفتها التركيبية العامة. والمبدأ الأساسي المعتمد في هذا هو أن لكل وحدة لغوية توزيعا اقترانيا خاصا بها ... والتوزيع - في اعتقاده - هو مجموع السياقات التي تظهر فيها الوحدة وهذا التوزيع هو الذي يميز الوحدات المختلفة عن بعضها. ينظر في هذا الصدد. سليم بابا عمر. م. ن. ص: 37-38. بشيء من التصرف.

عن تفسير الحقيقة البسيطة التي تقول إن اللغة ليست نمطا من العادات، وأنها تختلف جوهريا عن طرف الاتصال عند الحيوان»¹.

لقد عارض تشومسكي أيضا النظرية التوزيعية علي أساس أن «التحليل اللغوي لا ينبغي أن يكون وصفا لما كان قد قاله المتكلمون، وإنما شرح وتعليل للعمليات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بجمل جديدة»². وبهذا نجده ينتقل من النزعة التجريبية المعتمدة علي المنهج السلوكي كونه تبنى في البداية أفكار أستاذه (هاريس) إلي النزعة الذهنية القائمة علي تعليل وتفسير الحدث الكلامي والقدرة الضمنية التي تظهر هذه الأشكال؛ فابتعد بذلك عن أفكار أستاذه، ولكن هذا لم يمنعه من إهمال الدلالة والعزوف عنها كما فعل السلوكيون ثم يعود ليستقل عن أفكارهم في كتابه (البنى النحوية) ملحا علي ما أسماه ب: (القدرة الخلاقة للغات الإنسانية) جاعلا من نظريته التوليدية نظرية تعكس قدرة الإنسان واستعداده الفطري علي إنتاج وفهم جمل لم تقل ولم تسمع من قبل؛ فأراد بذلك تجاوز الوصف البنيوي والإجابة عن جملة من التساؤلات أهمها:

كيف يمكن للمتكلم أن يخرج هذه السلسلة من الأصوات؟ كيف يخرجها من الناحية الفيزيولوجية؟ ما هي القدرة التي تمكنه من إخراج اللفظ الدال؟³ فالتكلم يكتسب القدرة اللغوية في أي لغة من اللغات المترجم بذلك تلك المعاني الكائنة في ضميره إلي أصوات يحدثها جهازه الصوتي.

¹ - احمد حساني: م.س.ص: 109.

² - جان ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: 37.

³ - المتكلم يعرف لغته التي يتعلمها أي ما يسمى بالفطرة، فهو مزود بجهاز يحد اللغة ويحصرها بناء على دلائل تجريبية محدودة. أما فيما يخص التجربة الخارجية فلا تساهم إلا بقسط ضئيل ومحدود. وقد صاغ هذا المشكل (برتراند راسل) في التساؤل التالي: ما الذي يجعل المخلوقات البشرية التي لها الاتصال قصير وشخصي بالعالم قادرة على معرفة الكم الهائل الذي تعرفه؟ فالتعلم للغة في محيطه لا يواجه تجربة محدودة ومع ذلك فهو يتوصل إلى تعلم خصائصها. ينظر في هذا المقام بالتفصيل. عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي، نظرية بناء الكلمة وبناء الجملة. ط 1. دار توبقال. المغرب. 1990م. ص: 19. صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1992. ص: 50.

اهتم تشومسكي أيضا بهذه الأغراض والأصوات الموجودة في الدماغ وأهمل بذلك آلية إحداث الأصوات ونتيجة لذلك اتجه إلى تحليل تركيب اللغة اعتمادا على حدس المتكلم ومعرفته الداخلية أو الضمنية لقواعد لغته؛ إذ أن الحدس هو الذي يكشف إما عن الالتباس في بعض الجمل، وإما يبين التعادل القائم بينها. وقد كان الحدس اللغوي عنده شيئا ثانويا في مرحلته الأولى، ولكنه أولى له أهمية كبرى في مرحلته الثانية رافضا بذلك تطبيق القوالب الجاهزة مسبقا على اللغات معتقدا في نهاية المطاف أن مصدر المعلومات الملائم في التحليل اللغوي هو الحكم النابع من الحدس الذي يصدره الناطقون بتلك اللغة.

إن ما سنتناوله بالتفصيل في النصر الموالي في نظريته التوليدية التحويلية بشيء من التفضيل والإيضاح؛ الأمر الذي نعتقده بأنه يقربنا من بعد الإشكالية لاسيما في الجانب التطبيقي عند تعاملنا مع واقع المذكرات وعلاقتها بالجانب التعليمي الديدانكتيكي.

4.2 الاتجاه التوليدي والتحويلي (Grammaire Générative) :

تأسس الاتجاه التوليدي والتحويلي على أنقاض الاتجاه التوزيعية القائم على توزيع العناصر اللغوية التي ترد داخل السياقات التركيبية علي أن هذه الأخيرة تعد عملية وصفية تتم فقط على مستوى الجانب السطحي من البنية اللغوية دون مجاوزتها إلى البنية العميقة؛ الذي يفسر بوضوح تأثير نوم تشومسكي بآراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت خلال القرن السابع عشر والتي كان ديكرت من أشهر أعلامها لذلك كانت آراؤها عن طبيعة اللغة عميقة للغاية ومناقضة تماما للسطحية التي تميزت بها آراء سابقه¹. من هذا المنطلق راح تشومسكي يهاجر في كتابه (التركيب النحوي للبنية اللغوية) آراء ب.ف.سكينر.

يرى تشومسكي أن اللغة عبارة عن ملكة فطرية² تظهر في تلك القدرة الكائنة في ذاتية المتكلمين علي فهم وتشكيل ما لا يتناهى من الجملة المختلفة، وذلك من خلال نسق بصوري يشكل فعلا-

¹ - يمكن الرجوع إلى نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية. الكويت. 1970م. ص: 112-113.

² - تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة. ترجمة: حمزة بن قبالان المزيبي. دار توبقال. المغرب. 1990. ص: 16-17.

في اعتقاده - ذلك النظام الإدراكي للجانب العقلي. هذا النسق المتناسك والمحدد وراثيا قوامه جملة من المبادئ الثابتة والقواعد العامة يطلق عليها في كثير من السياقات ب: (الكليات النحوية) معتقدا بأن لها القدرة في التحكم في جميع اللغات البشرية؛ الأمر الذي يجعل من هذه الكليات تشكل موضوع (النحو الكلي) الذي يهتم أساسا بتفسير الحال الأول السابقة علي كل تجربة بالنسبة للملكة اللغوية دون أن ينسى في سياقه هذا كيفية اشتقاق اللغات المخصصة من المبادئ العامة عن طريق المتغيرات اللغوية المقترنة بها والتي تستطيع في الوقت نفسه أن تتخذ أوضاعا مختلفة لكي تولد القواعد الخاصة بكل لغة¹.

عمليات الفهم والتكلم والعلم، وبصورة يتدخل فيها النشاط الإبداعي مع ترجمة المبادئ العامة لنحو الكلي بأشكال وصيغ تختلف وتتغير باختلاف الأداءات وتغير الاستعمالات، ووفق هذا المنطلق فإن النظرية التوليدية التحويلية بوصفها تعالج واقع اللغة من خلال مقولة النحو الكلي ذي الأساس الفطري، تفتح علي ضربين من القراءة: الأول تفسير اللغة من خلال مقولات الطبيعة والدماغ أو الضرورة والآلة. أما الثانية فإنها تفسر الوقائع اللغوية من يذهب تشومسكي في كثير من المقامات إلي أن الطفل لا يتعلم اللغة عن طريق الخبرة والمهارة والاكتساب، لأنه يتمثل أساسا ومن غير وعي نسقا إدراكيا هو الذي يفسر خلال مقولات العقل والثقافة أو الحرية والإبداع أو التوليد والتحويل².

إن ما تركز عليها النظرية التوليدية والتحويلية التي جاء بها تشومسكي علي الأوساط الألسنية والفكرية وذلك عن طريق كتابه (البنى التركيبي) وهي نظرية يستعد فيها آراء ومواقف القائلين بالملكات الفطرية والطبائع الثابتة بقدر ما يعارض تلك الرؤى التي راحت تركز عليها المدرسة السلوكية والتجريبية علي الساحة الأمريكية في معالج الوقائع اللغوية. ومن ثم فلا مانع في أن نشير إلي جانب النقدي الذي وجهه تشومسكي للاتجاه السلوكي التوزيعية لبلومفيلد في نقاط

¹ - م.ن.ص: 17-20.

² - م.ن.ص: 20-21.

نراها تساعد القارئ علي إدراك أهم المرتكزات التي اعتمدها تشومسكي يوم قدم نقده لهذا الاتجاه اللساني التوزيعي وهي علي نحو التالي:

يصف نوام تشومسكي الاتجاه التوزيعية السلوكي بأنه اتجاه بسيط يجعل الإنسان شبيها تماما بالحيوان. وذلك حين اعتبر السلوك اللغوي عند الإنسان عبارة عن منبهات واستجابات المتوالية تكون الحدث الكلامي، تماما ما يحدث عند الحيوان-مثال ذلك تجربة بافلوف مع الكلاب- التي كان يقدم لها بعد كل منبه صوت جرس-قطع لحم. وفي مرة قدم لها المنبه دون لحم، فاستجابت الكلاب للجرس بسيلان اللعاب عند غياب اللحم. يعتبر واقع اللغة عند بلومفيلد جملة من العادات الصوتية يكتيفها الحافز البيئي؛ حيث يشعر المتكلم بشعور معين أو ربما يسمع جملة معينة فتتولد عنده استجابة كلامية دون أن ترتبط هذه الاستجابة الأخيرة بأدنى شكل من أشكال الجانب التفكيري، ويرى بلومفيلد أن الحدث الكلامي يتحكم فيه عنصر البيئة فالتكلم لا يراعي الجانب الفكري في حديثه بقدر ما يراعي الجانب الشعوري.

يعارض نوم تشومسكي هذه المبادئ التوزيعية علي لا تستطيع أن تفرق بين السلوك الإنساني والحيواني، ومن ثم راح يعتبر اللغة هي وحدها التي تميز الإنسان عن الآلة والحيوان فهي في الواقع الحقيقي غير خاضعة لأي حافز مهما كان. لأن اللغة هي ملكة الإنسان وحده لا يشترك فيها لا الحيوان ولا غيره مع بني الإنسان، ولأنه لا تخضع لأي مثير علي حد رأي تشومسكي.

يعتبر تشومسكي عدة سياقات أن السياقات التوزيعية تدرس الجانب السطحي للحدث الكلامي دون أن تغوص في البنية العميقة، ومن ثم فهي تحمل من حسابها التنظيم الفعلي والعقلي الواقع اللغة، لقد اعتمد تشومسكي في دراسته لنظام اللغة علي البنية العميقة للحدث الكلامي، وهو يعتبرها مهمة ورئيسية في بنائه وذلك علي عكس بلومفيلد الذي أهمل في أبحاثه أهمية العقل وعلاقته باللغة.

كما يرفض تشومسكي بشدة أن يقتصر عمل الباحث في المجال اللغوي علي تسجيل المطيات اللغوية ووصفها؛ حيث إن هذا المنهج لا يفي بالغرض العلمي والموضوعي للدراسة اللسانية، علي أساس أن هدف الدراسة اللسانية يتجاوز دراسة المعطيات لذاتها ويتوخى عن

القواعد العقلية التي تتحكم في اللغة الإنسانية¹. يؤكد تشومسكي أن يكون البحث في بنية السلوك اللغوي بعمق للكشف عنها، أفضل من متابعة المعطيات وربطها بالوصف، وذلك لجل الوصول بالبحث اللساني في قمة العقل والعقلانية.

1.4.2. معالم النظرية التوليدية /التحولية:

يتمحور الإطار الإستمولوجي للنظرية التوليدية/التحولية التي جاء بها نوم تشومسكي والتي قامت علي أنقاض الاتجاه التوزيعية حول النقاط التالية:

- يحاول تشومسكي في نظريته اللسانية إحياء بعض المفاهيم التقليدية العائدة إلي القواعد الفلسفية أو اللسانية الديكارتية كما يسميها في كثير من السياقات.

- يرى تشومسكي إن الدراسات اللسانية التوزيعية والوصفية بشكل عام أخطأت حينما ابتعدت عن المبادئ الفلسفية المتأثرة بفكر ديكارت.

- استنفد تشومسكي المعطيات النظرية الخاصة بالمبادئ التوزيعية، اعترف بضرورة العودة إلي المسائل التي أثارها القدماء وإعادة استكشافها وتبني منطلقاتها العقلية ومحاولة إسقاطها علي الظاهرة اللغوية المرغوب في دراستها².

- في رأي تشومسكي أن تلك المبادئ العقلانية الديكارتية لا تنم عن رغبة لديه في إحياء القديم أو التمسك به، بل إن التطور الذاتي لواقع اللسانيات هو الذي قاده إلي مثل هذا السلوك والإقرار بعدة مبادئ فلسفية أساسية رآها تخدم فعلا الحدث اللساني في الوقت الذي ابتعدت عنه اللسانيات التوزيعية كلية.

¹ - الحاج صالح ياسين: اللغة والفكر: بعض التأملات في موضوعات مبدئية مجلة النهج. العدد 11، صيف. 1997م. ص: 85-87.

² - محمد مراد: المسار الجديد في علم اللغة العام(دراسات لغوية حديثة). ط 1 . مطبعة الكواكب دمشق. 1986م. ص: 93-101.

- إنَّ المفارقة المنهجية للبحث اللساني التي انتهجها تشومسكي عبارة عن مفارقة بين النزعة العقلانية والنزعة التجريبية، ثم بعدها كرست النتائج المحصل عليها في مجال البحث اللساني قصد دحض الفكر السلوك الخارجي حول طبيعة الحقل الإنساني .

- يرفض تشومسكي في عدة سياقات ذلك التحليل اللغوي القائم علي الجانب الوصفي، وأقر علي أن تقوم الدراسة اللسانية علي مبدأ الشرح والتحليل بالنسبة للعلاقات الذهنية التي من خلالها يمكن الإنسان أن يتكلم بعدد هائل من الجمل التركيبية¹.

استطاعت هذه النظرية التوليدية/التحويلية أن تعرج بالبحث اللساني من منهج يتوخى معطيات الجانب النفسي السلوكي إلي منهج عقلي همه الوحيد من الدراسة اللغوية هو استكشاف تلك القدرة الكائنة للسان ثم بعدها السعي من أجل تعليله وتفسيره بدلا من وصغه وتقريره.

2.4.2 مكونات النظرية التوليدية/التحويلية:

تقوم النظرية التوليدية/التحويلية علي مجموعة من القواعد التي تعمل علي ضبط العمليات النحوية لتوليد التراكيب ولها القدرة علي تفسير البني التركيبية التي تكون في نهاية المطاف ما يسمى باللغة الطبيعية، وهي تتفرع إلي ثلاثة مكونات أساسية: المكون التركيبي، ثم الدلالي، ثم الفونولوجي.

المكون التركيبي: (Composant Syntaxique)

وهو المكون الوحيد الذي يفرد لكل جمل بنية عميقة تجعل لها تفسيرا دلاليا وبنية سطحية تمثل التفسير الفونولوجي لواقع الجملة. ونعني بالبنية العميقة ذلك «المشير الضمني الذي تولده القواعد الركنية، والذي يتم إجراء التحولات عليه لبناء الجمل في البنية السطحية»²، بمعنى وضع الحدث الكلامي في دماغ المتكلم دون أن يشعر به؛ فالبنية العميقة هي بنية مجردة وذهنية. وعندما تحدث عملية ترتيبية في المخارج والحروف (عملية التلفظ) يحصل تغيير علي مستواها وتنشأ بذلك

¹ - المرجع السابق، ص: 162.

² - احمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية. ص: 128.

البنية السطحية، ولا تدرك البنية الخفية إلا بتتبع عمليات التحويل التي يقوم بها المتكلم عندما يتكلم.

أما البنية السطحية فهي «نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكون التركيبي ونعني بها الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا؛ فهي ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة، ويتم تحديد التفسير الصوتي بعمل غيرها»¹ ومن ثم فإن المكون التركيبي يتكون أساسا من مكونين اثنين:

مكون الأساس:

ينطوي المكون الأساس علي قواعد إعادة الكتابة التي ينطلق فيها تشومسكي من فكرة أساسية وهي كيفية اشتقاق الجملة وهو يرمز إلي عملية إعادة الكتابة بالسهم ← أي أن ما قبل السهم يعاد كتابته بما بعد السهم وذلك قصد بيان العلاقة القائمة بين المكونات الجملة؛ حيث يحصل علي ما يسمى بأركان الجملة. وتساهم هذه القواعد في توليد البنية العميقة للجملة المولدة. وعليه يتم توليد المتواليات الكلامية التي تأخذ شكلها النهائي في البنية السطحية بعد إجراء التحويلات عليه.

• العامل التحويلي:

يتكون المكون التحويلي من قواعد معينة تسمح بتحويل البنية العميقة المولدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلي بنية سطحية وهي تخضع البنية العميقة إلي عدة تغيرات من تقديم وتأثير، وحذف وزيادة، حتى تصل بها إلي شكلها الصوتي النهائي الذي تأخذه في البنية السطحية.²

• العامل الفونولوجي:

وهو الذي يحدد الشكل الصوتي للجملة المولدة في المكون التركيبي وهو يخضع لقواعد فونولوجية خاصة بكل لغة.

¹ - المرجع السابق، ص: 128.

² - Noam Chomsky : Structures Syntaxiques. La Hague, Paris, 1969.P : 15.

• العامل الدلالي:

في هذا الصدد يرى شومسكي أن التراكيب ليست مجرد تجاوز ألفظ؛ بل إن أساسا التركيب عنده يتمثل في المجموعة العلاقات المعقدة بين الكلمات، حتى ولو لم تكن متجاوزة بل إن هذا النوع هو الذي يأخذ حيزا كبيرا من اهتمامه. وهذه العلاقات تمثلت عنده في مستويين: الشكل العميق أي النحو في معناه العام، والشكل السطحي أي المستوى الصوتي، وكل طرف يؤثر في الآخر ويتلاحم معه مع بروز الثاني علي الأول¹.

ويشترط تشومسكي مع سلامة الجملة من حيث تركيبها النحوي أن تكون متماشية مع قياس اللغة ؛ فتكون بذلك الجملة سليمة من حيث تركيبها النحوي (Grammaticalité) ومناسبة لمدلولات اللغة المعنية (Acceptabilité) ولتوضيح ذلك يورد تشومسكي مثاله المشهور².

– أحلامنا الخضراء التي لا لون لها تنام بلطف.

Colorless green ideas furiously

– غاضبة تنام أحلامنا الخضراء التي لا لون لها.

Furiously colorless green ideas.

الملاحظ أن الجملة الأولى سليمة من حيث الجانب النحوي، ولكنها خالية من المعنى الصحيح وأنها من حيث الاستحسان غير مقبولة في الحديث اليومي ولا في المنطق والمعتقول؛ إذ لا يعقل أن تكون هناك أفكار خضراء، ثم تكون بدون لون في الوقت نفسه ثم بعدها تنام غامضة أيضا. أما الجملة الثانية فتجمع بين عدم السلامة النحوية وعدم الاستحسان من حيث المعنى. ويمكن أن تكون الجملة الأولى مقبولة من ناحية الصورة الشعرية أما من ناحية الحديث اليومي المتفق عليه فلا.

¹ – CF. Ibid. p : 16.

² – CF. Ibid. PP : 16-17.

لا يقف تشومسكي عند هذا الحد وإنما يبتعد إلى أبعد من ذلك حين نجده يقسم المكون الدلالي إلى مجالين اثنين: مجال له علاقة بالمعجم، ثم مجال له علاقة بقواعد الإسقاط. ففي مجال المعجم عبارة عن قائمة من المداخل المعجمية تتميز بسمات فونولوجية وتركيبية ودلالية. وهو يسند لكل كلمة معنى أوليا بمعنى انفراد كل كلمة بمعنى أولي داخل المعجم وخارج السياق الحدث الكلامي. أما في مجال قواعد الإسقاط فهي عبارة عن القواعد التي تقرر بين الوحدات المعجمية والبنى التركيبية التي يولدها مكون الأساس، ومن ثم يكون التوصل بهذه الطريقة إلى مدلول الجملة. ويمكن تمثيل ذلك بمثال من أجل تقريب هذه المعاني بشكل واضح وهو علي النحو التالي: أكل الرجل تفاحة¹ إذ اعتبر تشومسكي الجملة وحدة لغوية أساسية، وقد عرفت الجملة في النحو التحويلي علي أساس أنها هي «مجموعة من العبارات تخلقها ميكانيكية القواعد في النموذج التوليدي»² غير أن البنية السطحية للجملة لم تفسر دلاليا في المرحلة الأولى من تطور النظرية، أما في مرحلته التالية فقد فسرت نحويا ودلاليا.

تحدث تشومسكي عن طريقة إنتاج الجمل في حديثه عن القواعد ذات الحالات المحدودة (الجدولية) فقد اعتبر هذه القواعد جهازا لتوليدها ؛ إذ يقول في هذا السياق ما نصه. «ولنفترض جهازا يستطيع المرور بعدة حالات نهائية، ولنفترض أن هذا الجهاز يصدر لكل تحول من حالة إلى أخرى رمزا لغويا (نقول كلمة إنجليزية)؛ إذ يبدأ من نقطة بدء وينتهي إلى نقطة انتهاء. ولنفترض أيضا أن الجهاز ينتقل من نقطة البدء ليمر بسلسلة من الحالات تنتج كلمة مع كل تحول حتى نصل إلى الحالة النهائية، ويسمى هذا التتابع في الكلمات المنتجة جملة»³ معنى ذلك أن تشومسكي يشبه هذه القواعد بجهاز يبدأ من نقطة بدء وينتهي إلى نقطة انتهاء، وبين البدء والانتهاه يمر بنقاط أخرى وأثناء مروره بكل نقطة ينتج أو يولد رمزا لغويا (كلمة مثلا) حتى يمر بها جميعا ويصل إلى النهاية فيكون قد أنتج سلسلة مترابطة من الكلمات تتوقف كل كلمة منها علي كلمة التي تليها وتسمى هذه السلسلة المترابطة بالجملة.

¹ - احمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص: 131.

² - محمد نخلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية. ط 1 دار النهضة العربية للطباعة والنشر. مصر. 1988 م. ص: 14.

³ - CF. Noam Chomsky : Structures Syntaxiques. P :22.

أما القواعد التركيبية (الركنية) فقد حلل فيها الجملة إلى مكوناتها مستفيدا من التحليل إلى المكونات (المؤلفات) الذي ينظر إلى الجملة لا باعتبارها خطأ أفقيا من الكلمات بل باعتبارها بناء متدرجا يتكون من طبقات كل طبقة أكبر من الطبقة التي تليها، ويكون ذلك في تقسيمات ثنائية حتى نصل إلى طبقة صغرى لا نستطيع بعدها تقسيمها وهي (الفونيمات). وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين¹.

- لا تعتمد هذه القواعد على السياق مثل القواعد التي تقسم الجملة إلى مركب اسمي، ومركب فعلي؛ فهذا التقسيم لا يعتمد على السياق وإنما يتم مستقلا عن المحيط اللغوي. معنى ذلك أن الرمز اللغوي غير مرتبط بما يحيط به من رموز.

كما تركز على قواعد السياق كقاعدة المطابقة بين المبتدأ والخبر في كثير من اللغات².

3-الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي Competence/Performance:

يعرف تشومسكي الكفاية اللغوية بقوله «معرفة المتكلم بالمستمع للغة أي القدرة الضمنية التي يمتلكها المستمع والتي تخول له إنتاج عدد لا حصر له من جمل لغته الأم على أساس أنها حقيقة كامنة وراء الأداء الكلامي. أما الأداء الكلامي أو اللغوي فهو الإنجاز الفعلي للغة في الظروف المحسوسة»³. ومن ثم راح يدخل تشومسكي على المصطلح الأول (الكفاية اللغوية) ما يمتلكه من معرفة حدسية التي «...تتيح للفرد معرفة إمكانية تكوين جملة ما أو عدم إمكانية ذلك في لغته التي يتكلم بها. كما يتيح له الحكم على سلامتها أو بعدها عن الصواب»⁴؛ فالتكلم

¹ - محمد نخلة. م. ن، ص: 48.

² - المرجع نفسه، ص: 48-49.

³ - محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية. ط1. دار نوبار للطباعة. القاهرة. 1994م. ص: 214-215.

⁴ - المرجع نفسه، ص: 215.

يعرف لغته التي يتكلمها بتلك الفطرة التي جبل عليها¹؛ ذلك أنه مزود بجهاز اللغة ويحصرها بناء علي دلائل تجريبية محدودة.

ومن خصائص الكفاية اللغوية- في نظر تشومسكي - أنها قادرة علي إنتاج عدد غير محدود من التراكيب، وقادرة علي تقديم التفسير الكافي والشافي لتلك البنى المنجزة في الواقع وذلك وفق النظام القواعدي لواقع اللغة. وقد عول كثيرا علي القدرة الإبداعية للعقل الإنساني متأثرا في ذلك بالفلسفة الديكارتية التي تهتم بما توفره هذه القدرة الإبداعية من «آلية ضمنية قادرة علي توليد عدد لا يحصى من البنى اللسانية في إطار التماثل الموجود بالقوة بين الفكر واللغة»² وهو في هذا السياق يري أن الغالبية العظمى من الجمل في أي نص مدون هي جمل جديدة، بمعنى أنها ترد مرة واحد ومرة واحد فقط بعبارة أخرى أنه «...يبقي صحيحا مهما طال تسجيلنا لما ينطق به المتكلم»³.

يفرق - تشومسكي - بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي إنما يفرق في كثير من السياقات التركيبية بين الملكة والقدرة⁴ إذ القدرة اللغوية يمكن أن تزول في حال المرض وتستعاد عند الشفاء،

¹ - يرى عز الدين إسماعيل في مقدمة كتابه (مقدمة المترجم) أن كلا من (دي سوسير) و(لارين) يؤكدان فكرة وجود نظام نحوي في عقل كل متكلم، وأن اللغة بوصفها نظاما من العلامات والعلاقات هي الشرط اللازم لكي يكون الكلام مفهوما. وهذا ما فسره تشومسكي بوجود النحو العالمي الفطري الذي يولد به الإنسان، وقد فسر ذلك شكري عياد بقوله: "إن إدراك العلاقات اللغوية قائم في الإنسان بالفطرة مهما يكن جنسه أو وطنه، ولكنه يكتسب من بيئته شكلا معينا من أشكال هذه العلاقات وهو لغته الأم وليس ثمة ما يمنع من أن نتصور هذه المقدرة وقد بلغت مستوى مثاليا بحيث لا تعجزها - قولا أو فهما - جملة ما يمكن أن يقال في هذه اللغة، فهي تقبل كل ما هو صحيح وتفهمه، وترد كل ما هو خطأ تنكره، فهي ترجع في قبولها أو رفضها إلى عدد محدود من النماذج الأساسية، ثم مجموعة من القواعد التحويلية بحيث يمكنها تشكيل عدد محدود من الجمل التي لم تسمعها أو تقرأها من قبل" ينظر في هذا السياق بالتفصيل عبد العزيز حمودة: المرايا المخدبة، نحو نظرية نقدية عربية. مطابع الوطن. الكويت. 2001م. ص: 208.

² - أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص: 75.

³ - مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1. 1989م. ص: 235.

⁴ - يقترب مفهوم الكفاية اللغوية من مفهوم اللسان عند دي سوسير، والأداء بالحدث الحدث الكلامي. ولكننا نجد للملكة اللغوية مفهوما أقرب عند (ابن خلدون) في تقديمه لمفهوم الملكة (في مقدمته). للاطلاع علي هذا المعنى بالتفصيل؛ ابن خلدون: المقدمة. ص: 711.

أما الملكة فهي ما يبقى علي أساس أنها «بمثابة النظام الإدراكي والنسق الصوري الداخل في تركيب العقل أو الدماغ»¹.

خلاصة القول أن النظرية (التوليدية/التحويلية) ذات دور هام في الحقل المعرفي لإعطاء نموذجاً معرفياً لفهم الوقائع اللغوية انطلاقاً من العوامل النفسية والعقلية، المنفية في الاتجاه الوصفي والتجريبي. ومن ثم كان هدف تشومسكي ليس وصف اللغة؛ بل إنه الاهتمام البالغ بتفسير الكفاية اللغوية الكامنة وراء مبادئ ثابتة، وبالتالي فهو ينطلق من المبادئ متجهاً نحو الوقائع علي عكس المذاهب السالفة الذكر. وهذه مفارقتها الثانية كونه لا يدرس الواقعة اللغوية في المجتمع كما هي بخواصها وشدوذها، وإنما يعتمد علي متكلم نموذجي ليستبعد عن نظريته كل ما لا تستطيع تفسيره وهو بذلك يعمل علي التستر علي نقائص نظريته النموذجية كما يسميها في كثير من السياقات.

لقد ركز تشومسكي اهتمامه علي البحث عن نحو كلي وشامل يسير رفق الظاهرة اللغوية بكل مستوياتها الداخلية والخارجية، وهو بذلك تعامل مع النحو بمنطق تقليدي؛ لأن هذا الأخير لا يحتاج إلي دراسة عمودية لمراحل تطوره إلي نحو كلي بقدر احتياجه إلي دراسة أفقية تتضمن المفاهيم والقوانين والأسس. وبناء علي ذلك فإن تشومسكي وبعد مرور أكثر من أربعين سنة لم تزل نظريته التوليدية تؤمن بمقولة الكليات الفطرية ولا يزال صاحبها يدافع عنها مما جعله يشتغل كحارس لها هدفه الوحيد هو صوغها من المستجدات والمتغيرات وهو الحال الذي يتحول فيه الجانب التفكيرى من إنتاج وإبداع إلي حالة من الثبات تقوم أساس علي تثبيت أطروحة مكان أخرى.

ظل الأمر هكذا إلي غاية تحقق ذلك الاحتكاك المعرفي بين واقع اللسانيات والحقول المعرفية؛ الشيء الذي أفرز من هذا الحقل اللساني أن انقسم إلي قسمين اثنين: داخلي وخارجي. ففي القسم الداخلي نجده يتمركز أساساً علي تلك الدراسة اللغوية التي لا يمكن لها الخروج عن

¹ - علي حرب: السؤال اللغوي، تشومسكي ومأزق النحو التوليدي من النحو الكلي إلي المنطق التحويلي. مجلة الفكر العربي المعاصر. ع102-103. مركز الإنماء القومي. بيروت. 1998م. ص: 78.

المستويات الثلاثة وهي: المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، ثم المستوى الدلالي. أما القسم الخارجي فنتج عنه أن انقسمت اللسانيات إلى ما سمي ب: اللسانيات النصية، التطبيقية، واللسانيات الأنثروبولوجيا، واللسانيات الجغرافيا وهلم جرا. ولما كان المسار الذي اخترناه لهذه الدراسة ينصب أساسا علي ذلك التقاطع المعرفي الذي حصل بين اللسانيات التطبيقية وحقل علم النفس التربوي الذي أفرز فيما بعد بما سمي ب: حقل التعليمية علي مستوييه: الداخلي والخارجي. بعبارة أخرى تعليم اللغات للناطقين بها ولغير الناطقين بها ثم المستوى الثاني تركز أساسا علي تعليمية الترجمة؛ هذا الأخير الذي راح يأخذ الكثير من الإجراءات النظرية والتطبيقية التي انفرد بها وأهله للتحلي بالشرعية العلمية والموضوعية وهو يقتحم عالم المعرفة بشتى صورها وأشكالها. ومن ثم أفردنا الفصل الثاني أساسا لتلك العلاقة الحميمة بين اللسانيات وتعليمية الترجمة لنخلص في نهاية المطاف إلي ذلك الإجراء التطبيقي علي واقع المذكرات التي جعلناها نموذجاً في هذه الدراسة.

4. لسانيات النص:

إن لسانيات النص (Linguistique Textuelle) هي علم ناشئ، وحقل معرفي جديد، تكوّن بالتدريج في السبعينات من القرن العشرين، وبرز بديلاً نقدياً لنظرية الأدب الكلاسيكية التي توارت في فكر الحداثة، وما بعد الحداثة، وراح هذا العلم الوليد يطوّر من مناهجه ومقولاته حتى غدا أهم وافد على ساحة الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد نشأ على أنقاض علوم سابقة له كلسانيات الجملة واللسانيات البنيوية والأسلوبية، ثم انطلق من معطياتها، وأسس عليها مقولات جديدة، وهو قريب جداً من صنوة تحليل الخطاب، غير أن هذا الفرع الأخير يقوم على أساس التحليل البنيوي، أما فرع لسانيات النص، حتى وإن استثمر جميع النظريات اللسانية السابقة عليه، فهو يقوم في الأعم الأغلب على أساس التحليل التداولي، وأهم ملمح في لسانيات النص أنه غني متداخل الاختصاصات، يشكل محور ارتكاز عدة علوم، ويتأثر دون شك بالدوافع، ووجهات النظر، والمناهج والأدوات، والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم.¹

¹ - محاضرات الأستاذة دندوقة، لسانيات النص، ص113.

حددت اللسانيات المعاصرة جغرافية الخطاب عند حدود الجملة، حيث حظيت هذه الأخيرة بالاهتمام والدرس، بوصفها وحدة تتوافر على شرط النظام، وهي غير قابلة للتجزئة، وإذا أمعنا النظر في ماهية الخطاب على أنه ملفوظ يشكل وحدة جوهرية خاضعة للتأمل، فإننا نجد أنه ليس إلا سلسلة من الجمل المتتابعة التي تصوغ ماهيته في النهاية.¹

وهنا ظهر مأزق اللسانيات أو محدوديتها بتعبير أصبح في معالجة إشكالية الخطاب، لأنها حصرت في نطاق الجملة التي يعرفها أندريه مارتيني (André Martinet) بأنها أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وتامة للخطاب. غير أن هذا لا يفضي إلى عجز الدراسات اللسانية في عدم قدرتها على معالجة قضايا أكبر من الجملة، وبالتالي عدم عجزها عن تحليل الخطاب. فهناك تباين في تحديد بنية الظاهرة اللغوية. فعلماء اللغة يعرفون الكلمة بأنها وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها، والجملة تتشكل من "مجموع الوحدات التي يصح أن يقف بينها (الكلمات) بالإضافة إلى درجة الصوت والتنغيم والمفصل، ونحو ذلك مما يدخل في إيضاح المعنى".²

فالخطاب إذا مجموعة جمل تتوافر على شرط النظام. وقد أفردت اللسانيات الخطاب بدراسة مستقلة وهذا يفسر عدم عجز اللسانيات على دراسة ما هو أوسع من الجملة من الخطاب إلى النص.

1.4 الفرق بين الخطاب وبين النص:

يفترض الخطاب وجود سامع يتلقى هذا الخطاب، بينما يتوجه النص إلى ن تلقى غائب يتلقاه عن طريق القراءة، أي أن الخطاب نشاط تواصل ي تأسس - أولا وقبل كل شيء - على اللغة المنطوقة، بينما النص مدونة مكتوبة، فكما قال "روبير اسكاريت" اللغة الشفوية تنتج خطابات بينما الكتابة تنتج نصوصا.

¹ - المرجع السابق، ص 103.

² - المرجع نفسه، ص 103.

الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره؛ أي أنه مرتبط بلحظة إنتاجه، بينما للنص ديمومة الكتابة، فهو يقرأ في كل زمان ومكان، وعليه فكل منهما يحدد بمرجعية القنوات التي يستعملها، الخطاب محدود بالقناة النطقية بين المتكلم والسامع وعليه فإن ديمومته مرتبطة بهما لا تتجاوزهما، أما النص فغنه يستعمل نظاماً خطياً وعليه فغن ديمومته رئيسية في الزمان والمكان. وعلى الرغم من هذه الفروق إلا أننا نجد من علماء اللغة ودارسيها من لا يفرق بين الخطاب والنص، أمثال: ((جينيت - تودوروف - فاينريش)).

2.4 التماسك النصي:

تهتم لسانيات النص بقضية التماسك والانسجام؛ لأنها ما يجعل النص نصاً، ويحقق للنص تماسكه جملة من العناصر اللغوية اللفظية كإحالة التي يقسمها علماء اللغة إلى قسمين: قبلية تربط الملفوظات بما قبلها، وبعدية تربطها بما سيأتي، والتكرار، حيث تؤدي إعادة اللفظ إلى تأكيد ما في النص من معاني، والتتابع... الخ.

وأهم أدوات التماسك الإحالة بنوعيتها، حيث تساهم بشكل فعال في ربط السابق من أجزاء النص باللاحق، وهي قسمان: إحالة قبلية وبعدية.

الفصل الثاني

مفاهيم الترجمة
وأهم النظريات الترجمانية

1. الترجمة ونظرياتها:

1.1. الإطار النظري للترجمة:

إن الإطار العام الذي تكونت في رحابه نظرية الترجمة هو ذلك التفاعل الحاصل ما بين علم اللغة بوصفه حقلاً معرفياً متكاملًا، والترجمة بوصفها ممارسة تقنية تقوم علي مهارات فنية. تلك المهارات التي أرادت أن تأخذ لنفسها الشرعية العلمية بغية تأمين عملية الترجمة ويزداد الأمر حرصاً علي الموضوعية والأمانة في مجال ترجمة النصوص المقدسة وهكذا استثمرت الترجمة الأسس والمفاهيم العلمية من حقل اللسانيات فأفرزت ما أصبح ينعت في الدراسات الترجمة ب: نظرية الترجمة أو علم الترجمة النظري (Traductologie) وفي ضوء هذا التوجه الجديد ظل التساؤل قائماً، هل يمكن عد الترجمة علماً أو فناً؟ وما هي الأسس التي ينبغي أن تؤطر هذا أو ذاك التصور. وفي هذا الصدد، يحيلنا جورج موناك على حقيقة مفادها أن الترجمة فن قائم علي معايير علمية، بمعنى أن قضاياها وإشكالاتها ومسائلها يتم التطرق إليها ومعالجتها في حلقه التصور العلمي¹.

وفي ضوء هذا التطور المنهجي لحقل الترجمة شهدت ساحة البحث في هذا المجال جملة من النظريات هدفها الرئيسي هو تأطير المسائل والإشكالات العملية في الترجمة تأطيراً علمياً بإمكانه أن يسطر برنامجاً تعليمياً يشرف علي تكوين كفاءات متخصصة في هذا المجال. ومن حملة هذه النظريات نقف علي أبرزها فيما يلي:

1.1.1. نظرية الترجمة القواعدية:

من أبرز أعضائها ديسباتي (Despati) وكاتفورد (Catford) وفيناوي وداريلي (Vinay et Darbelnet)، وتعتمد هذه النظرية في الترجمة وتعليم الترجمة علي رؤية التي ترى بأن الترجمة ممارسة علمية ولغوية علي أنها ترتبط بالنقل القواعدي، ولما كانت من هذا المنظور نسق من القواعد صوتية وتركيبية ودلالية وجب أن تكون الترجمة علمية استبدال تلك القواعد من أنساق لغوية أصل إلى أنساق لغوية هدف. وفي هذا الصدد يعرف كاتفورد (Catford) الترجمة علي أنها «استبدال قواعد

¹ - ينظر جورج موناك. المسائل النظرية في الترجمة. م.س.ص: 22-25.

ومفردات لغة الأصل بما يكافئها من قواعد ومفردات لغة الهدف»¹، ومن ثمة ينطلق هذا الموقف الافتراضي من تحديد اللغة علي أنها نظام رمزي في بنية قواعدية محددة فيما يترك المعنى خارج الأنساق» وتعتبر مهمة الترجمة تحويل رمز برمز آخر لذلك يفترض بالإشارة اللغوية أن تكون موضوعية بالأساس بحيث يسمح لتوافق واحد بواحد بين الأنظمة الرمزية»².

وعليه يعول هذا الإجراء النظري في الترجمة علي مستوى اللغة (Langue) مع إقصاء الكلام (Parole). ومن هنا تبينت هذه النظرية الأساليب الحرفية في النقل مع إهمالها للفوارق الثقافية للغتين. ويرتكز هذا التوجه في تعليم الترجمة علي ما يسمى ب: القواعد المقارنة أو الأسلوبية المقارنة، وذلك من خلال تمييز الذي أورده تشاو بين المبدئين التاليين:

مبدأ القواعد التقليدية (Traditionnel Grammar Méthode) ومبدأ الغوي الشكلي (Formel Linguistico Méthode) على أن يتم اعتماد المبدأ الأول في تعليم الترجمة للمبدئين الذين لا يتقنون اللغة الأجنبية، في حين اعتمد المبدأ الثاني في المراحل متقدمة من تعليم الترجمة؛ هذه الأخيرة التي عايشت تطور الدراسات اللغوية مع المنهج البنيوي الوصفي. ويمثل هذا المبدأ أساسا الباحث الألسني والمنظر كاتفورد من خلال كتابه الموسوم ب: النظرية اللغوية في الترجمة³.

2.1.1- نظرية فيدروف:

وضع فيدروف نظرية لتعليم الترجمة ودراستها، في كتابه "مقدمة في نظرية الترجمة" (traduction la de théorie la à Introduction) الصادر في موسكو، وبدأ بتخصيص الدراسة العلمية للترجمة بهدف إرساء دراسة عملية يثبت فيها أنها ذات طبيعة لغوية، وأن كل نظرية للترجمة لابد من إدراجها ضمن التخصصات اللغوية. وتعرضت نظرية فيدروف إلى المجال التعليمي للترجمة من خلال اللغات الأجنبية، حيث أعلن أن مجال علم اللغة في دراسة الترجمة له مكانة مميزة من حيث صلته بأساسه نفسه.

¹ - محمد شاهين: نظريات الترجمة. م. س. ص: 12-22

² - المرجع نفسه. ص: 22.

³ - المرجع نفسه. ص: 22.

ويعالج فيدوروف المشكلات الرئيسية لترجمة النصوص كالتالي:

أ-المشكلات المعجمية: re Difficultéslexical d'ord

أولاً عند استدعاء الحاجة إلى صياغة مصطلح جديد غير موجود في اللغة الهدف، يلجأ المترجم لصياغة مصطلح جديد، بالرجوع إلى العناصر المعجمية والصرفية للغة الهدف مرتبطين بسياق النص الهدف الذي يحتوي على الكلمات أو التعابير التي هي بحاجة إلى صياغة مصطلحية. ثم يقدم ثلاث اختيارات لنقل المعنى عند الحاجة وهي:

- 1- عدم وجود مكافئ معجمي لكلمة في اللغة المترجم منها وإلها.
- 2- المكافئ غير تام، بمعنى أنه يغطي جزئياً معنى الكلمة الأجنبية.
- 3- وجود كلمات مختلفة في لغة النص الهدف مقابل معان مختلف لكلمة محل إشكال في اللغة الأصل.

ب- المشكلات النصية: Difficultés textuelles

قدم فيدوروف إسهاماً في مجال تطبيق النظريات على النصوص المتخصصة. فهي إحدى أولى المحاولات المنهجية في حقل النصوص اللغوية. ويشير فيدوروف على أهمية المصطلحات عندما يقول: إن ترجمة النص تواجهنا فيه مشكلات المصطلحات، وحتى الكلمات العامة التي تكتسب معاني جديدة.

1.1.3-نظرية إيجان نيدا:

ويمثل هذه النظرية الباحث الألسني والمنظر إيجان نيدا (E.Nida) وتشاو وزملاؤه الذين يعتبرون الترجمة عملية نقل معنوية مصاحبة للملابسات الثقافية. ومن ثمة فاللغة في رأيهم هي الثقافة في حد ذاتها وما مهمة الترجمة إلا التوقف عند وصف وشرح رؤية العالم من أمة ما إلى أمة أخرى. وتستمد هذه النظرية مرجعيتها اللسانية بمقولة نسبية اللغات (إدوارد سايبوروليت جامير ليوورف) على أن تكون اللغة طريقة مختلفة لتحليل التجربة في رؤية العالم انطلاقاً من تعدد اللغة

من هذا المنطلق. وتعد الترجمة في هذا السياق عملية اتصال بين الثقافات (Interculturelle) مما يزيد في تعقيد مهمة المترجم الناتج عن مشاكل الفوارق الثقافية الكثيرة بين اللغتين المعنيتين تبعا للاختلافات في الجوانب البيئية والحضارية بشكل عام¹.

وتتميز هذه النظرية عادة بين مبدئين مختلفين: مبدأ الثقافي الدلالي (Semantic Method) (Ethnographical) ومبدأ التكافؤ الديناميكي (Dynamics Equivalence Method) ويستثمر أنصار هذه المبدأ الأول في تعليم الترجمة من خلال تبيان الخلافات الثقافية والحضارية بين الشعوب مبرزين الجوانب الانفعالية حيال عناصر محددة ومتميزة لثقافة ما. أي ما يمكن أن يكون منها متأصلا في مفرد تركيب لغوي معين وعادة ما ينعت هذا في عرف منظري الترجمة بـ:

العبارات الاصطلاحية (Les Expressions Idiomatiques)²، ومن هذه الزاوية يتمرس دارسو الترجمة علي التمارين الدلالية التي تمكنهم من تحديد الفروقات اللسانية الخاصة بكل لغة؛ في حين يعول أنصار هذه النظرية علي مبدأ التكافؤ الديناميكي الذي يعطي الأولوية للأثر الديناميكي الذي يحمل نفس الشحنة الدلالية للنص المترجم منه في النص الأصلي. علي أن يتم التركيز في هذا المبدأ علي استجابة القراء والمتلقين التي تكاد تكون متكافئة لتأثير النص الأصلي. وإن هذه الرؤية بهذا التفسير لا تكاد تخرج عن نطاق التجربة التواصلية. وعلي غرار ذلك فإن هذا المبدأ يشغل علي مستوى الكلام (Parole) ويرتبط هذا المبدأ بصفة مباشرة بالمنظر الألسني (E.Nida) علي الرغم من الإشارات المنهجية التي عرضها سابقا في حقل الترجمة من خلال ما يسمى بـ: مبدأ تأثير المكافئ (L.Coller) والترجمة التواصلية (P.Newmark) والترجمة الثقافية لـ: (Catford)³.

¹ - المرجع السابق. ص: 25.

² - ينظر. J.Claude. margot : traduire sans trahir (la théorie de la traduction et son application aux textes biblique. Ed. L'Age d'homme. p : 243.

³ - ينظر محمد شاهين. نظريات الترجمة وتطبيقاتها. ص: 28.

4.1.1- النظرية التفسيرية:

من أشهر أنصارها ليفيفر (Lee fifer) وديوغراد (de Beaugrande) وشتاينر (Steiner)؛ حين نشطت هذه النظرية في رحاب ما يسمى بـ: لسانيات النص¹ التي تقضي بضرورة التحلي عن الوحدات الدنيا لدراسات اللغة وهي (المورفيمات، المونيمات، بمعنى المفردات، الجمل، والتراكيب) والتركيز بالمقابل علي النص

باعتباره الوحدة الأساسية للفحص. ومن هذا المنطلق وسعت نطاق اهتمامها من مستوى اللغة إلى مستوى الكلام. وقد صاحب ظهور هذه النظرية تطور الدراسات اللغوية فيها يعرف بـ: لسانيات النص والسيمائيات وغيرها²، تلك الاتجاهات التي ركزت على وحدة النص ووظائفها مقارنة مع السياق اللغوي والاجتماعي. وتذهب هذه النظرية إلى أن «الترجمة في الأساس عملية نقل نص لنص وليست بين لغتين أو ثقافتين.. ومهمة المترجم ليست مطابقة لرموز النص الأصلي مع رموز النص الهدف، ولكن لتفسير النص الأصلي أي إعادة تركيب معناه أولاً ثم نقله إلى قارئ لغة الهدف»³.

وعادة ما يميز أنصار هذه النظرية بين مبدئين أساسيين: مبدأ تحليل النصوص (The text analysis method) والمبدأ التأويلي (The Hermeneutic Method)، ففي مجال تعليمية اللغات يعتمد منظرو هذا الاتجاه من خلال مبدأ تحليل النصوص علي تدريس مستمر علي اكتساب حساسية اتجاه استعمال اللغة والكتابة بالأساليب مختلفة وأنواع النصوص مختلفة، مع مراعاة نوعية النصوص بحسب قابليتها للترجمة وعلاقة ذلك بالممارسة الترجمة بشكل عام؛ وهي من هذا المنطلق تركز علي فكرة السجل (Register) وفي تصنيف النص وصوما تضمنه من

¹ - فرع من علم اللغة يعني بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماثله ومحتواه الإبلاغي). رمزي منير بعلبكي: معجم من

علم اللغوية الإنجليزي عربي مع 14 مسردا عربيا. بيروت. لبنان. دار العلم للملايين، ط 1 يونيو 1990، ص 502

² - محمد علي الخولي: معجم اللغة النظري الإنجليزي-عربي مع مسردا عربي-إنجليزي. بيروت. مكتبة لبنان. ط 2. 1991. ص: 252.

³ - محمد شاهين: نظريات الترجمة وتطبيقاتها. ص: 30.

مفاهيم عامة مثل حقل (Field) والطريقة أو قناة الاتصال (Mode) ودرجة الرسمية (Ténor)¹. في حين يعتمد المبدأ الثاني (المبدأ التأويلي) الذي يستمد أصوله من الفلسفة الألمانية وتحديدًا مع تأويلية جادامير ووجودية هايدجر في تعليم الترجمة في مراحلها المتقدمة من خلال نقد النصوص وإعادة بنائها، وذلك باعتبار تركيزه الدقيق علي مسألة السياق في مستوى تفاعل القارئ مع النص ومدى تأثيره وتأثيره بحيث يعود الاعتبار في نهاية المطاف إلى ذاتية القراءة، وبالتالي إلى الترجمة الحرة. ويمكن الإشارة إلى أن تعليم الترجمة باعتبار المبدأ التأويلي مهمة تأخذ عاتقها بحركة القارئ ويلجأ بعدها مباشرة إلى تأويل السياق تأويلاً سيميائياً².

4.1.1- نظرية أنواع النصوص (The Text Typological Model):

من أبرز ممثليها ج. شميت (J.Chmidt) وسيقفريد (Sigfried) وهالداي (Halliday) ورايس (Reiss) ونوبرت (Neubert) وغيرهم ممن اشتغل بحقل لسانيات النص ونظرية النص. ثم إن نظرية أنواع النصوص تقوم أساساً بإجراء تصنيفات عديدة ومتنوعة للنصوص بحسب وظائفها وفعالياتها. ويستفيد حقل تعليمية الترجمة من هذه النظرية في برمجة التدريب علي تقنيات الترجمة في مستويات متفاوتة فمثلاً «عندما يدرك متعلم الترجمة كيف يحلل النص؛ فإنه يصبح قادراً علي بناء سياقه وربط السياق بالبنية»³. بالإضافة إلى ذلك يستثمر حقل تعليمية الترجمة من هذه النظرية مبدأ تجزئة النصوص وإدراك وظيفة كل جزء وذلك في ضوء ما يسمى بالبنية الصغرى والكبرى ضمن الفعل الاتصال الكلي.

¹ - المرجع السابق، ص: 33.

² - Jean Delisle nous a décrit l'activité de la théorie sémiotique dans l'opération traduisant comme (dans un processus créateur, il est impensable d'opérer un transfert de signes sans procéder au préalable à une analyse de l'information dont les signes sont porteurs, et sans tenir compte du supplément d'information nécessaire à leur juste interprétation) Jean Delisle : L'Analyse de discours comme méthode de traduction. Ed : Universelle Ottawa Canada. 1980 p : 52

³ - محمد شاهين. نظريات الترجمة وتطبيقاتها. م.س.ص: 38.

وفي ضوء هذا التفسير الذي قدمته نظرية أنواع النصوص أجريت عدة تقسيمات كانت تنطلق تبعاً للاعتبار الذي توليه العملية أو الممارسة الترجمة، ومن ثم يمكننا أن نحصي هذه التقسيمات وفق كل اعتبار وهي على النحو التالي:

- باعتبار فعالية وظيفية للنصوص على النحو الذي قدمته ك. ريس
- باعتبار الوظيفة التواصلية الأساسية مثل التصنيف الذي قدمه كل من دييغراند ودرسال.
- في حين نجد أشهر تصنيف لواقع النصوص المتعامل بها في العملية الترجمة وذلك بتفصيل مميز استطاع أن يقدمه كل من ورليش (Werlich) وحاتم (Hatim) إنما يتمحور أساساً في النقاط التالية:

- نصوص عرضية (Expository) وتنقسم عادة إلى:
- وصفية (Descriptive): وتستعمل أساساً لوصف الأغراض والعلاقات وغيرها.
- سردية (Narrative): وتستعمل لرواية الأحداث.
- مفاهيمية (Conceptual) وتستعمل لتحليل وتركيب المفاهيم.
- نصوص جدلية (Argumentative): وتستعمل أساساً لتقييم الحوادث أو الكتابات أو المفاهيم. ويمكن تقسيمها إلى نوعين:
- جدل صريح: ومثال ذلك الرسالة إلى المحرر.
- جدل ضمني: على نحو ما نجده في المناقشة الفنية في الافتتاحية.
- النصوص التوجيهية (Instructional Texts): وتهدف أساساً إلى تخطيط وتوجيه السلوك المستقبلي للناس المخاطبين وهي تتمحور حول نقطتين أساسيتين:
- توجيه بخيارات: كالذي نجده في الدعاية والإعلان.

توجيه بدون خيارات على نحو ما نجده في المعاهدات والعقود والوثائق القانونية¹.

وبهذا يتحقق للمترجم المؤهل تحقيق قراءة موضوعية للغة المصدر وإنتاج نص مماثل للغة الهدف مع الحفاظ على نوعية النص المصدر تبعاً لما يسمى بمبدأ التكافؤ الوظيفي (L'équivalence Fonctionnelle).

2 مناهج الترجمة

في الواقع إن مناهج الترجمة تستمد أصولها من جانبين: الجانب النظري والجانب التطبيقي، ويجر الحديث عن مناهج الترجمة إلى الحديث عن المبادئ الأساسية في هذا المجال ألا وهي البرمجة Programmation والتخصص Spécialisation والترجمة التطبيقية La Traduction Pratique²، ومن ثم فإن مناهج الترجمة بشكل عام تأخذ منعطفاً تقنياً تسعى من خلاله إلى تحقيق فاعلية الترجمة انطلاقاً من استثمار جل النظريات التي توقفنا عندها في المقام السابق. وبناءً على ذلك تسعى هذه المناهج إلى توفيق بين الطروحات والنتائج المستخلصة من هذه النظريات بغية الوصول إلى منهاج يستهدف تمكين المترجم من الإلمام بهذا المجال، وذلك بتحقيق شروط الترجمة باعتبار الإلمام بالترجمة عامة والمتخصصة على وجه الخصوص موقوف على العناصر التقنية التالية:

* الكفاءة في الحقل المعرفي (مجال الاختصاص).

* الكفاءة في اللغات الأجنبية مع التركيز على لغة الاختيار (Langue de choix).

¹ - محمد شاهين م.س.ص: 43.

² - L'enseignement... ne vise pas à transmettre des recettes mais un savoir faire, à enseigner à faire des traductions qui ne seraient pas l'application d'équivalence apprises antérieurement, à expliquer des principes plus qu'à enseigner des faits, à mettre au point des exercices destinés à faire passer dans la pratique ce que l'exposé théorique a fait comprendre, puis à faire basculer dans l'automatisme ce qui, une première fois, a été le fruit d'un effort). CF. J. Delisle. Ibid. p : 35-36

* الإحاطة الموسوعية للمترجم من جملة من المعارف الإنسانية¹ ضمن هذا الإطار يمكن تحديد فعل الترجمة من منظور الاختصاص تبعاً لتقنيات تحليل الخطاب.

إلا أن واقع تعليمية الترجمة في هذا المجال قد سجلت عجزاً ملحوظاً في تسطير برنامج شامل وموحد لتقرير المادة التعليمية وتوجيهها وتوجيهها بيدagogia وعلمياً، ويزداد الأمر حدة وتعقيداً حينما يتعلق الأمر بإنجاز ساحة البحث العربي في هذا المجال.

1.2- الترجمة من منظور الاختصاص

يتفق جل الباحثين من أهل الاختصاص بأن المترجم لا يكون بإمكانه أن يقدم يتخصص في شتى الحقول المعرفية التي يحتاجها ومن ثمة فإن كل توجه في الترجمة يتعين عليه أن يسطر برنامجاً تعليمياً يتناسب مع طبيعتها النظرية، فبينما تركز بعض المدارس على المعرفة التقنية وتؤجل المعرفة الإنسانية والأدبية في الأطوار المتأخرة يحصل العكس تماماً لدى باقي المدارس من حيث إنها توالي الأهمية في الصدارة بالمعرفة الأدبية والإنسانية بشكل عام. وعلى غرار هذا وذاك يتفق المنظرون في حقل الترجمة أن التخصص ضرورة لا مناص منها ولازمة لذلك استوجب أن يشمل هذا الأخير كلا من تقنية الترجمة وطبيعة المادة المعرفية. كما أن التخصص يفيد في تنظيم الممارسة الترجمة، برمجتها ضمن العمل المؤسسي. مما لا شك فيه أن التخصص يقوم أساساً على التدريب العملي للمترجمين في المستويين: النظري والتطبيقي على أن يكون جزءاً لا يتجزأ من مناهج الترجمة وخاضعاً من جهة أخرى للإشراف والمراقبة الأكاديمية.

وفي ضوء ذلك تعين على ساحة التنظير في حقل الترجمة ابتكار جملة من النماذج أو المناهج تختلف في درجة صعوبتها وطولها وتوجهها، إلا أنه يبقى التصور الفردي طابعاً مميزاً على تلك المحاولات والجهود المكثفة. والجدير بالذكر أن تلك الإجراءات العالقة بالترجمة بهذا التصور العلمي قد بدأ متأخراً في الدراسات اللغوية والترجمة بالنظر إلى البحث التطبيقي والنظري في مجال الترجمة، على أن الإرهاصات الأولى في هذا المجال بدأت في العهد الثاني من القرن العشرين على نحواً نصادف محاولات جماعة من الباحثين في جامعات ألمانيا الغربية من مثل: جامعة ماينس

¹ – CF.J. Delisle. P : 38

(Mains)، وجامعة زاربروكن (Serbruken)، وذلك ما بين سنتي 1932 و1948م تلك المحاولات التي أشرف عليها كل من فيلس (Wilss) وكوفني (Coveny) وكايزر (Keiser) وهورن (Horn) وكاتارينا رايس (Reiss) والتي طالما استهدفت مناهج الترجمة والترجمة الفورية على السواء¹.

2.2- منهج فيلس (Wilss) التعليمي:

يقدم لنا فيلس وصفا دقيقا ومتكاملا لمنهج يستهدف الترجمة والترجمة الفورية² والذي طالما تقررت برمجته في جامعة زاربروكن بألمانيا على أن يضم هذا المنهج مرحلتين أساسيتين هما: منهج أساسي يتألف من أربعة فصول يستهدف تعليم المعلمين وتكوين المترجمين لما يتضمن لغتين أجنبيتين بالإضافة إلى لغة الأم، ومن أبرز خصائص هذا المنهج :

- التدريب اللغوي المكثف، بحيث يتم تخصص الفصلين الأولين لإتقان اللغتين الأجنبيتين بالاعتماد على الطرق الحديثة لتعليم اللغة الأجنبية، وبخاصة الطرق السمعية البصرية وذلك في الأطوار الأولى، بينما يؤجل تعليم الترجمة إلى الفصل الثالث للفصل بينها وبين تعليم اللغات الأجنبية.

- تمارين الترجمة، يبدأ الإجراء من الفصل الثالث بحيث تعطى دروس مكثفة في الترجمة في اتجاهين، وعلى غرار ذلك تقدم المادة التعليمية بصفة تطبيقية تجمع ما بين علم اللغة العام والترجمة النظرية³.

3.2- منهج كايزر (Keiser):

يقوم هذا المنهج الكايزري أساسا على تجسيد تلك التطبيقات العملية التي تعد من القوام المرتكز من قبل منهجية تعليمية الترجمة على أساس أن الطالب من منظور هذا الاتجاه أو المنهج

¹ - ينظر محمد شاهين. نظريات الترجمة وتطبيقاتها. ص: 84.

² - المرجع نفسه، ص: 85.

³ - ينظر محمد شاهين. نظريات الترجمة وتطبيقاتها. ص: 85.

يوضع أساسا في مواجهة مباشرة مع واقع النصوص، الأمر الذي يجعل من المتعلم فعلا تتكون لديه القدرة الكافية لعملية الاستجابة التي تحدث بينه وبين المعلم¹.

4.2- منهج كوفي (Coveny) :

يرى كوفي إلى أن إنجلترا تفتقر إلى حد بعيد لوجود مدارس مستقلة تعني بالدرجة الأولى تعليمية الترجمة تماما ما تذهب إليه المدارس الأوروبية على نحو ما نجده عند كل من: مدرسة جنيف بسويسرا ومدرسة زاربروكن بألمانيا، حيث نجد هيئة متخصصة في تصميم البرامج العالية في حقلي: الترجمة والترجمة الفورية من أجل تكوين مترجمين تقنيين وفي الوقت نفسه تجاريين. كما يرى كوفي في سياق آخر بأن جامعة هيربوت الواقعة في اسكتلندا تعد الجامعة الوحيدة في بريطانيا التي استطاعت أن تضع بحق المناهج بمستواها العلمي للترجمة بعامة والترجمة الفورية بصفة خاصة حيث يمنحون للطلاب الذي يقدم في الدراسات العليا اختيار لغتين من أربعة لغات وهي: اللغة الفرنسية، والألمانية، والروسية، والإسبانية يدرسها الطالب خلال أربعة أعوام كاملة دون إغفال تلك الخلفية الاجتماعية والثقافية والحضارية لكل لغة، الأمر الذي يؤهل الطلب فعلا لأن يتزود برصيد معرفي غزير وخلفية ثقافية متينة وهو كله يخدم من قريب أو من بعيد تلك المصالح التي تؤمن بها المنظمات الدولية من خلال إنشائها لهذه المدارس المتخصصة في تعليم الترجمة على مستوييها المنطوق والمكتوب².

5.2- منهج هورن (Horn) :

يقوم هذا المنهج التعليمي البيداغوجي فيما يقوم عليه على تجسيد بعض المواد التي ينبغي أن تدرس خلال أربع سنوات، حيث تكون السنة الأولى مركزة أساسا على دراسة الآداب والجانب الأسلوبي، ثم في السنة الثانية الانتقال إلى ذلك الجانب التطبيقي التجسدي للترجمة من لغة إلى لغة أخرى حيث يتم من خلال ذلك اكتساب الطالب تلك المهارات الفنية التي تجعله فعلا يدرك

¹ - ينظر صالح بلعيد م.س.ص: 29-30. وذلك من خلال حديثه عن أثر المنهج التقليدي في الممارسة البيداغوجية التعليمية.

² - ينظر محمد شاهين. نظريات الترجمة وتطبيقاتها. ص: 91-93..

واقع اللغة وما ترتكز عليه من البنى الثقافية والاجتماعية والسياسية والعقائدية التي تؤمن بها. وفي السنة الثالثة يكون التركيز أساسا منصبا على العملية التلقينية والتعليمية بالنسبة للترجمة التطبيقية وذلك عن طريق نصوص مختلفة ومتنوعة، وفي السنة الرابعة تكتمل للطالب شخصيته المعرفية والفكرية وكذا الجانب التعامل مع واقع النصوص الأمر الذي يجعله فعلا قادرا على العملية الممارسة لحدث الترجمة¹.

6.2- منهج كاتارينا رايس (Katerina Reiss) :

ترى كاتارينا رايس أن مناهج تعليمية الترجمة ظل حينا من الزمن يوظف توظيفاً لا يتماشى والواقع الذي يسير وفق المعطى الحقيقي الذي تنبني عليه العملية البيداغوجية التعليمية فيما تعلق الأمر بقضية تعليم اللغات. إنها رؤية تهدف فيما تهدف إليه هو محاولة تجسيد عملية تفريق بين واقع حركية الترجمة وتلك المقررات الأكاديمية التي ظلت زمنا طويلا تتحكم في زمام المسار المنهجي المتبع من قبل الدراسات بشكل عام والدراسات الترجمة على وجه الخصوص. ومن ثم راحت الباحثة اللسانية تعطي البديل المعرفي والمنهجي للنظرية التعليمية البيداغوجية التي ينبغي أن تتبع في مسار البحث الترجمي والمتمثلة أساسا في ثلاثة خطوات وهي على النحو التالي:

- العملية التحضيرية التي تتماشى وما تقتضيه العملية البيداغوجية.
- إدراك ذلك الجانب التطوري الذي ينبغي أن يجعله المعلم نصب عينيه وهو يسير مع واقع العملية البيداغوجية على أساس أن حركية التطور كلما تجددت راحت المعطى البيداغوجي التعليمي يسير وفق هذا السياق المتغير والمتجدد.
- ثم بعدها تأتي المرحلة الصعبة والمتمثلة أساسا في الجانب التطبيقي المستقل الذي يحاول من خلاله المعلم أن يجعل ذلك الربط المعرفي والمنهجي الكائن بين العملية التحضيرية وواقع المتعلم دون نسيان تلك النواميس التي تسير وفق السياق المتعامل فيه.

¹ - المرجع السابق، ص: 76-77.

بعبارة أخرى يجب أن يتحقق لدى المعلم تلك الاستقلالية المطلقة في العملية التجسيدية التطبيقية لتلك الإجراءات والنظريات التي تنبني عليها العملية الترجمة. ومن ثمة راحت كاتارينا رايس تحكم عند توفر هذه الخطوات الثلاثة بما يسمى بالكفاءة التي جعلتها تنصب أساسا على: الكفاءة في اللغة المصدر، وأيضا في اللغة الهدف ثم في الموضوع وأخيرا تأتي كفاءة المترجم الجامعة المانعة.

وإذا كان الأمر بهذه الشاكلة وهذا المنوال الذي تنبني عليه العملية الترجمة من خلال هذه النظريات الترجمة التي ساهمت في تطوير كفاءة الترجمة بالتعامل مع الوقائع على اختلاف سياقاتها الداخلية والخارجية.

1- كاتارينا رايس ونظرية أنواع النصوص:

تعتمد هذه النظرية على علم اللغة النصي متمثلة مناهج تحليل الخطاب discours analyse de والمنهج السيميائي la sémiotique، ولتطبيق المبادئ النظرية لهذه العلوم، يجب على متعلم الترجمة أن يدرك مفاهيم البنية la structure والترابط La cohésion والاتساق la cohérence والالتحام النسيجي للنص La texture du texte، فقد ميز اللساني الفرنسي إميل بيانفونيست Emile Benveniste بين الجملة والنص، واعتبر أن تحليل النصوص لا يجري إلا في شكل ملفوظ énoncé؛ أي في وضعية اتصال خاصة. أما هاليدي وحسن فيعتبران تميز النص بالترابط والاتساق ولحمة النسيج اللغوي في مستوى استعمال الروابط بين الجمل:

« C'est donc à une étude des liens de cohésion du texte qui participent à sa texture que nous invitent des linguistes américains » (20) .

ونستنتج من هذا أن التدرب على أنواع من النصوص، بتجزئتها إلى وظائف ضمن فعل الاتصال، يزداد فيها وعي متعلم الترجمة بوجود أدوات داخل النص كأدوات الربط مثلاً، وهذا انطلاقاً من البنية السطحية والعميقة كما يرى فانجيك (Teun Adrianus Van djik) متأثراً بنوم تشومسكي مستعملاً منهج نحو النص (la grammaire du texte)

- النص وسيلة تعليم للترجمة:

يكاد يكون النص (23) الوسيلة التعليمية الوحيدة المتوفرة لأستاذ الترجمة في الجامعة، ومنها يشتق التمارين ويجسد التقنيات، ومن أهم ملامح الدراسات الترجمة بالعودة إلى النص، تلك التي جرت في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات في ألمانيا. ولعل الدراسة النظرية التطبيقية وفق الخلفية الوظيفية ما أجرته كاتارينا رايس عن أنماط النصوص les types des textes وعلاقتها بوظائف اللغة.

وستكون هذه الدراسة التي بنتها على مفهوم التعادل « L'équivalence » انطلاقاً هذه المرة من النص وليس الكلمة أو الجملة، هادفة إلى إضفاء الطابع المنهجي على دراسة النصوص، مستندة في ذلك إلى أعمال «كارل بوهلر» الذي حدد بدقة وظائف اللغة. ولخصتها رايس على النحو التالي:

- 1- التوصيل البسيط للحقائق: مثل المعلومات والمعارف، ونمط هذا النوع من النصوص إخباري؛ حيث يكون المضمون هو بؤرة التركيز الأولي في التوصيل وله بعد منطقي وإحالي.
- 2- التأليف الإبداعي: ويستعمل المؤلف فيه البعد الجمالي للغة، ويحتل فيه المؤلف المحور ونمط النص تعبيرية.
- 3- طلب الاستجابة السلوكية: وشكل النص حوار يصب على الدعوة، وهو النص الداعي للعمل، ويعتمد على الإقناع.
- 4- النصوص السمعية الوسائطية: مثل الأفلام والإعلانات، وهي التي تضيف إلى الوظائف الأولى الصور البصرية والموسيقى.

وأهمية هذا التقسيم لأنواع النصوص في مجال التحليل والترجمة كبيرة؛ إذ يرتبط بكل نص آليات خاصة تختلف عن غيرها، فأما النوع المتعامل به في تعليمية الترجمة في الجامعة فهو الأول، لأن طبيعة النصوص المختارة إخبارية تقتصر على تقديم الحقائق، والبعد اللغوي منطقي وأسلوب الترجمة فيه هو الثري البسيط مع الإيضاح والتفسير explication إذا اقتضت الضرورة التي

تفترض صعوبة المقابل اللغوي. على عكس النوع الثاني الذي يتطلب مقدرة جمالية إبداعية. وبين هذا الشكل أنواع النصوص من وجهة نظر رايس.

ولكل نوع من النصوص معايير دراسة كالمعايير اللغوية الداخلية، وهي لفظية ودلالية ونحوية وأسلوبية. والمعايير الخارجية عن اللغة كالإيحاءات الشعرية. ورغم الترابط بينهما فإن أهميتها تتفاوت وفقا لنمط النص.

إن هدف رايس من وراء تحديد أنماط النصوص هو وضع استراتيجيات، يمكن انطلاقا منها، تطبيق نظرية عامة على جميع أنواع النصوص في إطار المنهج الوظيفي. ولكن السؤال المطروح: إلى أي مدى يمكن أن يحدد نوع النص طريقة الترجمة؟ إن عملية تحليل النصوص تقود لا محالة إلى تفكيك الصعوبات اللغوية في مستوى الشكل والمضمون.

إن نظرية أنواع النصوص إذا ما قورنت بغيرها من النظريات، فإننا نقول إن منهجها ملائم إلى حد كبير لعملية تعليم الترجمة وتطبيقها؛ فمن وجهة نظر التعليمية هي أكثر النظريات فعالية، لأنها تنتقي النوع وتتعامل معه وفق أبعاد معينة، لأن المبادئ التي تقوم عليها أكثر انتظاما من النظريات التأويلية، فهي تساعد المبتدئ في الترجمة على التدريب في طرق حل الصعوبات. من خلال تعرضنا لنظريات الترجمة يمكننا أن نستنتج أنه لا يمكن أن تبني نظرية واحدة لتطبيقها في مجال تعليم الترجمة. ورغم ميلنا لنظرية أنواع النصوص لنجاعتها من الناحية العملية، إلا أن تعليم الترجمة على أسس صحيحة هو مزيج من النظريات التي سبق ذكرها.

المقاربة التداولية والترجمة:

أما التداولية النصية فتعتبر بناء النص، ليس نتيجة تطبيق بعض القواعد، ولكنه نشاط وأسلوب عمل يرضخ لضغوط من نوع معرفي واتصالي

«La pragmatique textuelle, considèrent que la construction du texte n'est pas résultat de l'application d'un certain nombres de règles. Mais une activité, un processus, qui obéit a des contraintes d'ordre essentiellement cognitif et communicationnel »

إن المقاربة التداولية التي أسسها جون أوستن في الفلسفة تجعل اللغة وظيفة فعلية أكثر منها وصفية، فالفعل التداولي يدرس دور الكلمات ومرجعياتها في الخطاب في مثل هذه المعاني لكلمة (mais):

- Le temps n'est pas beau, mais mauvais.
- Le temps n'est pas beau, mais j'ai envie de prendre de l'air.
- Le temps n'est pas beau, mais la pluie va arroser les champs.
- Le temps n'est pas beau, mais un rayon de soleil va éclairer le salon.

تخلق الكلمة الواحدة في هذا المثال حسب البعد التداولي معاني كثيرة، ووحده التأويل يصنع الترجمة الصحيحة من خلال استنتاج المعنى الإجرائي، وذلك بتفسير العلاقة بين العلامات اللغوية ومستعملاتها، وعليه تقدم اللسانيات والتداولية خدمات كبيرة للمترجم في تعامله مع النص، وهذا يتطلب أيضا التدريب على مهارات اللغة ومهارات التفكير؛ ذلك أننا نتمثل الترجمة بوضع فرضيات العقل حول الكليات اللسانية، ثم إن إزاحة الغموض يكون بمقاربة المستوى المعجمي والتركيب والتداولي الذي له علاقة بالمرجع في اختيار التأويل المناسب. ومثالنا على ذلك، ترجمة الخطاب الإشهاري المشفر لسانيا وتداوليا¹

لقد قدمت الترجمة الكثير للنظرية اللسانية أكثر مما قدمته النظرية اللسانية للترجمة

« La traduction a apporté plus à la théorie linguistique que la théorie linguistique n'a apporté à la traduction »

وهذا يعني أن العملية الترجمة والإنتاج العملي الترجمي كانا دوما محل انشغال وتفكير، ثم تنظير في اللسانيات أكثر من تخصيص النظرية اللسانية حيزا للترجمة في تعاملها مع اللغة، إن التفاعل بين النظريات اللغوية في درس الترجمة حتمية علمية.²

2.1- الترجمة: وخصائصها الجمالية.

¹ - ينظر محمد شاهين. نظريات الترجمة وتطبيقاتها. ص: 94-95.

² - ينظر المرجع السابق ص: 94-95.

الكثير من الدارسين والمنظرين، يعتبرون الترجمة : (Traduction / Translation) من أهم حلقات تواصل الحضارات فيما بينها عبر الأزمنة والدهور والأحقاب الدبية والفكرية، ولعلها منذ القديم تعتبر الوسيلة التحوارية الأساسية بين الأمم والثقافات، وبين الشعوب والحضارات، ومن ثم، فهي في ذاتها في نظرنا تعتبر ثقافة شاملة وإساسية، بمعناها العام، لأن أهميتها مؤكدة في حياة الأمم والشعوب، بحيث لا يمكن للحضارة أن تتكامل بعيدا عن الترجمة، كما نسجل عليها، كونها عملية معقدة ومحفوفة بالمخاطر؛ خصوصا لأنها تُطرح في الوقت الحاضر كمركز لجميع التلاقيات، باعتبارها (مفتاح الحداثة ومبتدأ كل تطور حقيقي يتيح لأية لغة أن تثبت وجودها وتتحول من أداة للتواصل إلى مصدر فكري وثقافي هام..)¹

ولهذا السبب المباشر، نجد بأن معانيها في المعاجم اللغوية تأتي حمالة أوجه، بينها اختلاف، وبينها تكامل في أحيان أخرى، كما وأنها نجد لها عدة معانٍ مختلفة، منها: التفسير والنقل، والإيضاح، يقول العلامة ابن منظور. (ت 711 هـ): (الترجمان المفسر، وقد ترجمه وترجم عنه، ويقال قد ترجم كلامه إذا فسر بلسان آخر).² أما في المعجم الوسيط فقد جاء ما يلي: (ترجم الكلام: بينه ووضحه، وكلام غيره، وعنه: نقله من لغة إلى أخرى، ولفلان: ذكر ترجمه).³، وقد كان د. طه حسين يقول: سأترجم لكم أبا العلاء من لغته إلى لغتنا، مع العلم ان أبا العلاء كان يكتب بالعربية.

ويقصد بالترجمة في اصطلاح النقاد نقل نص من لغة (لغة المصدر) إلى أخرى (لغة هدف) أو (لغة استقبال) - يقول كاتفورد J.C.Catford معرّفًا الترجمة: (أن يستبدل بمحتويات نص في لغة (لم) ما يقابلها من محتويات نص في لغة أخرى).⁴

ويعرفها جون دوبوا J. Dubois ورفاقه في Dictionnaire de linguistique بما يأتي:

¹ - زيز الحاكم: ترجمة النص الأدبي من المساكنة إلى الانفلات، العلم الثقافي، 1997 ص 15.

² - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر (بيروت)، ط 1 (1997)، مج 3، مادة (رجم)، ص 47.

³ - المعجم الوسيط، ط 2، ج 1. ص 83.

⁴ - ج.س. كاتفورد: نظرية لغوية في الترجمة، ترجمة: د. خليفة الغراي ود. محيي الدين حميدي، مراجعة: د. عيسى العاكوب، معهد الإنماء العربي (بيروت)، ط 1 (1991)، ص 33.

(Traduire c'est énoncer dans une autre langage (ou langue cible) ce qui été en conservant les équivalences, énoncé dans une autre langue source sémantiques et stylistiques.)⁴

بينما يحدد مصطلح الترجمة باللغة الإنجليزية بما يأتي:

(Translation is the replacement of a text in one language by a representation of a Banned talent text in a second language)¹

وللترجمة مدلولان أساسيان أحدهما عام، واسع، وثانيهما خاص ضيق، فأما المدلول العام، فيراد به ما ذكرناه سابقاً، أي النقل من لغة إلى أخرى، وأما المدلول الخاص فهو ما ذكره الدكتور محمد مفتاح حين قال: (إن الترجمة - في معناها الخاص - تعني النقل من لغة منطلق (أو مصدر (إلى لغة مستهدفة (أو هدف) لإشباع حاجات معينة و بشروط خاصة..)¹، ونقف مع بعض التعريفات التي رأينا بأنها ضرورية قبل أي حديث عن الترجمة باعتبارها أهم العلوم المعاصرة.

يرى بعض الباحثين في مجالات الترجمة الخصبة أنها: علم محكوم بقوانين وأصول معينة، ومضبوطة، ومنهم محمد ديداوي، وفوزي عطية، محمد صاحب كتاب علم الترجمة: مدخل لغوي، والأمريكي أوجين نايدا Eugene nida مؤلف كتاب Toward a science of translation يقول محمد ديداوي في هذا الخصوص: (إن الترجمة في نظرنا علم مازال لم يكتمل بنيانه..)² وكأنه يريد أن يثبت لنا بأن هذا العلم جديد على الإنسانية، لأنني أثبتنا بأن الإنسان كائن تواصلية منذ أقدم العصور، وأنه حاول في مرات كثيرة أن يتواصل مع غيره عبر الترجمة، ويقول كذلك: في الدعوة إلى علمنة الترجمة العربية وجعلها خاضعة لمبادئ العلم ما يلي: (لا بد أن تتجاوز الترجمة العربية نطاق الفن، وألا تكون مجرد هواية يلتمسها البعض لمتعة الفكر أو للربح التجاري الرخيص الذي قد يسمم العقول و يفسد الأخلاق. ولقد بدأت بالفعل تتبوء منزلة العلم، إذ تدرس أصولها في

¹ - جماعة من الباحثين: الترجمة والتأويل، أعمال المائدة المستديرة الثالثة، منشورات كلية الآداب (الرباط)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم : 47 ، 1995، ص131.

² - محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية و التطبيق، L.S./ ص 380

الجامعات وتوضع لها النظريات وتحدد التقنيات كما أنها تتداخل مع فروع أخرى منها المعرفة..¹ كما وأنا وجدنا بعض الدارسين ينفون نفياً قاطعاً صفة (العلمية.) عن الترجمة، مثل بيتر نيومارك Peter Newmark الذي يقول: (ليس هناك ما يمكن أن ينعت بأنه علم للترجمة ولن يكون هناك أبداً شيء كهذا..²) وكأنه متأكد تمام التأكد بأن الترجمة تتصل بالأدب والفن، وليست لها صبغة علمية على الإطلاق، لأنها تمارس في ضوء المناهج الأدبية المختلفة، أما علميتها فهي مجرد وهم وسراب، لا يمكن أن يعتمد عليه إنسان.

بينما تذهب طائفة من الدارسين إلى أن الترجمة فنّ، وخاصة الترجمة المتعلقة بالأعمال الأدبية، ذلك بأن هذه الأعمال التي يستوجب تأليفها موهبة فنية تقتضي من المترجم أن تكون له هو أيضاً مقدرة فنية وأدبية تبحث في علم الجمال، وممن قال بفنية الترجمة نذكر تيودور سافوري th. Savory صاحب كتاب The art of translation وصفاء خلوصي مؤلف كتاب (فن الترجمة.) ومحمد عبد الغني حسن صاحب كتاب (فن الترجمة في الأدب العربي..³) ويؤكد دارسون كثر أن الترجمة نظرية قائمة بذاتها. يقول الناقد الإنجليزي رودا روبرت R.P.Robert معرفاً نظرية الترجمة بأنها "تشكيلة منظمة من المفاهيم تحاول تفسير ماهية الترجمة وكيف تتم، عن طريق بحث شتى العناصر التي تنطوي عليها هذه العملية...."⁴

ويقول كاتفورد عن موضوعها: (تهتم نظرية الترجمة بنمط معين من العلاقة بين اللغات، ومن ثم فهي فرع من اللغويات المقارنة..⁵) وكأنه يريد أن يحصر مجالها الأساسية في ما يتعلق بالترجمة في ذاتها، إذ لا علاقة لها بالعلم، ولا بالنظريات الجمالية التي تعمل على نحت النص وصبغه بمهارة جمالية متميزة، وفي هذا السياق يقول روجر بيل، عما يجب أن تكون عليه نظرية الترجمة: (بصفة

¹ - ينظر المرجع نفسه ص 324 وينظر translatousheshandeln (1984) : theorie -Holz- manttari justa und methode helsiinki suomalaisen triedeattemi. S 145

² - كمال قحة: مقال "الترجمة في العصر الحديث : تاريخها و قضاياها"، L.S./، ص 240.

³ - R.P.Robert: Teatching translation theoty, World Congress Of Fit, Vienna 85.

⁴ - كاتفورد : نظرية لغوية في الترجمة، ص 33.

⁵ - Roger T.Bell: Translation and translating: Theory and practice, Longman Group UK Limited, England, ed 1991, P:13 ترجمتها

واضحة، لكي تكون نظرية الترجمة مفهومة ومستعملة، يجب أن تحاول وصف وتفسير النشاط والنتاج معا.¹ أي أنه يربط نشاطات الترجمة بما يمكن أن نصفه بالشرطية، ومما لا شك فيه، أن الترجمة هي تمرين صعب، وعملية شاقة.

وقد سبق (لجورج مونان) Mounin أن أجاب عن هذا السؤال المطروح حول صعوبة الترجمة: بقوله: (إن صعوبة الترجمة ناتجة عن كون اللغات ليست جداول كلمات تقابل حقائق هي دوماً وموجودة ومن هنا يتبين أن الترجمة ليست عملاً سهلاً فكل ترجمة لا تنقل المعنى المقصود بأمانة وجدارة تؤدي إلى التباين وسوء فهم.² لاسيما في مجال السياسة والعلاقات الدولية، الذي قد يؤدي إلى كارثة. وأبلغ مثال على ذلك، كلمة الفعل

أما المترجمة اليابانية المعروفة. (موكي ساتسو.) التي قامت بترجمة على سبيل الخطأ باللغة الإنكليزية أثناء الحرب العالمية الثانية، والتي جعلت أميركا تلقي قنابلها الذرية على هيروشيما وناغازاكي³

فعندما طالب الأمريكيون في ذلك الوقت من اليابان بالاستسلام الفوري، دون قيد أو شرط، وكان رد رئيس الوزراء الياباني (سوزوكي) بالكلمة الشهيرة في التاريخ العسكري. (موكي ساتسو..) التي فسرت بمعنيين: المعنى الأول: (لا تعليق) المعنى الثاني: (القتل بالصمت.)

فسارعت أميركا إلى الأخذ بالمعنى الثاني لفهمها وكأن رئيس وزراء اليابان قد رفض الإنذار الذي قدمته له، غير أن وكالات الأنباء فيما بعد، قالت، إنما كان يعني أن حكومة اليابان عنت

¹ - Holz- manttari justa (1984) : translatousheshandeln theorie und methode helsinki suomalaisen tiedeattemi. S/98

² - اقترن مفهوم الأمانة بالحرفية، وهذا يضعنا أمام نوعين من الترجمة، الترجمة الحرفية Traduction littérale الترجمة الحرة Traduction libre.

³ - أنطون مطر. الترجمة العملية: ص ص 38-77. وينظر: أنطوان مطر. قواعد الترجمة. ص 15

عدم اتخاذ أي قرار أو إجراء أو عدم التعليق بانتظار توضيح الأمر كجواب لجملة (دون قيد أو شرط..)¹

ليس للمترجم حق ملكية أفكار الكاتب أو الأديب الذي يقوم بترجمة نصه، وفي أحسن الأحوال، ما هو إلا قناة إيصال لهذه الأفكار ولكن بمستوى اختصاصي وفني وإبداعي لا يقل عن مستوى وزن ما يقوم بترجمته..² على المترجم أن يحافظ خلال قيامه بالترجمة على مفهوم المعنى ومفهوم القيمة في آن واحد حتى لا تفقد جدواها في التصور اللساني، أو تتكيف عوامل عسر الترجمة إزاء تراكم العراقيل سواء كانت حضارية محضة أو لغوية لها فروق عديدة ومختلفة بين اللغتين المترجم إليه ومنها، وحتى لا يتيه النص بين الفروق اللغوية وتنتقل إلى المعاني الركيكة لتنتهي إلى ترجمة مكيفة.³

إن التقيد بأغراض النص يقضي بخضوع الترجمة للانتظام وتحقيق الغائية المعرفية كما تفضي إلى التواصل بين الناس، فهي تستمد ماهيتها من المادة التي تتعامل معها، ويكون مهمتها نقل العلوم بأنواعها فإنها بالوقت نفسه تولد منهجاً ملكياً مفيداً وناجماً للترجمة على جميع الأصعدة.

ترتبط الترجمة في حال دقتها بآليات تجمع بين اللغة والكيان الاجتماعي والحضاري فينتج عن تلك الآليات معطيات ذات قيمة، وهي الكتابة- والتعليم- والتنظير التي تمثل البنية الفوقية لهذه الآليات، ومعطيات مضمونية هي الخبرة الآلية.

¹ - ينظر: أحمد عصام الدين حركة الترجمة في القرن العشرين ص 134

² - ينظر: محمد عجيبة: نظريات الترجمة، ص 160

³ - لعل التقيد بأغراض النص يقضي بخضوع الترجمة للانتظام وتحقيق الغائية المعرفية كما تفضي إلى التواصل بين الناس، فهي بذلك تستمد ماهيتها من المادة التي تتعامل معها، ويكون مهمتها نقل العلوم بأنواعها فإنها بالوقت نفسه تولد منهجاً ملكياً مفيداً وناجماً. وترتبط في حال دقتها بآليات تجمع بين اللغة والكيان الاجتماعي والحضاري فينتج عن تلك الآليات معطيات ذات قيمة. ينظر: جورج مونا / La structure Du lexique / الفصل الثالث ص 71-94

إن أفضل ترجمة في نظرنا هي التي تمكن من الوصول إلى معنى النص المترجم من حيث الجوهر، وإن مراعاة الأفضلية في الترجمة تستدعي نقل الفكرة الصحيحة الكاملة، والرجوع إلى الصيغة الأقرب إلى اللغة الأساسية.¹

للتجربة كغيرها من العلوم الدقيقة تعاريف كثيرة ومتنوعة، ذلك لأنها حمالة أوجه، فهي من جهة شرح وتفسير لما يقوله ويكتبه الآخر، من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أو المستمع ومن جهة أخرى هي بالنسبة للمترجم تفسير فكرة مصاغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى، وفي جميع المواقف التي تتعدد فيها الأهداف، في العملية الترجمة، بحيث نجد الهدف المركزي هو تعريف القارئ بالنص من لغته الأولى (الأصلية) إلى كون هذه العملية الحضارية تجعل القارئ يتصل بحضارة مختلفة عن حضارته، هناك بذلك تعدد في الهدف.²

وليس على المترجم أن يبحث عن تلك الفكرة في أي مكان، بل كل ما يترتب عليه أن ينقلها بلغة أخرى، وتعبير آخر هذه الفكرة ليست من إبداع المترجم بل هي من بنات أفكار مبدع النص.³ ولهذا يمكننا القول بأن الحديث عن الترجمة يتعلق في الوقت نفسه بشخصيتين مهمتين، تناولان النص المعني، فمن جهة نجد المؤلف ومن جهة ثانية نجد المترجم فهما في آن واحد مبدعان لهذا النص الذي تقاسمته لغتان على الأقل.

ولأن هذه الأسباب مجتمعة تؤثر في العملية الترجمة، يمكننا القول بأن موضوعها قريب من عدة علوم ألسنية، وتحديدًا، تحليل علم المعاني ونظرياته الترابطية، لأن ذلك القسم من الدراسات اللغوية يصعب معالجته بالتفصيل عن طريق مدخل ثانوي، ولذلك يجب أن يعقد له حديث خاص به..⁴ ولكن وجود متكلم بلغتين، قد يمتلك ناصية الكفاءة التامة في الترجمة، وهي التي تمكنه من صياغة أهم المقولات المتوافقة مع اللغة الثانية المترجم منها، ولأن الترجمة فن مبدع، فإننا يمكننا أن نتوصل من خلالها إلى إيصال أفكارنا.

¹ - Kalira sylvia: das dolmetschen theorie und praxis text context, (1986), p171

² - Georges Mounin. Les problèmes théoriques de la traduction.. P231

³ - ينظر: لطيف زيتوني. حركة الترجمة في عصر النهضة . ص73-74

⁴ - حسن، محمد عبد الحي: فن الترجمة في الأدب العربي ص101

أن نبلغها ما نسعى الوصول إليه. ذلك لأن الترجمة ظاهرة إنسانية فريدة، فهي لا تشبه أنواع الإبداع التي توصل إليها الإنسان عبر مسيرته الطويلة، وقد كانت ولا تزال ملازمة لتاريخ الإنسان، ولإبداعاته المختلفة، لأن تعدد الشعوب والأقوام واختلاف اللغات التي برزت نتيجة المناخات ونتيجة تعدد البيئات، وأنواع الأغذية.

وذلك التناسل الذي لا يكاد يتوقف، كل ذلك أسهم في الحضارة الإنسانية وجعل الترجمة ظاهرة متفردة الأداء، ولعلها الوحيدة التي يستعملها الإنسان لسد حاجة التواصل بين البشر، سواء كانوا فرادى أو جماعات، وسواء كانوا دولاً، أو شعوباً، أو أمماً، وفي كل أنواع التبادل التجاري، وفي أهم المقايضات الاقتصادية.¹

وقبل القراءة والكتابة عن طريق الإيماء ثم استحضار مفرد الشيء أو مصغره ومن ثم تصوير المطلوب إلى المخاطب من قبل المتكلم، وقد تدرج هذا التفاعل بين الشعوب البدائية حتى الوصول إلى الكتابة والقراءة.² وذلك لأن هذه الشعوب البدائية، مهما كانت منغلقة على نفسها لم تستطع إيقاف التواصل بأنواعه المختلفة، وخاصة على تخومها، وما يتولد عنه من اختلاط ناتج عن التجارة أو الحرب أو الاتصال الدبلوماسي أو الثقافي.

وهذا التواصل غير المنظم، كان سائداً بين القبائل والشعوب المتجاورة ذات اللغات المختلفة بحكم الضرورة والمصلحة السائدة حينذاك، ويبدو الآن منطقياً أن يكون هذا النوع اللغوي في بدء التاريخ أكثر تعدداً منه في عصرنا..³

من المتعارف عليه أن الترجمة توصف أحيانا بأنها إعادة صياغة وتقليد. وفي كثير من الأحيان توصف بأنها تشويه للأصل. وبالرغم مما قيل فإن الترجمة تعتبر نشاط إنساني متواصل وضروري لم تتخل عنه أمة من الأمم، في القديم ولا في الحاضر، فقد ظلت معترفاً بها وبأهميتها

¹ - لعل القاعدة الأساسية في الترجمة هي عدم وجود قواعد مطلقة أو طرق واضحة وذات قيمة أو مقننة بشكل ثابت، في جميع حالات الترجمة. فلا يوجد ما يدعى الترجمة المطلقة، ولكن يوجد أنواع من الترجمة لها ضرورات ونصوص خاصة.

² - إن مباشرة ترجمة نص ما تعتمد على إحدى الطريقتين: الأولى تعطي الأولوية للنص الهدف Texte d'arrivée، من حيث لغته وعصره، أما الثانية فتعطي الأولوية للنص المصدر Texte de départ

³ - زنجريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص124.

لكنها تعامل معاملة دونية كنشاط ثانوي أو تابع لأنشطة ثقافية أكبر أهمية، وقد نظر المترجمون إلى أنفسهم على هذا النحو، كما نظر إليهم الدارسون في التخصصات الأخرى في العصور الأولى داخل حركة تطور المجتمع البشري.

إلى أن كان العصر الحديث عندما التقت خلاصة الحضارات القديمة بالحضارة الغربية الحديثة حيث تفرعت الترجمة وتطورت عن الدراسات المقارنة للآداب القديمة والحديثة. ولعله الأمر الذي أكسبها فيما بعد قدرا كبيرا من الاستقلال جعل بعض العاملين فيها ينادون بالانفصال التام رأى بموجب نظرية ساير و وورف أن اللغات ليست متساوية في أنظمتها ومفرداتها، بل أن لكل لغة نظامها اللغوي المستقل الذي يعكس الثقافة المحيطة بوصف هذه الأخيرة انعكاسا للبيئة التي يعيش فيها الإنسان والتي تحكم تفكيره وبالتالي لغته.

ومن المميزات التي تصبغ النظرة المستجدة إلى الترجمة ضرورة المساواة بين المترجم والمترجم له، ومحاولة القضاء على الطبقية التي تهيمن على مسائل الترجمة والتخلي عن تلك النظرة التقليدية التي تولي أهمية كبرى لقيمتين هما (الدقة والأمانة). كما أن إسهامات النقد الحداثي زحزحت النظرة التقليدية للترجمة وأبرزت نمطا جديدا في التعامل مع الترجمة والمترجمين..¹

وذلك من جراء التقارب والتفاعل أو التوحيد اللغوي الناتج عن سيطرة بعض الشعوب أو الأقوام على غيرها، بحيث تقوم الجماعات أو الأمم الكبيرة بحكم مصالحها بخلق أو إبداع صناعات أو وظائف ظرفية يؤديها بعض المبدعين أو الوسطاء الذين هم صلة التفاهم بين الوفود التجارية أو وفود الجيوش المتحاربة أو البعثات الدبلوماسية أو عمليات التجسس والاستعلام التي يقوم بها كل عنصر أو محارب للتعرف على أحوال قبيلته أو عدوه..²

¹ - مفهوم "الأمانة" في الترجمة Fidélité au sens: بقي مفهوم الأمانة غير واضح، رأى البعض أن تكون الترجمة أمينة للنص عندما تحترم المحتوى العام للنص المصدر، وبالنسبة للبعض الآخر الأمانة للنص هي الترجمة الحرفية، إن المقصود من الترجمة هو تمرير المعنى مع إنتاج نفس الأثر عند المتلقي، وانطلاقا من هذه القاعدة يمكن الحديث عن أمانة للمعنى ينظر: محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ص55.

² - ينظر : خليل أبو جهجه، الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، ص61.

ولأن هذه الظاهرة غنية عن (التفسير والتحليل)¹ لأن اختلاف اللهجات بين عناصر الأمة نفسها يجعل التفاهم والتواصل بينها بحاجة إلى وسطاء يعرفون أكثر من لهجة أو تفسير بحيث يؤدون دور المترجم أو المفسر في اللغة نفسها، وقد كان الدكتور طه حسين يقول فكرته الشهيرة في كتابه مع أبي العلاء في سجنه، فهو عندما يريد أن يفسر ما يقوله أبو العلاء المعري، يعقب قائلاً: (سأترجم شعر أبي العلاء من لغته إلى لغتنا، وهو يعني بذلك شرح وتفسير وتأويل أشعار المعري بلغته العربية العتيقة..²) ولعل ما نجد من كثرة المترادفات في بعض اللغات، ومنها لغتنا العربية، على سبيل المثال، قد كون مصدره تعدد لغات ولهجات القبائل في إطار اللغة الواحدة.

¹ - ينظر: لطيف زيتوني - حركة الترجمة في عصر النهضة دار النهار مصر ص 122.

² - د. طه حسين . من تاريخ الأدب العربي . ج.3. دار العلم للملايين بيروت لبنان. ط.4. ص 862.

الفصل الثالث

فحص الكفاءة الترجميّة
في ضوء أنواع النصوص

لما كانت المعايير النصية التي نريد توظيفها وتحسيدها مع النصوص المختارة للدراسة، فلا بأس بأن نعطي مفهوماً وجيزاً لكل من هذه المعايير حتى نزيح من الطريق الإبهام الذي خصت به هذه المعايير دون العلم بما يقتضيه كل معيار وما يستحقه من الدراسة لاسيما السياق التركيبي الذي ظن فيه ولا يزال، بأنه مهم في تحديد معنى اللفظة التي تظل مرهونة على ما يمليه عليها السياق تبعاً لتلك القرائن على ضربها (اللفظي والمعنوي)، الأمر الذي يجعل من السياق التركيبي يكون بمثابة الحكم في تحديد الدلالة التي تقوم عليها اللفظة وهي تسبح داخله. والحديث عن السياق التركيبي يجزنا حتماً أيضاً إلى الحديث عن واقع الترجمة واستراتيجيات ترجمة مختلف أنواع النصوص والدلالة بكل مستوياتها ثم نماذج لنصوص وظيفية.

2.1- آراء المنظرين حول أنواع النصوص و أنواع الترجمة¹

يرى بعض الدارسين بأن للترجمة أنواع متعددة ومتنوعة بتنوع المعايير والاعتبارات المعتمدة في تقسيمها على المستويين المحلي والعالمي، وقد عولج هذا الأمر في مؤتمرات وندوات لا حصر لها، ولعل من أبرز التقسيمات، هو رأي كاتفورد، الذي يقسم الترجمة إلى أنواع عدة على حسب تعبيره، أبرزها ما يلي².

¹ - المبدأ أن يكون المترجم، في مواكبة مستوى اللغة بالدرجة الأولى، ثم إتقان اللغة التي يترجم منها- وكفائته في سائر قواعد اللغة العربية من صرف ونحو وإنشاء واستخدام المفردات، فذلك أساس الترجمة وجوهرها، وتقتضي الأمانة من المترجم بذل الجهد والعرق والتحري الدقيق في كنه ما أورده المؤلف من أفكار واتجاهات ومن تورية وكنايات، يذهب البعض بالقول بأن الترجمة ليست في الأصل إلا مهارة من المهارات التي يمكن اكتسابها وصلقلها وتطويرها، والفارس في هذه المهارة هو المترجم الذي هو بالفعل القناة الموصلة لأفكار المؤلف، فرغم الصفات الخلاقة التي يجب على المترجم امتلاكها، إلا أنه ليس سوى وسيط بين الفنان المؤلف والمتلقي. فهو يتحدث نيابة عن هذا الفنان لذلك عليه أن يكون كفاً بنقل تلك الأمانة بجدارة وأسلوب مميزين.

² - كاتفورد: نظرية لغوية في الترجمة، م.س، ص. 79.

- الترجمة الصوتية: و هي ((ترجمة محددة يستبدل فيها بنص صوتي في (لم) ما يكافئه في نظام (له) الصوتي. ويبقى النحو والمفردات المعجمية في نص (لم) ثابتة ما خلا بعض الشواذ المعجمية والنحوية التي تنطوي عليها العملية.

- الترجمة الشكلية أو (الخطية): وهي ((ترجمة محددة يستبدل فيها نص في A بما يقابله في شكل B. وإن مبدأ التكافؤ هنا هو العلاقة بالمادة الشكلية نفسها.¹ وقد تطرق كاتفورد إلى هذا النوع الترجمي في الفصل العاشر من كتابه Linguistic theory of translation وذكر أن عملية بناء نظامه تضم - في الناحية المبدئية- خطوات ثلاثاً، كالاتي:

1 - تبدل أحرف لم بوحدات صوتية في له، وهذه الطريقة الأدبية العادية التي يتم من خلالها التفكير في الوسيلة المحكية.²

2 - تترجم الوحدات الصوتية في لم، بوحدات صوتية في له.

3 - تحول الوحدات الصوتية في لم إلى أحرف أو وحدات خطية أخرى في له

ويذكر كاتفورد نفسه في موضع آخر من كتابه المذكور نوعين آخرين من الترجمة، يختلفان فيما بينهما من حيث الإطلاق والتقييد، وهما. - الترجمة الكاملة: وهي التي تشمل النص رُمته، و تنصب على جميع جوانبه، والترجمة المقيدة: ومعناها (أن يستبدل بمواد نص في (لم) ما يقابلها من مواد في مستوى واحد فقط؛ أي ترجمة تنفذ على المستوى الصوتي أو الخطي، أو على أحد المستويين: القواعد أو المفردات المعجمية..³

أما أوجين نايدا فيقسم الترجمة إلى نوعين متقابلين؛ وهما

¹ - المرجع السابق، ص. 87.

² - المرجع نفسه، ص. 96.

³ - علي القاسمي : مقدمة في علم المصطلح، ص. 173.

- 1 - الترجمة الشكلية: ويرتبط هذا النوع بالجانب الشكلي البحث.
- 2 - الترجمة التأثيرية: ويطلق عليها كذلك ((ترجمة المعنى.)) وهي بحسب نايد: ((مقابل طبيعي للبلاغ في لغة الأصل / المرجع.))¹

ويتحدث فيناي (J.Vinay) وداريليني (A.Darbelnet) في كتابهما المشترك Stylistique comparé du français et de l'anglais عن ضربين من الترجمة؛ أحدهما. - الترجمة المتعددة، ومعناها أن يترجم النص الواحد ترجمات عدة بتعدد شخصيات المترجمين وتباين طرق الترجمة. - أما الثاني فهو الترجمة المعكوسة ومعناها نقل نص من لغة (أ) إلى لغة (ب)، و من لغة (ب) إلى لغة (أ). و من مزايا هذا النوع الترجمي التأكد من مدى دقة الترجمة ومن أن كل عناصر النص قد تم نقلها بلا زيادة ولا نقصان. .)

- 3 - المتعاقبة تعني: أنك ما أن تنتهي حتى يبدأ المترجم بترجمتها وهي قريبة من مفهوم الترجمة الفورية ولكن هذه تفترض أن تنطق ترجمته في الوقت نفسه الذي فيه المتحدث.

ويرى الباحث محمد عجيبة أن للترجمة ثلاثة مظاهر أو ((أنواع))، كالآتي:

 - الترجمة في صلب اللغة الواحدة (Intralinguale): وتتم في إطار اللغة الواحدة، فلا يكاد يشعر بها الإنسان. ومثال ذلك من يحقق نصا من النصوص القديمة، فينقله من لغة في حال معينة إلى هذه اللغة نفسها ولكن في حال متغيرة.
 - الترجمة من لغة إلى أخرى Interlinguale: وتتم بين لغتين مختلفتين، كأن تقع بين العربية و الفرنسية.

¹ - - Hartman & stork, Dictionary of language and linguistics, ed AMSTRDAM, 1992,P513

- الترجمة من نظام سيميوطيقي إلى آخر Intersémiotique : و تكون من نظام غلامى إلى آخر، كأن ينقل مخرج رواية من صورتها اللغوية إلى نطاق السينما أو المسرح (بعض روايات نجيب محفوظ و غسان كنفاني و الطاهر وطار نماذج.)¹

هناك نوع آخر يسميه البعض الترجمة الذهنية Traduction mentale، وتتم في ذهن الإنسان المتكلم بلسانين فأكثر، و عادة ما يكون ثمة تجاذب و صراع بين هذه الألسن. يقول الجاحظ: "و متى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى و تأخذ منها وتعترض عليها.

وتقسم الترجمة - بالنظر إلى صاحبها- إلى ترجمة بشرية و ترجمة آلية. فأما الأولى فيقوم بها الإنسان، و أما الثانية فيضطلع بها الحاسب الإلكتروني، وقد نادى باحثون عديدون باستعمال هذا الجهاز في الترجمة لتعويض الإنسان. يقول القاسمي:)²

(وأنا إذ أدعو المعنيين في الأمة العربية إلى استخدام الحاسب الإلكتروني)³ في خزن المصطلحات العلمية والتقنية، وترجمتها، تنسيقها، وتوحيدها، إنما أفعل ذلك إدراكا مني بأهمية توفير المصطلح العلمي والتقني في لغتنا العربية بوصفه من متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي نطمح إليها، و إدراكا مني بأن ذلك سيتم بصورة أفضل باستعمال الحاسب الإلكتروني.)) إن الترجمة- باعتبار المعيار الزمني- إما فورية وإما تعاقبية.

أما بخصوص المترجم الألماني مارتن لوتر 1483-1546 وهو مبشر إنجيلي معروف، يميز بين الكتابة المقدسة للتشكيل الحر..⁴

¹ - د. محمد عجيبة: الترجمة و نظرياتها ، ص. 266

² - علي القاسمي : مقدمة في علم المصطلح، ص. 173.

³ - المرجع نفسه. ص. 174 وما بعدها.

⁴ - Herr zine eddin bouri doktoraarbeit zun problema-tik der fachubersetzung deutscher fachtext ins arabish bei algerischen ubersetzungsstudierenden. 2006-2007 . S - 13 ترجمتنا

Der dentsche bibelubersetzer martin luther 1483-1546 entschied sich dann sagar bei der heiligen schrift fin die freiere formulierung" .

كما أنها تنقسم - من زاوية أخرى- إلى شفوية و كتابية. ومن هنا، ميز العرب بين لفظي (مترجم) و (ترجمان)، على أساس أن اللفظ الأول يشير إلى الناقل كتابة. ويجمع على (مترجمين). في حين يقصد باللفظ الثاني الناقل شفاهًا ويجمع على ترجمة. ويميز بعض الدارسين بين الترجمة الأدبية)¹ وبين ((الترجمة العلمية)² إذاً فالترجمة أنواع عديدة جدا. و يمكن أن نتحدث عن نوعين كبيرين في هذا الإطار؛ أحدهما

- الترجمة الحرفية، و الآخر ترجمة التصرف، فأما النوع الأول فيقوم على نقل نص من النصوص بحذافيره و حرفيته بدون تصرف في صيغه و مفرداته ومعانيه. والملاحظ أن كثيرين يستهجنون هذه الترجمة المباشرة ولا يأخذون بها في ترجماتهم.

وذلك بالنظر إلى تعدد أخطائها و مزالقها و سلبياتها. يقول محمد ديداوي: ((إن الترجمة الحرفية تظل ناقصة، و قد تكون سببا في تخريب اللغة وإفسادها، وقد تساعد الترجمة الحرفية على الاحتفاظ بالنكهة الأصلية)³

وأما النوع الثاني فيتصرف فيه المترجم بما يتلاءم مع لغته و سياقه الحضاري، ولا يتقيد بحرفية النص قيد الترجمة، وقديما قال إيتيان دولي Etienne Dollet الذي أحرق بسبب ترجمته الحرة لأحد نصوص أفلاطون في ق 16-:

¹ - ينظر: المنصف النجار الترجمة الأدبية ، من ص 83 إلى ص.141.

² - ينظر: الباجي القمزي ، الترجمة العلمية والتقنية ، الترجمة ونظرياتها ، من ص 83 إلى ص 105.

³ - Meyers enguklopadiacker lexikan Manheim / wien / Zurick.1979، Bd. 24 s76

(على المترجم ألا يكون عبدا وفيما للنص الأصلي).¹ وهذا النوع - في نظرنا- أجود، و أكثر فعالية و جدارة على تحقيق الإقلاع والتنمية المنشودة، ولكي تأتي الترجمة جيدة وموفقة، يستلزم توافر جملة من الضوابط والشروط. ينبغي للمترجم أن يكون عارفا باللغة المصدر واللغة الهدف معاً.

(ولا بد للترجمان أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علم في نفس المعرفة. وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، وذلك حتى يكون فيهما سواء وغاية، وإذا كان بصدد ترجمة مصطلح من المصطلحات، فإنه يتعين عليه أن يفهمه فهما دقيقا وشاملا آخذا في الحسبان جانبي الشكل والمضمون معا. يقول، فلاديمير بروتشاسكه (V.Prochazka)²

في هذا الخصوص (إن من الواجب على المترجم الجيد، أن يفهم الكلمة الأصلية موضوعا وأسلوبا، وعليه أن يتغلب على الفوارق بين البنيتين اللغويتين، وأن يعيد في ترجمته تركيب البنيات الأسلوبية للعمل الأصلي.)³ وفي هذه المقولة إشارة إلى شرط آخر من شروط الترجمة ، إن الترجمة الجيدة هي التي تتعامل مع النص أو المصطلح، قيد الترجمة، باعتباره وحدة قائمة على الترابط بين المعنى والمبنى.

يقول محمد ديداوي في هذا الشأن: ((إن المترجم يهتم عادة بالمعنى أكثر من المبنى، ولا يلجأ إلى الشكل إلا ليفهم فيفهم غيره و يبلغ. ولذلك، فهو في حاجة إلى وحدة لا تكون شكلية تماما. هذه الوحدة إذن ستكون وحدة عقلية أو فكرية، بما أنه ترجمان للأفكار والخواطر و العواطف، لا للكلمات و الحروف، التي هي مجرد أدوات..)⁴

¹ - نعتقد أن الترجمة يجب أن تكون أمينة مع التركيز على تحديد نوعية الأمانة فإما أن نركز على الأمانة للغة المصدر أو الأمانة للغة الهدف أو الأمانة للمتلقي أو الأمانة للمترجم؟

² - Herr zine eddin bouri doktoraarbeit zun problema-tik der fachubersetzung dentscher fachtext ins arabish bei algerischen ubersetzungsstudierenden .2006-2007. S – 1.4

³ - محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية و التطبيق، ص 175.

⁴ - المرجع السابق، ص 179

ويرى بوري بأنه: (مادامت الترجمة الكتابية معتبرة كأقدم النشاطات الإنسانية فإن تاريخ التحويل ترجمة كتابية وشفوي...) ¹

Obgleich das uebersetzen oft als eine der altesten tatrg keiten der menschheit
begeichnet wrid ist die gesdrichte der translaticen ubersetzen und
dalmetschen".

ويقول محمد ديداوي: (إن المعنى هو أهم عنصر في الترجمة، على العموم، كما أن
الشكل مهم لأنه وسيلة الإفهام. وكلما اقترب من الأصالة كانت الترجمة التأثيرية أروع وأقوم. و
فضلا عن ذلك فإن التطابق الشكلي مستحسن، بل ولازم، من حيث أنه لا بد للمترجم من أن
يحافظ على شكل النص: فهناك النص القانوني و النص الأدبي و النص العلمي. وأن يحافظ أيضا
على الأسلوب المتبع.) ²

إن الأمانة شرط مهم في الترجمة، لأنها تضفي على المترجم مصداقية ومشروعية. وإن كان
بعض الباحثين يذهب غير هذا المذهب، و منهم سعيد علوش الذي يرى أن "الأمانة في الترجمة
ادعاء لا يسلم من القوادح، ما دامت تقوم على مقاييس خيانتها وانزياحها عن مستوى المماثلة
إلى المغايرة.) ³

ولا شك في أن الباحث سعيد علوش يريد بالترجمة هنا (الترجمة الأدبية) التي هي عسيرة
للغاية، وإذا كانت تمت صعوبة في التزام الأمانة التامة لترجمة نص أدبي، فإن التزامها في المصطلح
العلمي و التقني أمر متيسر ومتاح جدا في نظرنا.

¹ - Herr zine eddin bouri doktoraarbeit zun problema-tik der fachubersetzung dentscher
fachtext ins arabish bei algerischen ubersetzungsstudierenden .2006-2007. S – 13.

² - محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية و التطبيق، ص 178

³ - المرجع نفسه، ص 182

إن هناك شروطا كثيرة تتصل بالشخص المترجم، و قد أورد ديداوي في كتابه المذكور سابقا عددا منها. يقول مثالا: (يشترط في الترجمة خفة الروح وحضور البال، واتساع مجاري الخيال، مع القدرة على السبك والحبك، والتعبير الفصيح السليم، والمطالعة المستمرة، والمران الذي لا يعرف الكلل ولا الملل...)¹

ومن أبرز شروط الترجمة الجيدة أن يكون ممارسها ذا ثقافة موسوعية ، خبيرا بلغته وباللغة التي ينقل عنها. ذلك بأن الترجمة- كما يقول أحدهم- "نشاط ابستمولوجي بامتياز. " ²

ويقول الباحث المصطفى شادلي: (الترجمة عملية ذهنية وإدراكية تتطلب ثقافة موسوعية و اجتهدا خاصا و ممارسة فعلية...) ولا سبيل إلى توفير المترجمين المجيدين الذين يستطيعون الإسهام في نهضة أمتنا والرقى بها في مدارج المدنية إلا بالعمل على إعدادهم إعدادا علميا متكاملًا. ³ إن للترجمة الجيدة بالضرورة منهجية جيدة كذلك، تلك هي قاعدة الترجمة، لأن المنهجية نصف المعرفة، والضابط المنظم لها

يقول مجدي وهبة في هذا الإطار: ((والترجمة في جملتها لا تقتصر على نقل آلي من مجموعة من الرموز إلى مجموعة أخرى، بل هي منهج للبحث عن نقل مفهومات إلى مفهومات مقابلة لها في اللغة المنقول إليها، وإلى جانب المنهج، تحضر (المراجعة.) مراجعة الترجمة، بوصفها عنصرا مهماً لضمان ترجمة جيدة وموفقة. وظاهرة مراجعة الترجمات وتقويمها لها أهمية قصوى في العملية الترجمة في حد ذاتها...) ⁴

¹ - سعيد علوش: جمالية الترجمة الأدبية ، مجلة "علامات في النقد"، جُدّة، مج 12، ع. 45، ص 188.

² - محمد ديداوي: علم الترجمة بين النظرية و التطبيق. ص162.

³ - د. بناصر البعزاتي: " الترجمة بين النص و المرجع"، الترجمة و التأويل ، ص 39.

⁴ - المصطفى شادلي: إشكالية التأويل و الترجمة في ضوء سيميائيات التلقي، ص49.

ففي عصر هارون الرشيد - مثلا- تم إصلاح بعض الترجمات المنجزة أيام المنصور، وفي عهد المأمون وقعت مراجعة بعض الكتب المترجمة زمن الرشيد. وتعد المراجعة عنصرا ضروريا في الوقت الحالي الذي تعددت فيه الترجمات، تنوعت مابين جيدة وردئة.

Philologisch übersetzung Bei der philologischen übersetzung werden die normen der zielsprache zum teil bewesst verletzt der leser merkt dass es sich um eine übersetzung handelt nicht um ein original

إضافة إلى أنه كما يقول الكاتب الألماني¹، أثناء الترجمة الكتابية الفيلولوجية تتأثر قواعد اللغة الهدف، ومن جهة أخرى يلاحظ القارئ بأنه يتمحور حول ترجمة كتابية ليس حول الأصلي، كما أنه بإمكان النص الهدف أن يبين الغموض المتغير لحقيقة الأشياء في نص الانطلاق من أجل بلوغ الوظيفة المطمح وصولها.

ثم إن هذه الشروط أو المعطيات - و غيرها- هي الميزان الذي يجب أن تعرض عليه الترجمات ، قبل الإقرار بوجودها أو ردها. يقول الحمزاوي في هذا الصدد: ((فلا يمكن أن نقر على العموم وجود ترجمة صائبة و ترجمة خاطئة إلا إذا تقيدنا بمعطيات، وقوانين جماعية، تستوجبها التجربة و التطبيق...))² الضوابط والجهود المبذولة في مجال الترجمة، فإن الترجمة إلى العربية مازالت محدودة، ومازالت ثمة صعوبات جمة تقف في طريقها وتعزل سيرها، ومن هذه الصعوبات ما أشارت إليه الأستاذة نجاة المطوع في قولها:-

إن الترجمة إلى العربية لا تزال تفتقر إلى البرامج على المستويين القطري والقومي، كما أنها لم تُبَنَ على دراسة الواقع الراهن بلغة التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، والآفاق المستقبلية في

¹- Der zieltext kann so gegenuber dem ausgangstext unter umstande veranderte sachverhaltsbezüge aufweisen . um die angestrebte funktion zu erzielen. radegundis stolze übersetzungstheorien. Tübingen 1997)

²- محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات و توحيدها و تنميطها (الميدان العربي)، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط 1 1986. ص 9.

الوطن العربي، ولم تتسع لتلبية متطلبات العصر، ودرجة النضج عند القارئ.¹، ولعل من أبرز المشاكل التي تتخبط فيها الترجمة العربية وخاصة ترجمة المصطلح الأجنبي وتعريبه تعدد المصطلحات العلمية الموضوعية للمفهوم الواحد. ثم إننا لا ندري لماذا تواتى العرب بعض الشيء منذ القديم عن الترجمة من وإلى لغتهم، فقد علل بعض المؤرخين هذا الإغفال بأقوال مختلفة، لكنها مجمعة على الاعتراف بأن ذلك الإحجام ترك الفكر العربي مقتصرًا على ما نشأ عليه.

Verfremdende übersetzung Versucht die sprachliche-stilistischen strukturenden ausgangstextes so weit wie möglich im zieltext nachzuvollziehen oder wenigstens

ترجمة كتابية إلى اللغة الأجنبية²: تحاول أن تفسح المجال لإتمام أو على الأقل لتبيين التراكيب اللغوية الأسلوبية لنص الانطلاق قدر الإمكان في النص اللغة الهد

إلا أن تطور الثقافة والعلوم ووسائل التنقل وتبادل الثقافات، كله قد ساهم وأثر في الأجيال الصاعدة، بحيث انصرف عن الترجمة إلى غيرها، من العلوم وبخلاف الفنون الإبداعية المختلفة، التي لاقت من المترجمين كل عناية، وخاصة العلمية منها، حتى أن نقل بعضها أكثر من مرة، من أمثال ما يلي:

Übersetzungsmethode Eine übersetzungsmethode ist eine allgemeine strategie der übersetzung deren wahl vom text typ und dem übersetzungszweck/ der übersetzungsfunktion abhägt.

غير أن انصراف مترجمينا عن الإبداعات الأدبية لا يعني غياب نقلها كلياً، فقد عرفت اللغة العربية نقل بعض الآثار الأجنبية، لا يتسع المجال لذكر بعضها، ولكن لماذا تأخرت الحركة الترجمة،

¹ - د. نجاة عبد العزيز المطوع: آفاق الترجمة و التعريب، ص 9.

² - ينظر: محمد ممدوح القيم ، إشكالية التعددية في المصطلح العلمي العربي، ص 12.

عن نقل أكثر الفنون، وجواباً على هذا التساؤل نشير إلى أربعة عوامل أساسية.¹
 Übersetzungsmethoden Alteste übersetzungsmethodische unterscheidung
 Wortliche / wortgetreue-freie / sinnngemabe bersetzung.

1 - إن دافع الترجمة هو الحاجة، غير أن القراء العرب لم تكن لهم رغبة إلى ترجمة ونقل الآداب الأجنبية لقلّة إقبالهم على مثلها، ولاعتزازهم بإبداعاتهم الأدبية المختلفة.²

2 - إن الأدب يختلف عن العلوم كونه متداول ومعروف لدى العرب منذ القديم، بل إنهم كانوا يفخرون به على سائر الأمم.³

3 - هناك عامل الذوق والمتعة في تأليف الآداب، بل وفي أدائه ولعل هذا العامل هو في الأدب افعّل منه في غيره لدى الجمهور، وقد كان هذا الذوق تقليدياً عندهم إلى مدة قريبة نسبياً

4 - مسألة الجهد والوقت، فهما يحولان دون الإقبال على الآداب وترجمتها فرغم العوامل التي ذكرتها أعلاه، قد أصابت الترجمة حظاً كبيراً من العناية بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، فمع زيادة الإطلاع على الآثار الأدبية الغربية.⁴

لقد حصل تطور كبير على الذوق العربي العام، وشهدت فترات ما بعد الحربين العالميتين،

¹- (Christien nord ; loyalitat statt treue vorschlage zu einer funktionalen
 ubersetzungstypologie in lebende sprachen 34-1998) s98

²- (Kautz ; ulrich. Handbuch didaktik des ubersetzens und dolmetschens. Munchen 2000
 s155.

³- ينظر: لطيف زيتوني: حركة الترجمة في عصر النهضة- دار النهار ص125، وما بعدها. و أحمد عصام الدين- حركة الترجمة
 في مصر، ص 26 وينظر: شحادة الخوري: الترجمة قديماً وحديثاً، ص49، وما بعدها

⁴- طريقة الترجمة الكتابية: هي إستراتيجية عامة الترجمة الكتابية اختيارها يتعلق بنوع النص وهدف الترجمة /وظيفة الترجمة

ظهور طبقة واسعة من المثقفين، وعلى وجه الخصوص تلك الثقافة الغربية العميقة¹، فكان إقبالهم على النتاج الحضاري الغربي نشيطاً، وكان على أيديهم نقل الكثير من الآثار الأدبية المتنوعة لمختلف اللغات، وخصوصاً الفرنسية والإنجليزية والألمانية، وحتى الروسية متمثلة في الروايات المهمة، كأعمال دوستوفسكي، وتولستوي، وغيرهما من أكابر الأدباء العالميين.

2.2- مناهج الترجمة في ظل إشكالية اختلاف اللغات

يمكننا أن نحصر منهجياً عمليات اختلاف اللغات في نوعين رئيسيين هما: اختلاف جذري واختلاف متتالي على حد تعبير الألسنين، فأما الاختلاف الجذري بين لغتين فينشأ في ظروف وأصقاع مختلفة، وبسبب اختلاف الأجناس اللغوي، كما هو حصيلة تاريخية طويلة المدى.

ومرجعها الأساسي هو تكوّن هذه اللغات في عزلة عن لغات الجوار، ولعلّ بعد المسافات وبطء الانتقال وقلة القبائل أو الجماعات في بداية التاريخ هي السبب في هذا التعدد، غير أن العامل الأساسي في هذا التعدد هو الأصل والجنس والعامل السياسي لأنها الأكثر تمثيلاً لسيطرة لغة الغالب.²

¹ - المصطلحات العلمية التي أدمجت في لساننا العربي تعد بآلاف الألفاظ العربية وبالمئات من الألفاظ المعربة. ففي مجال الفلسفة *Phylosophie* وضع مصطلح معرب مثل فلسفة اشتق العرب منها فعلاً الكلمات: تفلسف - وفيلسوف - وغيره، كما استخدمت الألفاظ العربية التالية للدلالة على معان محددة مثل: الأبد، القديم الحديث، العلة والمعلول، الوجود والعدم، الصورة والجوهر، الكلي والجزئي، والقياس والاستنتاج وما شابه ذلك من الألفاظ الكثيرة التي أصبح لها معان اصطلاحية ودلالات محددة. ينظر: مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية، ص 24-27. 1 - المصطلحات العلمية التي أدمجت في لساننا العربي تعد بآلاف الألفاظ العربية وبالمئات من الألفاظ المعربة. ففي مجال الفلسفة *Phylosophie* وضع مصطلح معرب مثل فلسفة اشتق العرب منها فعلاً الكلمات: تفلسف - وفيلسوف - وغيره، كما استخدمت الألفاظ العربية التالية للدلالة على معان محددة مثل: الأبد، القديم الحديث، العلة والمعلول، الوجود والعدم، الصورة والجوهر، الكلي والجزئي، والقياس والاستنتاج وما شابه ذلك من الألفاظ الكثيرة التي أصبح لها معان اصطلاحية ودلالات محددة. ينظر: مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية، ص 24-27.

² - ينظر: شحادة خوري. الترجمة قديماً وحديثاً، ص 71.

أما فيما يتعلق بالاختلاف فإن أفضل تعريف يمكن أن يُطبق عليه، هو فكرة ((تباعد شعبين من أمة واحدة تباعداً مناخياً أو زمنياً أدى إلى تحول اختلاف اللهجة)).¹ ثم إلى انفصال لغوي كامل، حيث يزول ذلك التفاهم، لعدم انطباق كامل مفردات اللغة، خاصة إذا صاحب الانفصال ظاهرة جديدة ومترافقة تخللها امتزاج اللهجة بلغة مجاورة لها لهجة مختلفة مما يؤدي إلى موت اللغة الأم، بعد انفصال هذا الشعب عن شعوب أمته مدة زمنية.

ولعل أحسن مثال على ذلك هو موت اللغة اللاتينية في أواخر القرون الوسطى بفعل تولد اللغات اللاتينية المتفرعة عنها مثل ((الفرنسية - الإسبانية، البرتغالية.)) وذلك بعد تقهقر الإمبراطورية الرومانية وأثر الهجمات البربرية في أوروبا.²

ونظراً لمرور أجيال عديدة في تاريخ شعوب هذا الكون، يصعب علينا معرفة تكون اللغات الخالصة البريئة من كل تعدد في الأصل، لأن اللغات الصافية لا يمكن اعتبارها الآن إلا مجرد فرضية نظرية، فقد يمكننا وضعها لفهم وتحليل كل ما يتعلق باللغات المزيجية.

أو بالمقابل لدراسة وتعليل إرجاع اللغات المتوفرة لدينا إلى أصل ما من مجمل اللغات القديمة. ولعلها لغات مزيجية من لغات حية ومعمول بها حتى الآن، أما إذا اعتبرت قديمة، فإننا قد نجهل عناصرها الأصلية، فإذا استعرضنا تكون اللغات يمكننا التصريح بذلك الزعم الذي يدعي بأن اللغات الصافية لا وجود لها، في زمننا الحاضر).³

بل هي لغات كانت تامة لشعوب أو أجناس محددة ثم أصبحت أجزاء لغوية لشعوب متجاوزة لأزمنة محددة، ثم صارت لغة واحدة على المستوى الفونولوجي والمعجمي كمادة، وعلى المستوى الإبداعي والإعرابي كصورة، وذلك بفعل سيطرة إمبراطورية أو دولة قوية على مجتمعات أو شعوب أخرى، بمعنى أن اللغة المسيطرة هي لغة القوي.

¹ - زيفريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ، ص 128.

² - ينظر: جمال الدين الشيال. تاريخ الترجمة في مصر ، ص 29.

³ - ينظر: شحادة خوري. الترجمة قديماً وحديثاً ، ص 88.

أما بخصوص الفرضية الثانية فهي التي تبدو أقرب إلى الحقيقة التاريخية البعيدة والقريبة، ويمكن أن نقدم مثلاً على ذلك، ما حدث خلال الفتح الإسلامي وما كان حادثاً في الشرق العربي القديم، وما هو حادث الآن بين لهجات شعوب الأمة العربية مما يفيد بأن الأصل كان متعدد اللهجات وأن ظاهرة الوحدة اللغوية هي التالية أي اللاحقة.¹ بحيث أن اللغة الواحدة مع مرور الزمن، ومع فكرة سيطرة الاقتصاد والتجارة ثم (اللغة / الثقافة) الغالبة، إضافة إلى التفاعلات المتنوعة الأخرى قد انصبّ عليها لهجات متعددة أو لغة وسيطة تحولت جميعها إلى ما يشبه التنوعات في اللغة الأصلية الأم.²

ولعل ذلك ما يجعل ظاهرة الترجمة، داخل كل لغة أساسية في دورها التكويني خصوصاً على المستوى اللغوي، وهي في الوقت نفسه تحاكي الظاهرة الكونية التي تستدعي الترجمة بين اللغات المختلفة في دورها على المستوى الفكري، وبنتيجة ذلك يمكن القول بأن ظاهرة الترجمة مترافقة دوماً بمسألة التواصل اللغوي، إما ضمن لهجات اللغة نفسها.³

ثم نصل إلى نتيجة مماثلة كأن نعتبر أصل جميع اللغات هي مجرد لهجات للشعوب المتقاربة التي خضعت لإمبراطورية واحدة وحدّتها سياسياً قبل اكتمال لغاتها الخاصة بحيث أصبحت المنبع الذي تولدت منه اللغات التي نعتبرها الآن صافية على قلتها، إن لم نقل انعدامها، ومن هنا نجد أن وحدة اللغة، مثل وحدة الجنس، هي حصيلة تاريخية وليست منطلقاً للتاريخ، أي ليست بداية، لأن تنتمي اللغات الرسمية.⁴

لأنها تسيطر بالتدريج حيث تصل مع طول الزمن إلى إزالة تعدد اللغات في أمتها، وهذا ما نلاحظه خاصة في شعوب أفريقيا السوداء بحكم سيطرة لغة الاستعمار الفرنسي والانكليزي، التي

¹ - زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ، ص128.

² - ينظر: جمال الدين الشيبان. تاريخ الترجمة في مصر ، ص24-28.

³ - ينظر: نفسه. ص37. وينظر أيضاً زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب ، ص195.

⁴ - ينظر: أحمد أمين: فجر الإسلام ص195-196 وضحي الإسلام ج1- ص263-273 وينظر: تراث الإسلام في مواضع كثيرة. وينظر: أيضاً جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج3- ص147-162.

تكاد أن تقتل اللغات القبلية. وكما يحدث أيضاً في الهند والاتحاد الروسي (بالنسبة إلى الانكليزية والروسية).

هناك بالمقابل حالات قليلة تبدو فيها وحدة اللغة والجنس حاصلة ومتعمقة كما هي الحال في الصين واليابان بفضل الكتابة التي كانت ولا تزال هي وحدة التواصل الفريدة التي حافظ الصينيون خاصة عليها رغم تخلفها.

ولأن العملية الترجمية تعتبر في حد ذاتها عملاً حضارياً، فهي رفيقة التطور الدائمة عبر الزمان والمكان، لأنها كانت وستبقى نافذة تفتحها الشعوب المختلفة لتستنير بنور غيرها، ولقد عرفها العرب منذ القديم، كما عرفها سائر الشعوب. لقد عرف العرب التواصل في زمن الجاهلية، مع المحيط المجاور ومع اليونان والصين والهند.¹ ولكن بشكل محدود، كما نقل الغرب بدوره عن العرب في الماضي وخاصة في زمن الصليبيين ثمار الحضارة العربية، كما نقل العباسيون بدورهم عن الفرس واليونان والهند وغيرهم. تعتبر الترجمة اليوم من أهم روافد الثقافة، وقد أحرزت انتشاراً واسعاً ومتنوعاً وأوجبت الضرورات القيام بها ومتابعتها.

وهو الأمر الذي أفقدنا القدرة على التمييز بين مصادر الصور الغنية التي تضمنتها من صور: (فكرية- أدبية- فنية- وعلمية) قد اتسعت لها أذهاننا، ذلك لأن حضور الترجمة المتواصل منذ القدم والمتعدد المراكز والجهات وأيضاً اللغات يفرض أن يكون له أسباب ومستلزمات ثابتة.²

¹ - ادمون كاري- كيف تترجم ص 39-41 المطبعة المركزية صنع عام 1986 ص 40.

² - في القرآن الكريم بعض الألفاظ من أصل أعجمي مثل: الفردوس- قسطاس، قرطاس، وقد أتى عليها المفسرون وردوا كل كلمة إلى أصلها، وفيما بعد جمعها جلال الدين السيوطي في كتابه: "المهذب فيما في القرآن من المعرب". فقد أجاز علماء العرب ما كان قد عرّب في زمن الجاهلية وفي صدر الإسلام واعتبروا ما عرّب بعد ذلك مُولَداً عاماً. ومع أن التعريب يحقق التواصل بين اللغات وله أحياناً من الضرورة، ولكن يجب أن لا يُلجأ إليه إلا عندما تعجز الطرائق الأخرى من تلبية الغرض المطلوب..

لقد بقيت الترجمة عهداً طويلاً مجهولة، ربما لكونها تقوم في أساسها، على تقاطع العديد من علوم اللغات الألسنية خصوصاً، من منطق وفلسفة وتربية وعلوم وثقافة، فلذلك توزعت مشكلاتها على عدة اتجاهات، ثم لأن الدارسين لم يتعرضوا لها بصورة مستقلة ومفصلة، بل أن العلوم أهملتها كما يرى الكثير من الباحثين، لضعف التواصل والاتصالات فانطوت في زوايا النسيان لمدة طويلة من الزمن.

فبالرغم من أهميتها، إلا أننا نلاحظ بأن التاريخ، قد شهد حركات ترجمة قديمة وحديثة، كما شهد نشوء بعض المدارس للترجمة منذ أزمنة بعيدة، غير أنه لم يترك لنا أية نظرية معمقة ومفصلة في فن الترجمة أو حتى دراسة شاملة لقواعدها ومشكلاتها. ومع ذلك فإننا قد نعثر على أفكار وملاحظات عابرة ومقتضبة، كما أننا قد نجد مترجمين ولا نجد ترجمة قائمة بذاتها.

نسجل كذلك أيضاً، إشارات صدرت عن بعض الكتاب الذين ولجوا هذا الفن والذين أشاروا إلى ما صادفوه من صعاب وإلى ما ابتكروه من أساليب. نذكر منهم على سبيل المثال Ferdinand de saussure، - و Sauvager و francois thurot - مارتينييه - Weinreich - وغيرهم، ممن حاولوا شرح تلك الصلة المتبادلة بين البنية الأساسية لعلم اللغة وبين البنية الاجتماعية، والهدف هو إثراء منابع الترجمة وتقارب المعنى في اللغتين .

2.3 متركزات الترجمة و قواعدها:

ولكي نستكمل الصورة المتعلقة بالترجمة لابد من ذكر أهم القواعد التي تركز عليها، وذلك لأن الترجمة أصبحت لها نظريات، وركائز تشدها لكي يستقيم معناها العلمي الدقيق ولكي يتوضح أماننا، سنتوقف عند الركائز الأحد عشر كما يسميها بعض الباحثين وهي: (أ - التخطيط والتنسيق / ب الاستيعاب الكامل لمضمون النص. / ج الأسلوب، د - أهلية المترجم / هـ - الإبداع

والدقة. / و- اللفظ والتراكيب. / ز- تعادل زمن الأفعال في اللغتين. ح- المصطلح وحسن اختياره. / ط- أثر الترجمة. / س- مواكبة مستوى اللغة المترجم منها في الإنشاء وانتقاء المفردات. / ل- حرفية الالتزام بالترجمة مع التمكين دون الخروج عن الأصل.

أولاً - الترجمة الممنهجة والتخطيط الدقيق.¹ يعتبر التنسيق والتخطيط في الترجمة من مرتكزاتها الأساسية التي تقوم على المنطق اللغوي للمترجم، فاللغة ليست سوى تعبير عن معان منظمة، وهي فوق ذلك مظهر من مظاهر المترجم، فإذا كان التفكير صحيحاً وسليماً كان التعبير عنه كذلك.

فاللغة المنظمة تعمل في تنظيم الفكر والفكر المنظم يعمل في تنظيم اللغة، كما أن المتكلم إذا تحدث باللغة الألمانية أو الانكليزية خضع لمنطقها وطرق تفكيرها، كما يخضع لاختبار كلماتها وأساليبها وكيفية التنسيق لموضوعه، مع روح المعنى والنص المطلوب ترجمته. وإجمالاً على المترجم أن يحاول بأن يكون ألمانيا أو انكليزياً في تفكيره كما هو في لغته، يمكننا أن نستخلص عدم وجود طرق وقواعد محددة بصورة مطلقة من مسار التنسيق والتخطيط، لأن أهم مرتكزات الترجمة، ليست مطلقة، ذلك لأنها تسري ضمن قاعدة واحدة على جميع أنواعها، ولأن حركة الترجمة هي عالمية وفي أوسع الحدود ولها أنواع كثيرة، ولذلك لا يترجم بالطريقة نفسها: فالشعر ليس مثل الرواية و الفيلم مختلف عن الترجمة الفورية أو الترجمة الكتابية في حين أن الشرائع المختلفة كالقصة و غيرها يتطلب منهجية خاصة و أدوات معينة..

يجب أن نلاحظ بأن سوسير Saussure صاغ بكل وضوح وبشكل تخطيطي للجمل والبيانات اللغوية والعلاقات الثابتة التي تشترك فيها الإشارات اللفظية سواء على الصعيد التركيبي أو المثالي.

¹ - يقترح الباحث التونسي د. محمد عجينة الأخذ ببعض الشروط الإجرائية، حيث يقول: ((إن البحث عن تأسيس نظرية في الترجمة يقتضي اعتبار المواقف المختلفة بل والمتناقضة دون تلفيق، ولكن ضمن عملية استيعاب جدلية في رؤية شاملة كلية نهم بالبحث فيها عن أبرز قضايا الترجمة، حتى نتمكن من معرفة آفاقها و حدودها في ظل شروطها وملابساتها التاريخية و الحضارية- الثقافية و المعرفية والمتغيرة. ينظر: د. محمد عجينة: مقال ((نظريات الترجمة.)) ضمن كتاب " الترجمة و نظرياتها"، م.س، ص 260.

ومثل ذلك استحق ((إدمون كاري)) أحد الاعتبارات السامية، عندما بحكم مهنته، لاحظ عن طريق مطالعته الكثيرة، بأنه لا بد من التمييز بين اللغة الشفهية واللغة المكتوبة وصيغة كل منهما، فوجد في الحالتين أن الصيغة الشفهية هي المقدمة على الصيغة المكتوبة، كما أنها تخضع أيضاً إلى قواعد فيها بعض الاختلاف عن المكتوبة، وبما أن الترجمة تتعلق بخواص انتقال المعنى من لغة إلى أخرى، فلا يجوز للمترجم التصرف الخاص، أو التحديد غير المطابق عندما تعترضه الصعوبة في إيجاد المصطلح المناسب. بل عليه تخطيط الموضوع وتنسيقه ثم ترتيبه إلى أفكار متسلسلة ومتراطة.¹

إن التخطيط والتنسيق هو المترجم نفسه، فأما بالنسبة للتخطيط والتنسيق بين الأقطار العربية لم يتوصل إلى نتائج مهمة، لا بد من إزالة المعوقات التي هي كثيرة بين الأقطار العربية، ومنها الأمية، وتعليم اللغات الأجنبية، لعل أهم مسألة في كل ترجمة هي قراءة النص بكل انتباه ودقة حتى النهاية، وذلك للتمكن من الوصول إلى فكرة المؤلف، والوقوف على كنه أسلوبه ومفرداته التي قد تكون غامضة أو عميقة، ثم للتمكن من تفهم النص ككل.

ثانياً - الاستيعاب الكامل لمضامين النص:

إن أفضل ترجمة هي التي تمكن من الوصول إلى معنى النص المترجم من حيث الجوهر، وإن مراعاة الأفضلية في الترجمة تستدعي نقل الفكرة الصحيحة الكاملة، والرجوع إلى الصيغة الأقرب إلى اللغة الأساسية، إن الكثير من الكلمات تغير المعنى في النص المطلوب ترجمته، لذلك يجب ترجمتها حسبما توحى إليه، مثال على ذلك تستخدم اللغة الفرنسية .

¹ - إن نمط النص هو الذي يحدد نمط الترجمة، وما ذلك إلا لأن المترجم لا يمكنه تغيير قصدية النص الأصل (Source du text) في اللغة الهدف، ((لأنه لو غيّر قصدية النص لما كان عمله ترجمة، وإنما نص جديد كتب بوحي من النص المستهدف ينظر: ادمون كاري - كيف تترجم ص 52.

الظرف Adverbe بينما يفضل في اللغة العربية استعمال ((الحال)) Objectif modal أو المفعول المطلق، Complement absolu أو أي عبارة مناسبة تعود غالباً إلى فعل ^{1 1} (كان يأكل متمهلاً) حال Il mangeait lentement . (لقد أكل كثيراً) مفعول مطلق il a beaucoup mangé هنا نجد الكلمة المجردة مثل الظرف فقد عُوْضَتْ بعبارة ملموسة، لذلك بالعربي يفضل غالباً استعمال الصيغة المعرّقة بينما في الفرنسية يفضل المبهمة مثال: Il consacra cette construction des sommes considérables

وترجمتها في اللغة الانكليزية لا تسير الفكرة في الترجمة على المسار نفسه الذي تسير بموجبه اللغة الألمانية. مثلاً بالانكليزية تبتدي الفكرة بحركة He swam وهي بحد ذاتها مفهوم ملموس يفسره الفعل، كما أن مركز هذه الحركة تابع لجار ومجرور Across أما في اللغة الفرنسية فإنها تسبق الحركة إلى مفعول زمني Com Circonstanciel فتنتقل بشكل مجرد. ولكن عندما تعني الكلمة الغرض) فإنها تبقى غير موصوفة ودون مفهومة، مثلاً في الانكليزية تشمل كلمة River معنى نهر وساقية بأن واحد.

ثالثاً- خصوصية المترجم ومؤهلاته

إن المترجم صوت لا يمكنه إلا أن يعلو صدها فوق الجميع مهما كان الأمر، ولكن صاحبه ((المترجم)) لا يبرز كالمؤلف، كونه الواسطة أو الوسيط بين طرفين، يحمل إلى الواحد أو الجمهور رسالة الآخر ولكن هل يمكن للمترجم..² أن يكون مبدعاً؟ وصفة الإبداع كما يتوجب توفرها لدى المؤلف والشاعر والأديب، فإنه من الضروري أن يكون المترجم مبدعاً في اختصاصه عندما

¹ - التعريب هو أن تلفظ الكلمة الأعجمية في اللغة العربية بذاتها دون ترجمة والتعريب سائد منذ القدم، إذ أن جميع اللغات يقتبس بعضها من بعض عند الضرورة ففي الجاهلية على سبيل المثال أخذ العرب ألفاظاً مثل: الإبريق، والدياج، والسندس، والرجس، عن الفارسية- وعن الهندية: الفلفل، والقرنفل، والكافور... وعن اليونانية: الفردوس والتركيا والقنطار... والقسطاس. وعن السريانية: الكنيسة والمسيح والكهنوت والناقوس والنورج والناطور والبلوط... وعن العبرية: التوراة والأسباط... وجهنم... وعن الحبشية النجاشي والمنير والتابوت.

² - ينظر: د. محمد عجيبة: نظريات الترجمة، ص 156.

يكون متمكناً من اللغتين أو أكثر ومتعمقاً في المعنى والمبنى، وقادراً على تطابق المعنيين بدقة وتصور مبدع ولغة فصيحة ومتقدمة

وهكذا المترجم الذي يخرس صدى صوته. فهو وإن كان قادراً على الإبداع فهو لا يستوي مع المؤلف لكونه ينقل خيال وتصور وبداهة وإبداع غيره، ولا يتعدى إبداعه مضمون اختصاصه. فإن وجب له اعتراف، أو حق له تقدير فهو شكر على واجب مشمول بإطار اختصاصه، ولذلك من شروط أهلية المترجم ما يلي:

- 1 - أن يتميز بالأمانة والصدق في الترجمة وفي النقل وفي التعامل مع النصوص المختلفة.
- 2 - أن يكون عارفاً باللغة العربية متعمقاً في جميع خصائصها من صرف ونحو واشتقاق ومفردات وغيره، ومتقناً ومتعمقاً للغة الأجنبية المراد الترجمة منها، معرفة العالم بأسرارها.
- 3 - المقدرة على إدراك حقيقة المعنى المطلوب والعثور على المصطلح الموافق لما طلب منه.
- 4 - المقدرة على التنسيق والربط بين المعاني وبين الجمل، والإحاطة بعلم الحياة وتنوعاتها.
- 5 - المقدرة على التعبير عن معنى الكلمة المترجمة بكلمة عربية مطابقة نصاً ومعنى وروحاً، والمترجم الحاذق هو من يلزم حدود الشروط التي تقيد المؤلف الذي يترجم منه. فتخرج ترجمته صورة صحيحة، وصادقة للنص الأجنبي..¹

رابعاً- أسلوب الترجمة:

لم يكن أسلوب الترجمة في القديم بالأمر السهل، فقد كان المترجمون يقتحمون أرضاً غير ممهدة، فكان عليهم أن يستوعبوا معارف جديدة كل الجدة عليهم لم يألّفوها سابقاً، بل كان عليهم أن ينقلوها بعبارات وألفاظ مناسبة تمكن القارئ من فهمها ثم تلاوتها دون صعوبة

¹ - ينظر G. Mounin كتاب الترجمة - دراسة اللغات ص 48.

بحيث كانت الموضوعات لا تستقيم ترجمتها منذ المرة الأولى، ولكن قدراتهم الذهنية جعلتهم يدركون المعاني التي يتفحصونها، بالإضافة إلى إيمانهم بقدرة اللغة العربية على التعبير عنها. كانت تغلب على الصعوبات العارضة. وما أثبت ذلك هو نقل المترجمين كتباً في الفلك والرياضيات وعودتهم إلى إصلاح لغتها ثانية، ومن هذه الكتب نذكر: ¹ كتاب (الأصول....) لأقليدس في علم الهندسة، حيث نقله الحجاج بن مطر نقلين: الأول: في عصر هارون الرشيد، والثاني: في زمن المأمون، وحسب قول ابن النديم، كان النقل الثاني أصح وعليه المعول، أما الكتاب الثاني للمجسطي، فقد نقله اسحق بن حنين وراجعته ثابت بن قرة..²

ولكن اليوم بعد تطور الفنون من: شعر وقصة ومسرح تطور أيضاً معها أسلوب الترجمة بمقدار محيطها العلمي والثقافي، غير أنه لا بد لها من أن تركز على أسس ومبادئ أهمها:

1 - أن يكون المترجم عارفاً ومتقناً للغتين المنقول عنها والمنقول منها، وأن يكون على معرفة بالموضوع الذي يترجمه.

2 - أن يكون عارفاً بأسلوب المؤلف وإنشائه وألفاظه وتصوراته وغايته، وأن يكون مستوى أسلوبه في وزن مستوى الموضوع الذي يترجمه.

3 - أن يتقيد بالأصل ولا يعمل في أسلوبه حذفاً ليتعد عن روح المعنى .

¹ - لأهمية الحضارة ضرورة التوسع بحركة الترجمة وفق خطة مدروسة ومحكمة وجعلها ناشطة جداً في ترجمة أنواع الكتب المفيدة، وخاصة منها الكتب العلمية والتقنية التي تصلح كمراجع مفيدة للتوسع والتعمق ولزيادة الوعي العام وتوفير قدرته على مواكبة علوم وتقنيات العصر..

² - ينظر لطيف زيتوني -حركة الترجمة م.س./ ص172.

ونظراً لأهمية الأسلوب في الترجمة وفي الحياة الثقافية العربية، نجد الجاحظ يقول، في كتابه الحيوان (ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيها سواء وغاية الخ..)¹

وهكذا نلاحظ بأن الجاحظ يشترط في المترجم أن يكون ذا قدرة على البيان والتعبير لا تقل عن علمه ومعرفته وأن يكون متقناً اللغتين المنقول منها والمنقول إليها على السواء. غير أنه استبعد أن يكون المترجم كذلك، لأنه يصعب عليه جمع سوية واحدة بين لغتين. ومن المجيدين الذين أحسنوا أسلوب الترجمة هم:

خامساً: الإبداع ودقة الترجمة إن الإبداع والدقة في الترجمة، يدعوان إلى الانفتاح على كل جديد والأخذ بكل مفيد وصالح ومن ثم بالتواصل مع الثقافات المختلفة، دون التنكر للثقافة العربية السالفة، تاريخاً وفكراً وأدباً وقيماً، لهذا تتطلب الترجمة وحركة النقل والدقة والإبداع والأمانة في كل نقل واقتباس أو تفسير. إن عملية الترجمة في بعدها الفني تتطلب الدقة التامة والإبداع، هي مزدوجة الفعالية

1 - كونها عملية تعتمد الخبرات المنقولة عن طريق الترجمة والنقل، وخاصة في اللغة المترجم إليها.

2 - كونها عملية نقل علمي فعلي لا لفظي لهذه المفردات التي يتم صياغتها وإنشائها

إن الترجمتين العلمية والأدبية، وترجمة المواد الصحفية تتطلب سرعة في النقل وتفرض على المترجم أن يضع فوراً المصطلح المناسب للمعنى الجديد دون أن يتوفر له الوقت الكافي للتفكير ومراجعة ما نقله، وفي سبيل ذلك مثلاً نستعرض مادة أساسية لدراسة بنية الكلام، وذلك لأجل التحقق من الأساليب: الصوتية - اللفظية - الصرفية والنحوية هل هي متينة وصحيحة. فعندما

¹ - ينظر : الجاحظ، كتاب الحيوان، ج 1 ص 75-76 - وينظر زيفريد هونكة: المرجع السابق، ص 184.

يستخدم الشخص لغتين حسب أوريل وينريش Uriel weinreich يدعى ذلك ((ازدواجية اللغة))¹

أما الانزياح في اللغة Ecart فهو تشابك لغتين، فيما يخص طريقة الإنشاء والتكلم بالنسبة للشخص المؤلف أو المترجم عنه. مثال على ذلك: العبارة في اللغة الإنكليزية كما يلي a simple soldier بدلاً من كلمة a private فالسيد وينريش Weinreich علّق على هذا المفهوم: (بان يطرح التماس في اللغات وهو المخط الذي به يتحقق "التداخل في الكلمتين ضمن تردد واحد"؟ وذلك في اللغتين الناقلة والمنقول إليها، وسواء ضعف أو اختفى هذا التداخل لأنه يعتبر دوماً كلام فردي..)

فالترجمة هي التماس مع اللغات وهي ثنائية ولكن لها فعالية خاصة، بين اللغتين ومع ذلك توصف وكأنها حالة محدّدة في كل لغة يصعب النقاش فيها عند تعدد الألسن.

سادساً: تعادل زمن الأفعال في اللغتين:

لهذه القاعدة اللغوية أهميتها في الترجمة، لأنها يجب أن تدرس بالتفصيل غير أنه بالنسبة للمترجم تأتي الفكرة مصاغة بحيث لا تعود إليه مجدداً، وليس له أن يفتش عنها بل وأن ينقلها بلغة أخرى، وحيث أنها تعود إلى منشئ النص لذلك يمكن القول إن الكلام في الترجمة يعود إلى المؤلف والمترجم بأن واحد، كما لا بد من الاهتمام بعنصرين هامين في الترجمة هما: الفكرة

¹ - يجب أن يتوفر للمترجم، ذلك الشعور المقدس بأهمية الإشعاع النفسي المنبثق من الشعلة المقدسة، المتمثلة في الترجمة من أجل نشر الفكر الإسلامي، هي التي تذيب المؤلف الناجح. ولكن هذا لا يتم إلا على ضوء ذلك الشعور المقدس، الذي يجب أن يستمر في نوره، لأن إتباع طريق الأمانة في إنشاء الكلمات الرنانة غالباً ما تصدر من هذا الشعور المهم لذلك فإن ترجمة كاملة للقرآن الكريم بهذا المفهوم تبدو مستحيلة، وذلك لاعتبارات متعددة منها: طبيعة القرآن، ورسمة، وإعجازه، وأسلوبه، ومعانيه، ومبانيه، وبلاغته، وفصاحته، وقراءته، وتجويده، وموسيقاه، وغير ذلك. ينظر لطيف زيتوني -حركة الترجمة في عصر النهضة دار النهار مصر ص182- وما بعدها.

وهي الموضوع والأساس والكلمة التي تساوي الشكل والصيغة ولا يمكن فصلهما، لأنهما مندمجان بدقة، فالأفضلية في الترجمة هي للجوهر أي الأساس، وقد لا تعطي ترجمة نص ما نفس المعنى الأصلي الوارد في لغة الأساس، وأيضاً قد نجد في فكرة ما إنهما لم تُترجم جميع كلماتها، لماذا، ولأن دلالة الكلمات ليست واحدة في جميع اللغات ولأن بنية الجملة -وتركيبتها- ونحوها، ليس واحداً في جميع اللغات)¹ هنا تعني طبقات La nouvelle lois s'applique a` toutes les classes de la société وهنا صفوف Le directeur a félicité toutes les classe de l'école .classe

في هذا المثال الأول تعني كلمة طبقات، وفي المثال الثاني تعني صفوف، وهناك أيضاً، كلمات مفردة بالفرنسية لها عدة معاني بالعربية مثل كلمة Traitement يمكن أن تعني: علاج - راتب - معاملة- وكلمة رسالة بالعربي، قد تعني: Mission envoi lettre بالفرنسية إن أفضل طريقة للترجمة أن لا تركز على المشابهة Similitude الكلية بين اللغتين أو على محاولة إخراج عناصر كل منهما في قالب مشترك، لأن لكل لغة خصائصها ومنطقها)²

سابعاً: بخصوص الألفاظ والتراكيب

يعتبر اللفظ محورا للحديث عن الترجمة، لا بد له من أن يكون مناسباً للمعنى، وجدير بالذكر أن العرب لم يعربوا تقريباً، لفظاً أجنبياً واحداً واستخدموه كقاعدة في لغتهم ، فقد استعملوا كلمات وعبارات عربية خالصة لا تشوبها أية شائبة أعجمية، في الوقت الذي اتكأ فيه الغرب بعمق عند نقل المعارف من أصولها اليونانية واللاتينية، حيث أخذوا حاجتهم سواء كان لفظاً أو معنى أو مبنى، لا بد لحركة الترجمة من تحقيق الاكتمال الفني ومراعاة الدقة في حسن الأداء

¹ - ينظر انطون مطر في Traduction pratique ص 93-16.

² - التعريب يقتضي الترجمة لأن الدعوة إلى الترجمة والتعريب ليسا بدعة جديدة، بل هو عودة إلى المنهاج الصحيح، فهناك شعباً أقل منا عدداً وأصغر مساحة أرض وأفقر حالاً، وليس لهم مشاركة مثل مشاركتنا في صنع الحضارة الإنسانية في سالف العصور، ومع ذلك فإنها تتلمس دوماً وباستمرار سبل التطور بالبحث والترجمة والسعي وراء استيعاب كل علم أو معرفة جديدة، الترجمة تساعد التعريب وتبعد له الطريق.

واللفظ والتركيب ودقة المصطلح حتى لا تأتي الجملة أو بقية المواضع ركيكة العبارة مضطربة التركيب.

لقد عانى المترجمون الصعوبات المرة في الترجمة ولاسيما أولئك الرواد الذين نهضوا وتغافوا في العمل، لتوسيع اتجاهات اللغة لاستيعاب وهضم كل جديد، وملائمة كل مستحدث في سبيل مسايرة ركب الحضارة أو اللحاق بكل ما هو مفيد.

ومن مكونات اللفظ والتراكيب والأسلوب، العبارة والحديث عن العبارة في موضوع الترجمة يقتضي الدقة، لأن اللغة كما هو معروف كائن حي فهي في نمو مستمر، تتطلب أن يجمع إليها ما هو نافع ومفيد، وإلغاء ما يمكن الاستغناء عنه، مثل بعض العبارات المجازية.

الفصل الرابع

نماذج تطبيقية

يتداخل مفهوم الجانب التطبيقي في الدراسات التي لها علاقة بحقل الترجمة بالقضايا التي لها علاقة بالجانب النظري من مثل ما طرحه قضايا تحليل الخطاب وكذا أساليب الترجمة وغيرها.. ومن ثم ارتأينا أن نجعل هذا الفصل ينصب أساسا على جانب تطبيقي يتماشى إلى حد بعيد مع ما توقعنا عنده بشيء من التفصيل و البيان في الفصلين الأول والثاني من هذا البحث، محاولين من وراء ذلك كله أن نربط بين الجانبين النظري والتطبيقي، في ضوء بعض العينات التي اخترناها من النصوص على اختلاف أنواعها. ومن هذا المنطلق رأينا بأن أحسن طريقة نسلکہا في تطبيق المفاهيم والإجراءات التي جاءت بها لسانيات النص والتي لها علاقة بترجمة مختلف النصوص تبني وفق المعايير التي تتأسس عليها النصوص والتي سنقوم بتوضيحه بشيء من التفصيل لاحقا ، دون أن ننسى أننا ونحن نتعامل مع النصوص لربما اقتضى السياق الحالي أن يجرنا إلى ما له علاقة بقضية الأسلوبية المقارنة أو أساليب الترجمة فإننا نلفي انتباهها إلى ذلك بإعطاء وقفة تتماشى وما يقتضيه السياق الذي نريد التوقف عنده حتى لا نخرج عما رسمناه في الخطة المتبعة والمقترحة في الجانب التطبيقي.

1. - العملية الترجمية من حيث الأنساق النصية

المتفق منهجيا هو أن النص عبارة عن مجموعة أنساق من المفردات ضمن قوانين معينة وضوابط متعارف عليها لغويا، يؤدي بذلك معنى معيناً، وإذا كان النص هو مادة عمل الترجمة، فإن الربط بين هذه الأنساق من الكلمات وبين عملية النقل ممثلة في الترجمة كفيل بأن يطرح من الإشكالات، ما يجعلنا نقف على تحليل للنصوص وننظر في بعض أنماطها، ثم نتساءل عن أهمية الترجمة في تلك العملية.

ثم انتقاء من ضمن أساليب الترجمة ما يوافق هذا المعنى ويخدم روح النص؛ لأن المترجم ملزم بالتقيد بضوابط النص لنقل ترجمته، وهذا لا يمنع من تعدد الترجمات للنص الواحد بتعدد المترجمين، فالمترجم لا يتولى ترجمة نص أدبي بقدر ما يتولى ترجمة قراءة ذاتية لنص أدبي.

وبذلك نفهم إمكانية التعدد في الترجمات للأثر الأدبي الواحد، لأن طبيعة النص الأدبي تقوم على المعاني الخافة Les connotations من جهة واللغة الجمع La langue plurielle من جهة ثانية كما أشار إليها رولان بارت حيث قال بأن كل قراءة هي وجه من وجوه الإبداع للنص الأصلي.¹

ذلك أن النص المترجم ليس هو المصدر الوحيد في تحقيق الترجمة بل هناك أبعاداً أخرى تتدخل بصورة مباشرة في تحديد ماهية النص المترجم منها الخلفية الفلسفية والثقافية للمترجم والهدف الذي ترمي إليه الترجمة والبعد السوسيوحضاري للمتلقي.

تعرف وحدة الترجمة بأنها: ((الوحدة في النص الأصلي التي يمكن أن نجد لها مكافئاً في نص الترجمة، ولكن ليس لأجزائها وهي منفردة وبعبارة أخرى فإن وحدة الترجمة هي وحدة لغوية في النص في لغة الأصل، لها مكافئ في النص في لغة الترجمة.

¹ - Roland Barthes. Critique et vérité . p48

ويمكن أن يكون لهذه الوحدة بنية معقدة أي يمكن أن تتشكل من وحدات أصغر في لغة الأصل، أي لا يمكن أن نضع لها مكافئات حتى ولو كان لها في نص الأصل معنى خاص ومستقل نسبيا، كما تعرف على أنها

« L'unité de traduction est le plus petit segment de l'énoncé dont la cohésion des signes est telles qu'ils ne doivent pas être traduit séparément, car ces éléments de lexique connu souvent a l'expression d'un seul élément de pensée, car les unités de traductions sont souvent des mots qui, associés d'une certaine façon forment un ensemble aisément reconnaissable quelle que soit sa longueur)¹

(إن وحدة الترجمة هي أصغر جزء من الكلام، والذي تأتي إشارات مترابطة بطريقة لا يمكن معها ترجمته مفصلا، فهذه العناصر المعجمية تتألف في التعبير عن عنصر واحد من التفكير، فوحدات الترجمة غالبا ما تكون مفردات مترابطة بشكل معين، تشكل كلا يسهل فهمه، مهما كان طوله).²

إن من جملة التعريفات التي حددت وحدة الترجمة يستخلص أنها كل متلاحم غير قابل للتجزئة. (فأصغر وحدة للترجمة هي المورفيم ثم المفردات ثم العبارات ثم الجمل فالنص، كما أن المترجم في انكبابه على النص وتفكيكه له، يتقصى مراحل هذه التصنيفات ليُدلي بالمعنى ويعبر عنه باللغة المستهدفة، فإذا كانت المطابقة غير قابلة للتحقق انتقل المترجم من مستوى إلى آخر حتى يجد ضالته).³

فالوحدة الترجمية مقطع لغوي قصير أي أقصر مقطع لغوي ويجب ترجمته دفعة واحدة . وبالمحافظة على هذا المقياس يتم استبعاد كل ترجمة حرة، (لأنه كلما كانت الترجمة حرة كلما نحت

¹ - الترجمة الحرفية تفقد النص الأصلي في غالب الأحيان كثيرا من مطالبه، وهذا راجع إلى الاختلاف البائن بين اللغات من حيث ارتباط كل لغة بمحيطها السوسيوثقافي، لذا فإن طريقة الترجمة تكون نابعة من طبيعة النص المترجم ومن طبيعة اللغة المترجم منها والمترجم لها حتى تنفادى المقولة المشهورة (أن الترجمة خيانة).

² - أسعد مظفر الدين حكيم، علم الترجمة النظري، ص168.

³ - Voir : Joelle Redouane . M^eme ouvrage. P.42.

وحدة الترجمة إلى الطول، غير أنه مع ظهور اللسانيات النصية انصبَّ اهتمام الترجمة الحرة على النص بكامله وأصبح يشكل وحدة واحدة للترجمة. ¹ وقد دعم هذا الرأي الدراسات المنصبة على التحليل النصي التي تدرس النص كاملاً في علاقاته وروابطه وعلى جميع المستويات الأعلى من الجملة أي التي تتعدى نطاق الجملة، فمن خلال ما ورد في تحديد وحدة الترجمة تحددت عناصر النص المستهدفة من قبل المترجم. وهي: التماسك والترابط. التدرج في التعبير عن الفكرة. التأثيرات وعلامات الوقف. تسلسل الجمل وتتابعها.)) فالترجمة على مستوى النص بكامله تنطلق من كون الوحدات الأصغر فيه لتبليغ المراد دون الرجوع إلى النص ككل واعتباره وحدة واحدة. ²

لترجمة أي على مستوى جمل عديدة مستقلة) موحدة في إطار فقرة كلامية واحدة. ³ فوحدة الترجمة تقتضي أن يتعامل المترجم مع الكل النصي لا مع الجزء المكون لهذا النص والمتمثل في كل مفردة على حدة، لأن مترجم عبارة Family planning authority إلى العربية لن يستخدم لفظ التخطيط لترجمة الكلمة الوسطى أو كلمة السلطة في ترجمة الكلمة الأخيرة، وكذلك لن يقول

- ((السيطرة على المواليد أو على المولد ترجمة لتعبير، Birth control فالمترجم يتعامل مع وحدة إحالة كاملة لا مع مفردات هذه الوحدة، ووحدة الإحالة الكاملة تتمثل في كامل صورها في مجال ترجمة الشعر فلكل لغة عبقرية وموسيقى وإيقاع خاص، ذلك أن النص الشعري لا يمكن ترجمته على مستوى المفردات أو الجمل. ⁴

وإنما لا بد من ترجمته على مستوى المضمون الكلي للقصيدة مع اعتبار المفردات في تألفها الوسيلة الأولى لتقريب المعنى المترجم: ((لأن نقل الشعر في مستويات أولية كالمفردة أو الجملة لا يؤدي المراد تماماً، وقد يكون فيه من التكلف الشيء الكثير ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة لترجمة

¹ ينظر: جورج موانان المسائل النظرية في الترجمة ص 14.

² محمد كوداد، أساليب الترجمة وتطبيقاتها، ص 71.

³ المرجع نفسه ص 72.

⁴ ينظر: جورج موانان في المسائل النظرية في الترجمة ص 5 و 6.

الشعر على مستوى كامل النص، لأن نقل المعاني في هذه الحالة يحقق الأثر النفسي من القائل إلى السامع.¹

إن الترجمة يمكن أن تحقق على مستوى أصغر وحدة تبعا لطبيعة النص وخصائصه وتبعا لمجال اختصاصه وأسلوبه ولغته، إن مفهوم النص قد تطور تبعا لتطور المدارس اللغوية والأدبية وأما فيما يخص الفكر اللساني بصفة عامة فقد انصب الجهد على الجملة تفكيكا وتحليلا إلى أصغر وأدق أجزائها المكونة، ولكن مع التطور الحاصل في اللسانيات.²

فقد أدى هذا إلى ظهور ما يعرف بلسانيات النصوص التي اهتمت بدراسة النص ((من حيث هو بنية تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ نص.))³ من هنا يتم النظر إلى النص على أساس معناه الكلي، حيث يبدو للملاحظ السطحي أننا بصدد فك رموز النص جملة جملة، ولكن في الحقيقة يؤول معنى العبارات من منظور الفهم الكلي للنص، (فأن نقرأ ليس أن نقرأ كلمات، ولا أن نقرأ عبارات، ولكن أن نقرأ دفعة واحدة وضمن رؤية النص الكلي..⁴)

إذن فمحور لسانيات النصوص هو قابلية النص على التواصل وعلى إنتاج الدلالة حيث ورد أن لسانية النصوص: ((هي حدث تواصلية تتوفر فيه سبعة معايير للنصية. وفي حالة عدم توفر معيار

¹ - لقد شهدت نظرية الدلالة في التراث العربي في عصور ازدهار الفكر اللساني العربي انتعاشا أدى إلى وجود ثروة من الأفكار والمقاربات للدلالة، تمثل هذه الإسهامات مفخرة حقيقية في جيد الفكر العربي نتيجة ما اتسمت به من عمق التحليل وجدته اقترنت في كثير من الأحيان من النظريات المعاصرة دقة ومنهجية. ولقد اعتمدت نظرية الدلالة العربية على جهاز من المفاهيم والآليات مكنها من الذهاب بعيدا في سبيل استكناه هذا العلم وسر أغواره.

² - ينظر: محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص 10.

³ - أسعد مظفر الدين حكيم، المرجع نفسه، ص 170.

⁴ - مختار حمصاجي، لسانيات النصوص ما هي؟ دفا تر الترجمة، ص 06.

واحد من هذه المعايير السبعة، فإن النص لا يكون تواصلية، وبالتالي فالنصوص غير التواصلية تعامل على أنها لا نصوص.¹

كما يحدد مفهوم النص على أنه يختلف عن الجملة والفقرة، التي هي وحدة كتابية مطبعية تضم العديد من الجمل، ويمكن أن يكون النص جملة واحدة، مثلما يمكن أن يكون كتابا كاملا، فالنص يشكل نظاما يختلف عن النظام اللساني ولكن يجب أن يكون له علاقة به، علاقة تماس وتشابه.²

وبذلك يمكن استثمار كل هذه النظرات من أجل الاستفادة منها في عمل الترجمة، لأن الترجمة وإن كانت تنصب على النص، فإن لسانيات النصوص تشكل منهجا بل وحقلا خصبا يساهم في تفكيك النص وتبسيطه ليصبح في إطار العملية التواصلية ممكن الترجمة، فوحدة الترجمة تقتضي أن يتعامل المترجم مع الكل النصي لا مع الجزء المكون لهذا النص.

والممثل في كل مفردة على حدة، لأن مترجم: عبارة Family planning Authority إلى العربية لن يستخدم لفظ التخطيط لترجمة الكلمة الوسطى، أو كلمة السلطة في ترجمة الكلمة الأخيرة.³

(لأن نقل الشعر في مستويات أولية كالمفردة أو الجملة لا يؤدي المراد تماما، وقد يكون فيه من التكلف الشيء الكثير ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة لترجمة الشعر على مستوى كامل النص، لأن نقل المعاني في هذه الحالة يحقق الأثر النفسي من القائل إلى السامع).⁴

إن الترجمة يمكن أن تنجز على مستوى أصغر وحدة تبعا لطبيعة النص وخصائصه وتبعا لمجال اختصاصه، وأسلوبه ولغته، فلذلك قد حاولنا فيما أسبقنا أن نثبت بأن مفهوم النص قد تطور تبعا

¹ - مارك أوتن، سيميولوجيا القراءة، ترجمة طاهر روانية، مجلة تجليات الحداثة، ص229.

² - ناصر الجليلي، القراءة والترجمة، ص12.

³ - Encyclopedia Universalis [Théorie du texte]، France 1998. P371.

⁴ - Ibidem. P371

لتطور جميع المدارس اللغوية والأدبية، وأما فيما يخص الفكر اللساني بصفة عامة فقد انصب الجهد على الجملة تفكيكا وتحليلا إلى أصغر وأدق أجزائها، ولكن مع التطور الحاصل في اللسانيات فقد أدى هذا إلى ظهور ما يعرف بلسانيات النصوص التي اهتمت بدراسة النص: ((من حيث هو بنية تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ نص..¹)

يتم النظر إلى النص على أساس معناه الكلي، حيث يبدو للملاحظ السطحي أننا بصدد فك رموز النص جملة جملة، ولكن في الحقيقة يؤول معنى العبارات من منظور الفهم الكلي للنص، وبمصطلحات أخرى ((فإن نقرأ ليس أن نقرأ كلمات، ولا أن نقرأ عبارات، ولكن أن نقرأ دفعة واحدة وضمن رؤية النص الكلي..²)

إذن فمحور لسانيات النصوص هو قابلية النص على التواصل وعلى إنتاج الدلالة حيث ورد أن لسانية النصوص: "هي حدث تواصلي تتوفر فيه سبعة معايير للنصية. وفي حالة عدم توفر معيار واحد من هذه المعايير السبعة، فإن النص لا يكون تواصليا، وبالتالي فالنصوص غير التواصلية تعامل على أنها لا نصوص..³"

¹ - محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص 10.

² - أسعد مظفر الدين حكيم، المرجع السابق، ص 170..

³ - مختار محمصاجي، لسانيات النصوص ما هي؟ دفا تر الترجمة، ص 16.

2- فحص الكفاءة الترجمية في ضوء النصوص

إذن ما نقصده بالجانب التطبيقي في هذه الدراسة هو ذلكم الجانب الذي يتماشى إلى حد بعيد مع ما يمليه الطابع الإشكالي التطبيقي الذي يجعلنا فعلا نتبع تلك العثرات و الهفوات التي كان المترجم بين الحين والآخر يقع فيها سهوا أو عن طريق ذلكم الجانب المعرفي الذي أخذه ولم ينمه مستقبلا، الأمر الذي جعله يرتكب مثل هذه الأخطاء و هو يتعامل مع النصوص على اختلاف أشكالها وأنواعها. ولا ضير في أن نفرض بعضا من البيان والتبيين لكل من هذه المستويات الثلاث: مفاهيمها وإجراءاتها التطبيقية التي تقوم عليها و لنبدأ بتحديد هذه المستويات كالآتي:

1.2-المستوى الصرفي (Morphology) :

تطلق كلمة (الصرف) عادة على ذلكم العلم الذي يبحث أساسا في اللفظ المفرد من حيث بناؤه و وزنه و ما طرأ على هيكله من نقصان أو زيادة. و قد كانت مسائل هذا العلم في بداية تكوينه مختلطة بمسائل علم النحو الذي كان يعرف آنذاك بأنه علم تعرف به أحوال أواخر الكلم أفرادا و تركيبا. و لكن ما لبث الأمر بعد مرور الأيام و الأزمان حتى انفصل علم الصرف عن النحو و أصبح فيما بعد علما قائما بذاته له موضوعاته و أبحاثه الخاصة به كالنسب والتصغير والإعلال والإبدال والإسناد وغيرها كثير¹ كما أننا نجد في السياق نفسه ما يطلق في الدراسات اللغوية بالتصريف و هو يطلق على تقليب الكلمة على عدة أوزان وأشكال سواء أكانت الكلمة تنتمي إلى الأفعال أم الأسماء و لكنه في الأفعال أكثر أصالة من الأسماء وذلك لكثرة تغيرها ولظهور الاشتقاق فيها².

إذن علم الصرف يختص أساسا بجانب الكلمة من الدراسة النحوية، ويشمل المسائل التي يتناولها علم الصرف (Morphology) في الاصطلاح التقليدي ناهيك عن ما قد يدخل تحت علم

¹ - محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية و الصرفية. دار الثقافة الجزائر. بدون تاريخ. ص: 125.

² - م.ن.ص: 125-126.

وظائف الأصوات مثل الكلام عن الحرف واجتماعه مع الأحرف الأخرى أثناء تأدية وظيفته في الحدث الكلامي. من هذا المنطلق، سنجد أثناء تعاملنا مع المذكرات أن غالبية الطلبة ليست لديهم المعرفة التامة بشأن كثير من القضايا الصرفية، الأمر الذي يجعلهم يتخبطون في معرفة واقع الأفعال والأسماء والتغيرات التي تطرأ عليهما داخل السياقات التركيبية.

2.2- المستوى التركيبي النحوي (Syntaxe):

يعد الجانب النحوي التركيبي الجانب الأساسي في أي دراسة لغوية مهتمة في ذلك بأقسام الكلام وباستعمالها في اللغة وبكيفية تحديد هذه الأقسام وبترتيبها في الجمل والتراكيب. كما أنه يدرس التراكيب و صلتها بعضها ببعض و طريقة اللغة في استعمال الجملة كوحدة لغوية و إن كانت هذه الدراسة- كما يراها أهل البلاغة- جزء من علم المعاني¹.

ثم إن ما يركز عليه الجانب التركيبي هو الاختيار الذي ينطلق أساساً على ورود اللفظة في سياقها الذي يليق بها حتى تستطيع أن تؤدي الوظيفة الحقيقية المنوطة بها من

غريباً على الدراسة العربية أن يطلق الجانب النحوي التركيبي (Syntaxe) على ما هو أكثر من الجنب الإعرابي. فيشمل حينها الصرف كذلك، فالأشمويني في تنبيه من شرحه على ألفية ابن مالك يقول: "النحو في الاصطلاح هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء

كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها، قال صاحب المقرب: فعلم أن المراد بالنحو ما يرادف قولنا (علم العربية) لا قسيمة للصرف" جاء في حاشية الصبان تعليقا على (ما يرادف علم العربية) " أي المراد به ما يشمل النحو والصرف فقط لتخصيص غلبة الاستعمال (علم العربية) بها.

¹ - محمد أحمد أبو الفرج: مقدمة لدراسة فقه اللغة. بيروت. دار النهضة العربية. ط 1. 1966 م. ص: 123-124.

وأطلق على ما يشمل أثني عشر علما: اللغة، والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، ورلابيان، والعروض، والقافية، وقرض الشعر، والخط، وإنشاء الخطب والرسائل والمحاضرات ومنه التواريخ، وجعلوا البديع نيلا لا قسيما برأسه"

وجاء في الحاشية أيضا تعليقا على قوله (لا قسيم الصرف) " هذا اصطلاح القدماء واصطلاح المتأخرين تخصيصه بفن الإعراب والبناء وجعله قسيم الصرف"¹

قبل القرائن السياقية التي لا مناص لها منها، و من ثم "... فمعاني النحو متقسمة بين حركات اللفظ و سكناته و بين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، و بين تأليف الكلام بالتقديم و التأخير...، فإن زاغ شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرهم"²

وعليه فإن الجانب النحوي التركيبي يبحث أساسا في أربعة جوانب، متصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا، و هذه الجوانب هي: الاختيار، والموقعية، والمطابقة، والإعراب. والاختيار أو الانتفاء يقصد به أن يعتمد المتكلم أو الكاتب إلى اختيار صيغ معينة تصلح للتعبير عن معانيه و يجوز ارتباطها بعضها ببعض، أو غيرها في التركيب المعين. بمعنى أن الاختيار يرمي إلى اختيار ما تصلح به العبارة من الوجهة النحوية التركيبية. ولا يمكن فهم الاختيار بمعزل عن دراسة الموقعية، إذ يصعب في الغالب فصل أحدهما عن الآخر. والموقعية هي البحث في قوانين الحدث الكلامي، و قواعد ترتيب الكلمات و علاقتها في الجملة أو العبارة. ثم إن المطابقة فتعني البحث في قوانين التطابق أو عدم التطابق بين الصيغ المختلفة، من حيث التذكير و التأنيث ومن حيث الأفراد والثنائية والجمع، ومن حيث التعريف

¹ - ينظر. الصبان محمد بن علي: حاشية الصبان على شرح الأشموني. دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة. بلا تاريخ. ص: 15-16.

²² - نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث). دار هومة. بدون تاريخ. ص: 168.

والتنكير وغيرها. ويبقى الإعراب الذي هو عبارة عن تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً¹

3.2- المستوى الدلالي (Semantics):

يدرس هذا المستوى دلالة الكلمات على معانيها، أو الصلة بين اللفظة و بين صورتها في الذهن، فهناك فكرة تنشأ في الذهن عند نطق الكلام، فما هي الصلة بين هذه الفكرة وبين الكلمات ؟ كما أنه يدرس تلك العلاقات المتينة بين الألفاظ داخل السياق التركيبي وهي تعكس خلفية سواء في المتحدث أم في المكتوب كل هذا نجد فيه الدلالة التي تمثل مركزاً استقطابياً في مجال الدراسات على اختلاف أنواعها و أشكالها. ومن ثم سنحاول أن نرى هذا المستوى بوضوح في واقع العملية الترجمة، الأمر الذي يجعلنا فعلاً ندرك مدى استيعاب الإجراءات النظرية و التطبيقية التي تنبني عليها الترجمة بشكل عام.

ثم إنه لما كان الجانب التطبيقي المعول عليه في هذه الدراسة إنما يبنى أساساً على عملية فحص النصوص، وتحديد نوع انتمائها ثم إسهامات نظرية أنواع النصوص في تسهيل عملية ترجمتها و تحويلها إلى لغة الآخر و بالتالي استيعابها وتلقيها بطريقة مقبولة.. وبما أن السياق يمثل حجر أساس في هذه النظرية فإن التركيز على مستوياته أمر ضروري. ولهذا ستوجه الدراسة عناية إلى ثلاثة مستويات وهي: المستوى الصرفي، والمستوى التركيبي النحوي، ثم المستوى الدلالي.

لعل من الإنصاف الذي يتماشى مع واقع الجانب التطبيقي الذي سنجعله في هذا الفصل الأخير والمنصب أساساً على دراسة بعض النصوص وذلك من منظور معايير النص متوقفين عند نظرية واحدة أو منهج واحد الذي يتماشى وواقع الدراسة و هي نظرية أنواع النصوص، وعليه فإن طبيعة الجانب التطبيقي تقتضي منا تجسيد بعض القضايا التي تخص عملية النقل، الشيء الذي يجعلنا في نهاية المطاف نحصي أو ندرك الأخطاء و الزلات التي يسقط فيها الكثير من المترجمين وهم يمارسون

¹ - سميح أبو مغلي: في فقه اللغة (و قضايا العربية). الأردن. دار مجدلاوي. عمان. ط 1. 1987 م. ص: 126.

الترجمة دون مراعاة عوالم النص. ولما اقتضى السياق المنهجي لهذه الدراسة المنصبة في هذا الفصل التطبيقي والتي تنبني أساسا على أنواع النصوص فلا ضير في أن ندرس كل نوع على حدة ومن ثمة فإن الطريقة التي سنسلكها في الجانب التطبيقي إنما تتمركز أساسا على أننا ندرس النص الأصلي وكل ما يتعلق بمعاييره، ثم ترجمته المقترحة، ثم تحديد مواطن الضعف أو الخطأ المرتكب سواء ما تعلق بالجانب الدلالي السياقي أو النحوي أو الدلالي وبعدها نعقب ونحلل وفق ما يقتضيه السياق التركيبي محاولين من وراء ذلك كله أن نربط هذا بذاك بما قد أشرنا إليه فيما يخص الترجمة ونظرية أنواع النصوص.

وتبقى النقطة المشتركة بينهما هي الاهتمام بالقارئ وأحاسيسه وردة فعله أكثر من الاهتمام بأحاسيسها وفي ذلك يقول (عبد اللطيف حمزة) "كلا الرجلين كاتب الاختبار وكاتب المقال لا ينبغي لهما إلا في الأوقات النادرة الاهتمام بالإحساسات الذاتية قدر الاهتمام بإحساسات القراء"¹.

¹: المرجع نفسه، ص 313.

3-أنواع النصوص والترجمة

سنتناول فيها النص الأدبي، المقال الصحفي، النص الإشهاري، النص القانوني، وإليك بيان ذلك:

1.3- ترجمة النص الأدبي على محك نظرية أنواع النصوص

التعريف بالمدونة ومنهجية التحليل

رواية : موسم الهجرة إلى الشمال.. تحليل فني للمدونة

تُعد رواية، موسم الهجرة إلى الشمال، للأديب السوداني الطيب صالح، التي اختَرَتها مدونة لموضوعي الترجمة من ضمن أهم النصوص الروائية العربية، التي أرى بأنها قد عبّرت بصدق عن حالة شعور الرجل المشرقي عندما ينتقل إلى الغرب، وبالتحديد تلك الصدمة الأولى، كما وقد نشعر بسر هذه الروعة الجمالية التي تتملكنا أثناء قراءة هذا المتن، وتلك الروعة الكامنة في المفارقة المذهلة، المتولدة، من كون المبدع كان يتيم الأبوين، وهي سجل لأحداث واقعية، تبدو لنا أقرب إلى السيرة الذاتية، ولأن الطيب صالح قد عاش يتيماً فعلاً، مع أنه لا يظهر في سيرته الذاتية، لكنه أجاد حتماً في تدوين قصة هذا اليتيم المسمى (مصطفى سعيد..) الشخصية المحورية في المتن

تدور أحداث الرواية حول شخصية مصطفى سعيد، طفل يتيم الأب يعيش مع أمه وحيداً، و يقرر الالتحاق بالمدرسة ليظهر هناك تفوقاً ونبوغاً ملفتين للنظر، يرى به المعلمون معجزة، إذ يقول له ناظر المدرسة: (هذه البلد لا تتسع لذهنك.¹) ثم سهل عليه الدراسة في القهر ولم يبلغ الثانية عشر بعد ومن هناك بمساعدة عائلة روبنسون يكمل رحلته للدراسة في لندن، تحوّل مصطفى

¹ - الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، منشورات صلاح الدين. القدس، 1976. ص.26

سعيد إلى أسطورة يحكي عنها الكثيرون، أبحر في الثقافة الغربية حتى شعر بأنه امتلكها، مستوعباً كل تفاصيلها ومركباتها الثقافية في المسرح والموسيقى والاقتصاد؛ عرف الحانات والمقاهي والمسارح والأندية، وأجاد اللغة الانجليزية كما يتكلمها أبناؤها، وكتب العديد من المؤلفات بها، استطاع هضم الثقافة الغربية لكن شيئاً ما في قرارة نفسه كان يبعده عن ذلك الاندماج الكامل معها وعن تخطيها، كان ينتحل الأسماء ليوقع الفتيات الأوروبيات منتقلاً من طريدة إلى أخرى؛ ثلاث منهن انتحرن بعد أن وقعن في فراشه، والرابعة لم يتمكن منها فقتلها في نهاية المطاف، حكم بالسجن سبع سنوات وعاد للسودان بعدها ليستقر في قرية نائية، وهناك تزوج حسنة بنت محمود وأنجب منها طفلين.

استفاد أهل القرية من خبراته مطوّراً بعض المشاريع الاقتصادية حتى وفاته بشكل غامض من دون أن يُعرف هل مات غرقاً أم اختفى، كل ما عُرف أنه مات، ظلت زوجته بعده ترفض الزواج حتى أرغمت عليه من عجوز لا يميز بين المرأة والحيوان، فما كان منها إلا أن قتلته وقتلت نفسها، وقد أجاد تدوين صفات الشخص اليتيم إلى حد يجعل من المستحيل أن تكون هذه الجودة لا تقوم على تجربة شخصية مع اليتيم والموت.

يتجلى في الرواية مصطفى سعيد، بصفات يمكن ملاحظتها عن شخصيته، كما يتضح وقد أمضى حياته منغمساً في ملذاته الشخصية، وتبدو حياته منذ وصوله إلى بريطانيا، المكان الذي عاش فيه، قبل عودته إلى السودان حيث يلتقي مع الراوي، ما هي إلا سلسلة من الغزوات الجنسية، فقد عاش حياته هناك وهو يرفع شعار (جئتكم غازياً بسيفي).¹ ويتضح أن سيفه كان ماضياً حاداً قاطعاً إذا ما اشتد وتره، لأننا نعلم فيما بعد أن عدداً من الفتيات اللواتي التقين بالبطل يسقطن منتحرات،

¹ - الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص 97.

ولا شك أن ذلك يشير أيضا إلى أن هذا البطل كان يمتلك من الطاقة ما يجعله ساحرا ومن الأسلحة ما يجعله غاية في التأثير والسيطرة والتحكم.

كما وأن شخصيته الكارزمية كانت قادرة على أسر وإيقاع تلك الفتيات في شباكها بصورة درامية لافتة، وكل واحدة منهن تبدو وكأنها كانت تقع تحت سحره الرقي الشبقي فتسلب ارادتها وتسقط، لتنتهي حياتهن فيما بعد بصورة مفجعة، وقد أجاد المؤلف بشكل استثنائي في وصف هذه الصفات والسمات وبالتالي أجاد في بناء شخصية مصطفى سعيد، الذي يمكن النظر إليه كمثال لصفات وسمات الشخصية اليتيمة، حيث يمكن اعتبارها مرجعية لوصف شخصية اليتيم والتي يوضح الوصف أنها شخصية عجيبة، غريبة، ومذهلة في صفاتها وقدراتها وطاقاتها والتي تفرغ في مثل هذه الحالة في معظمها بشكل سلبي اناني، لكننا نجد أن حياته من خلال هذا الرسم والتصوير هي في الغالب حياة درامية في أعلى درجاتها مما يجعل أي نص أدبي يدون ولو جانبا من حياة اليتيم مهولا دراميا مزلزلا وغاية في التأثير والروعة وهي في مجملها مؤشرا إلى وفرة الطاقة البوزيترونية..¹

ولا يستطيع القارئ أن يخفي مشاعر الإعجاب الغامرة التي تنتابه عندما ينهي قراءة نص رواية (موسم الهجرة إلى الشمال). فهيتعد حدثا استثنائيا في تاريخ الرواية العربية، وانطلاقا في آفاق بروز المسكوت عنه في الثقافة العربية التي لا تزال تقليدية في مجملها، فهي رواية بعيدة عن التقليد أو التصنع أو التزمّت أو الخوف، هناك الكتابية التي تنطوي عليها قد تفتح لها قلوب وعقول القراء المتعطشين إلى عوالم جديدة، والمتلهفين على من يقتحم المناطق التي ظلت مغلقة، والتي لم تجد من يفتحها إلا مع أمثال هذا النص الروائي الفريد، الذي يظل رواية كاشفة عن كثير مما لم تكن الرواية العربية تعودت الكشف عنه، لقد طرحت قضايا الهوية والعلاقة بالآخر والأصالة والمعاصرة ومكانة المرأة على نحو

¹- ينظر. مجموعة مؤلفين، م.س.ص. 128

صريح، وأتصور أن هذه الصراحة - بالإضافة إلى أهمية وحيوية القضايا التي طرحتها متمثلة في الإعجاب الاستثنائي الذي لقيته هذه الرواية الممتعة.

هناك كذلك رد الفعل عليها - عشرات من المقالات والدراسات على امتداد الوطن العربي.¹

وقد ظلت الرواية منطوية على نوع مغاير من الفتنة التي لا تزال تجذب إليها اهتمامات النقاد، والدارسين والمترجمين، وأحسب أننا لو جمعنا النقد الذي أنتجته رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) وقمنا بتصنيفه لوجدنا أمامنا المشهد الشامل لخرائط النقد العربي الحديث والمعاصر، خصوصاً في تنوع تياراته وتعددتها، وفي تعاقب نظرياته وتجددها فكما استقطبت الرواية نقاد الأيديولوجيا بألوان أطيافهم المتعددة، في البحث عن الأبعاد القومية والفكرية للرواية، ولعل ذلك هو السبب الذي جعلني اختارها مدونة لموضوعي.

إن ما يجمع بين الراوي ومصطفى سعيد هو فكرة التضاد كون الراوي مواطن سوداني مسلم ذهب إلى إنجلترا، في موسم الرحلة من الجنوب المتخلف إلى الشمال المتقدم، المتطور الحضاري، وذلك طلباً للعلم، وقد قضى سبع سنوات عاد منها إلى موطنه، المتمثل في القرية النائية في حوض النيل، ف شعر بأنه يعود إلى الرحم الذي خرج منه أول مرة، وإلى العناصر الثابتة التي تزيده ثباتاً بحيث يبدو لنفسه وسط محيطه الطبيعي مثل النخلة مخلوق له أصل له جذور له هدف، أو عبارة عن مخلوق فارق أرضه ليعود إليها أكثر قدرة على حبها ومساعدتها متسلحاً بشهادة الدكتوراه التي نالها، كما أننا نعرف من تفاعلات السر، بأنه متزوج من سودانية، ولم يتزوج إنجليزية، وقد ظل زواجه جانباً من تمسكه بالأصل الراسخ والهوية الثابتة.²

¹ - ينظر. مجموعة مؤلفين، م.س.ص. 178.

² - الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص 97.

ظلت علاقته بالقرية متجذرة رغم عمله في الخرطوم، فهو واحد من الناس الذين لا ينسون أصلهم، وعلى النقيض من كل هذه الأفكار، كانت أفكار مصطفى سعيد العاصفة، تمامًا كشخصيته التي كان لابد أن تنتهي إلى ما انتهت إليه، والبداية هي مولده في السادس عشر من أغسطس سنة 1898، الأب متوفى، الأم فاطمة عبد الصادق، مات الأب قبل الولادة بأشهر، وكفلته الأم التي تركته حرًا، وظل كذلك يعارك أعوام النشأة الأولى وتعاركه، ويعرف المدرسة التي يذهب إليها بقدميه في الوقت الذي كان الأهالي يفرون بأولادهم من المدارس، ويتعلم في المدرسة الإنجليزية التي أظهر فيها نباهة استثنائية فدفعت الأساتذة الإنجليز إلى مساعدته، وكان يتقبل هذه المساعدات كأنها واجب يقومون به نحوه، فقد ظل باردًا كحقل من الجليد سواء في علاقته بأقرانه الطلاب، أو بأساتذته الإنجليز، منطويًا على نفسه متوحدًا كما لو كان يعيش في غير عالمه لكن عقله.

شيء يقطع في برود وفعالية غير مبالٍ بدهشة المعلمين أو إعجاب الرفاق وحسدهم فقد كان المعلمون ينظرون إليه كأنه معجزة، ورفاقه يطلبون وده لكنه ظل في حال من النأي والتباعد والبرود كأنه حقل جليد لا يوجد في العالم شيء يهزه ويترك موطنه، ويركب القطار في طريقه إلى القاهرة لطلب المزيد من العلم، هناك لم يلوح له أحد بيده، ولم تنهمر دموعه لفراق أحد وعندما ضرب القطار في الصحراء، فكر قليلًا في البلد الذي خلفه وراءه فكان مثل جبل ضرب خيمته عنده وفي الصباح قلع الأوتاد وأسرج بعيره وسيظل على ذلك بقية حياته متوحدًا مغتربًا ظامئًا إلى إشباع لا يتحقق متطلعًا إلى حلم مستحيل لا يكف عن قلع الأوتاد وإسراج البعير ومواصلة الرحلة.

إنّ العلاقات الجنسية التي نراها ضمن إطارها الجنسي البحث، كانت بالنسبة لمصطفى سعيد شيئاً آخر، هنا يكمن خزان الدلالات؛ فالجنس بالنسبة لمصطفى سعيد شيء آخر مختلف تمامًا، ليس علاقة غرامية ولا حباً ولا أي شيء من ذلك. سعيد لا يعرف الحب، إنه لا يستطيع إيجاده، كل امرأة

بالنسبة له جزء من محاولة جديدة في حربه التي لا تنتهي.¹ إلى أن يأتي زمان السعادة والحب هذا، سأظل أنا أعبر عن نفسي بهذه الطريقة الملتوية. وحين أصل لاهناً قمة الجبل، أغرس البيرق، ثم ألتقط أنفاسي.² لم يفصل العربي بين المرأة والأرض في خطابه فاللغة كمؤشر للفكر وللتحولات التاريخية ستظل شاهداً على هذه الثنائية؛ ففي علاقة العربي بالأرض هي نفسها علاقته بالمرأة، مصطفى سعيد حاول الانتقام لبلاده المحتلة من خلال ثنائية المرأة-الأرض فطالما أنه لا يملك جيشاً من مقاتلين، ولا يملك سوى رأسه آلة صماء تفتت العلوم وتستوعب وتهضم كل شيء بصورة اعجازية فقد استغله على الصعيد الأكاديمي ليدين الاستعمار من خلاله كتبه الكثيرة التي كتبها، واستغله على صعيد الصراع من خلال احتلال المرأة، كان في وعيه يرى أن احتلال المرأة والنوم معها يعني استرداد الأرض.

¹ - ادوار سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة: كمال أبو أديب، دار الآداب. بيروت، 1997. ص 100.

أ- في مستوى النص:

- توسيع النص أو اختصار النص

قد يلجأ المترجم إلى ما يسمى بالترجمة التفسيرية في قيامه بنقل المعاني الدالة على هذه الأشياء، فنراه لا يقف عند هذا الحد بل يضيف بعض الملفوظات والتعابير رغبة في توضيح الدلالة مثلما هو الحال في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال):

(فجأة تذكرت وجهاً رأيته بين المستقبلين لم أعرفه. سألتهم عنه، ووصفته لهم. رجل ربعة القامة، في نحو الخمسين أو يزيد قليلاً من شوارب الرجال في البلد. رجل وسيم.)

والتي ترجمه عبد الوهاب مدب على نحو:

Tout à coup il me revint un visage parmi ce qui étaient venus m'accueillir, visage d'un inconnu dont je fis la description: la taille moyenne, la cinquantaine ou plus, d'épais cheveux blancs, sans barbe, la moustache légèrement plus courte qu'on en a ici d'habitude. Bel homme mon père dit: c'est Moustapha

فقد نهج المترجم عبد الوهاب مدب نهج توسيع المعنى في الترجمة التفسيرية محاولاً ترجمة معاني الألفاظ وإغنائها فنراه يميل إلى التوضيح والشرح فأضاف (sans barbe, les cheveux blancs)

وفي مقطع آخر نجد:

وقادنا الحديث إلى أهلي، فقلت لها، غير كاذب هذه المرة، أنني يتيم وليس لي أهل. ثم عدت إلى الكذب، فوصفت لها وصفاً مهولاً كيف فقدت والدي، حتى رأيت الدمع يطفر إلى عينيها. قلت لها إنني كنت في السادسة من عمري، حين غرق والداي مع ثلاثين آخرين في مركب كان يعبر بهم النيل من شاطئ إلى شاطئ. وهنا حدث شيء كان أفضل من الرثاء. الرثاء في مثل هذه الأمور عاطفة غير مضمونة العواقب. لمعت عيناها، وصاحت في نشوة..

ووردت ترجمته:

« je lui avoué sans mentir cette fois، être orphelin sans famille. Mais bientôt je renouais avec le mensonge، et je fis une description prodigieuse de la mort de mes parents –morts avec trente passagers، déchiquetés par les crocodiles، à la suite...

مهما يكن من أمر فإن التناظر في الترجمة مفهوم إشكالي خلافي، وليس هناك إجماع على تحديد مضمونه وجدواه، ولكن هل يُستنتج من ذلك أن نتخلّى عن هذا المفهوم، ونعفي الترجمة من مطلب تحقيقه؟ إنّ إشكالية مفهوم ما لا تعني بالضرورة أنه غير صالح، ولا يجوز أن تدفعنا إلى الاستغناء عنه. فتحقيق "التناظر" هو مطلب يجب أن تلتزم به الترجمات، علميّة كانت أم أدبية. إنه مطلب مثالي أو شبه مثالي، إذا أصرّ المرء على تحقيقه بصورة كاملة يكون كمن يطالب بالحدّ الأقصى وينشد الكمال. إلا أننا نعرف جميعاً أنّ الكمال غير ممكن التحقيق، وكذلك التناظر الكامل في الترجمة. أمّا التناظر الممكن فهو التناظر الجزئي أو النسبي، وكلما زادت تلك النسبة كانت الترجمة أفضل، والعكس صحيح. وسواء أخذنا بمفهوم التناظر أم استبدلناه بمفهوم آخر كالتقارب، فإننا لا نستطيع أن نتخلّى حقيقة جوهرية، ألا وهي أنّ الترجمة نصّ صيغ بلغة الهدف وفقاً لمعطيات نصّ آخر صيغ بلغة المصدر، وهو لهذا السبب مطالب بأن يتقيّد بمعطيات أصله الأجنبي نصّاً ومعنى وأسلوباً ولحق ما يسمى بالمعنى المعادل أو الممكن على المستوى الجمالي والدلالي وإلى أي مدى تقيد بمعاني النص الهدف.

- تحليل ترجمة رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح :

(العالم فجأة انقلب رأساً على عقب، الحب؟ الحب لا يفعل هذا، انه الحق، أنا حاقد وطالب تأري وغريمي في الداخل ولا بد من مواجهته، ومع ذلك ما تزال في عقلي بقية تدرك سخرية الموقف، إنني ابتدئ من حيث انتهى مصطفى سعيد، إلا إنه على الأقل قد اختار وأنا لم أختار شيئاً . قرص الشمس ظل ساكناً فوق الأفق الغربي زمناً ثم اختفي على عجل . وجيوش الظلام المعسكرة أبداً غير بعيد وثبت في لحظة واحتلت الدنيا . لو أنني قلت لها الحقيقة لعلها لم تكن تفعل ما فعلت .

خسرت الحرب لأنني لم أعلم ولم اختر . ووقفت زمنا طويلا أمام باب الحديد . أنا الآن وحدي لا مهرب لا ملاذ لا ضمان ، عالمي كان عريضا في الخارج ، الآن قد تقلص وارتد على أعقابته حتى صرت العالم أنا ولا عالم غيري . أين إذا الجذور الضاربة في القدم ؟ أين ذكريات الموت والحياة ؟ ماذا حدث للقافلة والقبيلة؟ أين راحت زغاريد الأعراس وفيضانات النيل وهبوب الرياح صيفا وشتاء من الشمال والجنوب؟ ..)

c'est la haine (L'équilibre est rompu. Le monde à l'envers . Est-ce l'amour ? Non il fallait , je réclamaï vengeance . Mon rival était intérieur.. J'étais dans la haine que je l'affronte . Un reste de lucidité me permit de mesurer le ridicule de la situation . J'entrai en scène quand Moustafa Saïd en sortit . Lui choisi. Et moi je suis contenté de subir . Le disque solaire s'est immobilisé au campant toujours pas , ponant avant de disparaître en hâte. Et les armées de la nuit ont fait immédiatement mouvement sur le monde et l'envahirent . Si je lui dis elle n'aurait pas agi de la sorte . J'ai perdu la guerre car je ne lui avais tout révélé lui ai rien dit et je n'ai pas choisi. J'ai trop attendu devant la porte de fer . ni garant . J'étais ouvert sur le monde , ni refuge , sans issu ,Maintenant je suis seul monde extérieur qui m'a apparaissait vaste et accueillant . Me voila désormais transformé en un univers clos sur lui-même . Ou sont donc les racines que je ressentais à chaque pas ? Que sont devenu les clameurs joyeuses des noces les été comme hiver du nord au sud ?...)

122

نلاحظ من البداية أن التركيب الأول يلخص ما سيعقب في النص وقد قابله النص الأصلي مستفيدا من أسلوب التقابل باللجوء إلى مقابلة التركيب العربي الجاهز ذي المحمول الدلالي الجاهز المعبر عن فساد الأمر وتحوله إلى ما لا يحمد عقباه انقلب العالم رأسا على عقب (L'équilibre est rompu. Le monde à l'envers) هذا التركيب المترجم الذي لخص ما سيلحق من مونيما تنحى المسار ذاته.

إن التعادل بين نصين من النصوص ينبغي أن يتحقق من خلال لجوء المترجم إلى أسلوب التقابل الذي يمنح بدوره سلامة ومرونة في مد جسور التناظر بين النصين وفق أسلوب تفسيري راعى فيه المترجم سلامة المعنى من خلال بساطة اللفظة.

وفي مقطع آخر من الرواية:

(وقالت بنت مجذوب : (حريم النصارى لا يعرفن لهذا الشيء كما تعرف له بنات البلد. نساء غلف، الحكاية عندهن كشرب الماء. بنت البلد تعمل الدلكة والدخان والريجة وتلبس الفركة القرمصيص...)

(les chrétiennes manquent de la sciences MANQUENT DE SAVOIR ? OU de savoir faire que les autochtones ont de la chose femmes non excisées...) Page 77

فقد كان على المترجم وضع (Savoir faire que mettre manquent de la sciences) وهذا وفق السياق الذي يقول بمدى معرفة المرأة واكتساب بعض التجارب التي ليس لها علاقة لها بالعلم بقدر ما لها علاقة بارتباطها بالمجتمع في كل ملابسات حياتها كالزواج والإنجاب والطلاق والزفاف إلى غير ذلك من الأمور الخاصة بالمرأة.

ب- المستوى الأسلوبي

وفي المقطع الآتي من الرواية:

(... ورفع جدي وجهه إلى السقف وفتح فمه . ولكن بكري كان أسبق منه فقال : (إنت يا ود الرئيس مجنون . رجل كبير لكن ما عندك فهم . النسوان نسوان في مصر أو السودان أو العراق أو واق، الواق ، السوداء والبيضاء والحمراء كلهن سواسية...)

Mon grand père leva les yeux au plafond, ouvrit sa bouche pour tenter répondre mais bakri le devança : tu es vraiment fou Wad Rayyès bien que tu sois agé , tu manques de cervelle . une femme est une femme, qu'elle égyptienne , soudanaise , iraquienne ou originaire du pays de Waqwaq

يعد هذا المستوى أكثر المستويات تعقيدا لصعوبة تجسيد التناظر والتعادل على مستوى اختلاف الثقافات وعبقريات اللغات المختلفة المعينة ذلك أن ترجمة الخصائص الثقافية والعادات وأسماء الأدوات والأشياء والأمثال والعبارات الاصطلاحية التي لا يوجد ما يقابلها في اللغة المنقول إليها. والخيارات المتاحة أمام المترجم هي إما أن ينقل هذه الأشياء نقلا صوتيا كما هي في لغة النص أو أن يلجأ إلى ما يسمى بالترجمة التفسيرية أي أن يقوم بنقل المعنى الدالة عليه هذه الأشياء. الصفحة 127

وهذا ما اتبعه دينس جونسون بحصافة في ترجمة موسم الهجرة إلى الشمال. فالأشياء التي يوجد ما يقابلها في الإنجليزية يورد هذا المقابل، كإيراده لكلمة acacia مقابلا لشجر الطلح، مع أن الأكاسيا فصيلة، تشمل الهشاب، والطلح. ولكن ذلك أفضل بكثير من الاكتفاء بإيراد لفظ "طلح" كما هو في الترجمة. أما الأشياء التي لا يوجد ما يقابلها في الإنجليزية فعمد إلى نقل بعضها كما هي في لغة النص إذا رأي أن القاريء يمكن أن يدرك المعنى من خلال السياق العام أو بالرجوع إلى المعاجم والمصادر الأخرى أو أن شيئا لم يفوته إذا لم يلم بطبيعة الشيء المعين. ومن أسماء الأدوات والأشياء التي ينقلها نقلا صوتيا كما هي في النص الاصليديوان - وادي - سنط - سيال - عرقي - عفريت - جني - حراز - صندل - أردب - كاكي - جبة - جلاية - كحل، وغيرها.

ولكنه حينما يرى أن المعنى يمكن أن يضيع على القاريء الإنجليزي إذا أبقى على الكلمة كما هي في لغة الأصل، فإنه يلجأ إلى الترجمة التفسيرية ومثال ذلك ترجمته للكلمات الآتية ترجمة تفسيرية: سبحة، فروة الصلاة أو المصلاية، برش، ساقية، قربة، دلكة، فركة القرمصيص إلخ. فقد ترجم السبحة: string of prayer-beads وترجم البرش straw mat وترجم الساقية water-wheel وهكذا.

ولكن دينس جونسون اجتهد ببراعة في إيجاد المقابل لهذه العبارات ومن ناحية أخرى عمد إلى ترجمة بعضها ترجمة تفسيرية، وقد وُفق في ذلك أيما توفيق. جاء في الرواية: "وضرني ود الرئيس بكوعه في جنبي قائلا: " قالوا نسوان النصارى شيء فوق التصور؟ فقلت: لا أدري. فقال: أي كلام هذا؟ شاب مثلك في عز الشباب يعيش سبع سنين في بلاد الهنك والرنك وتقول لا أدري؟"

فكيف يمكن نقل عبارة "بلاد الهنك والرنك"؟ لقد أوجد دينيس عبارة في الانجليزية مقابلة تماما لهذه العبارة وهي عبارة: land hanky-panky، وفي ذات السياق يُرد بكري على ود الرئيس قائلا: "النسوان نسوان في مصر أو السودان أو العراق أو واق واق. السوداء والبيضاء والحمراء كلهن سواسية: "من المتوقع من أي مترجم آخر أن يترجم عبارة "الواق واق" ترجمة صوتية وينقلها كما هي على اعتبار أنها اسم لبلاد بعينها كما فعل مدب في الترجمة الفرنسية:

femme est une femme، qu'elle égyptienne، soudanaise، iraquienne ou originaire du pays de Waqwaq

ولكن لا توجد في الواقع، بلاد تسمى الواق واق. والغرض البلاغي من هذا التعبير، المبالغة والإيغال في الغرائبي والمستحيل. والعبارة مستوحاة من لغة "قصص ألف ليلة وليلة" وكان دينيس واعيا بذلك، لذلك لم يكتف بنقلها كما هي، بل اجتهد وأوجد المقابل الذي ينقل الغرض البلاغي لهذه العبارة بكل ما تحمله من إحياءات اسطورية وسحرية، فترجمها إلى الانجليزية بعبارة : the land of Mumbo jumbo التي تعطي ذات الدلالة البلاغية.

وحرصا من المترجم على نقل النص دون أدنى غموض أو إبهام لا يكتفي بالترجمة التفسيرية بل يلجأ إلى التصرف في النص، تصرفا ربما يرى فيه البعض نوعا من التجاوز، ولكنه تجاوز حسن لا يغير في النص شيئا بل يجعله أكثر وضوحا وفهما للقارئ الانجليزي. ومثال ذلك تصرفه في نقل المثل السوداني السائر: "الغزال قالت بلدي شام". ففي مجلس أنس ومسامرة، ضم عجائز فوق السبعين، يرفهون فيه عن أنفسهم بأحاديث الصبا وذكريات الشباب، يحكي جد الراوي: حاج أحمد، عن سفره إلى مصر وعرض أحد المصريين عليه الزواج من إحدى بناته، ولما يهم بذلك يأتيه تلغراف من البلد بوفاته والدته، فيعود إلى ود حامد. فيعلق ود الرئيس على حكاية حاج أحمد بقوله:

"يا خسارة. الدنيا هكذا تعطى لا يريد أن يأخذ. على اليمين لو كنت في محلك كنت عملت عماليل. كنت تزوجت وقعدت هناك وذقت حلاوة الحياة مع بنات الريف. ماذا أرجعك لهذا البلد الخلاء المقطوع؟".

فيرد بكري على ود الرئيس: "الغزال قالت بلدي شام".

فيترجم دينس المثل ترجمة تفسيرية مع شيء من التصرف باضافة عبارة "فاستشهد بكري بالمثل" محل عبارة: "قال بكري" الموجودة بالأصل. وذلك لكي يفهم القاريء الانجليزي ان ما قاله بكري مثل، وليس حديث عادي. وجاءت الترجمة كما يلي:

(The gazelle said; to me my desert country is as beautiful as Syria)، Bakri quoted the proverb P79

وقال بكري : (الغزال قالت بلدي شام).

Mon désert est aussi beau qu' un pré de Syrie dit la gazelle

2.3- ترجمة المقال الصحفي في ضوء نظرية أنواع النصوص:

كغيره من الفنون الصحفية، يقوم المقال الصحفي بتحقيق وظائف يشترك فيها مع باقي الأنواع الصحفية من إعلام وتثقيف وتوجيه وإرشاد وتسلية. وتوجد مدرستان تدلي واحدة برأيها فيما يتعلق بوظيفة المقال والمهام التي يقوم بها متكاملًا مع الأنواع الصحفية الأخرى، ويمكن إجمال وظائف المقال الصحفي فيما يلي:

- وظيفة شرح الأخبار: تشرح الصحف الأخبار اليومية عن طريق التعليق عليها بما يوضح أبعادها وجوانبها المختلفة وتفسير الأخبار جزء هام من هذه الوظيفة يراد به شرح بعض المفاهيم والمسميات والمصطلحات.

- الإعلام: وذلك بتقديم المعلومات والأفكار الجديدة عن القضايا والأحداث التي تشغل الرأي العام.
 - التثقيف: وذلك عن طريق نشر المعارف الإنسانية المختلفة.
 - التوعية السياسية: أي يشرح المقال سياسة الحكومات والأحزاب ومواقفها المختلفة.
 - تعبئة الجماهير: وذلك لخدمة نظام سياسي أو اجتماعي معين أو للمساهمة في التنمية الوطنية.
 - تكوين الرأي العام: في المجتمع والتأثير على اتجاهاته سواء بالسلب أو الإيجاب¹.
 - الدعاية الإيديولوجية: وذلك عن طريق نشر الأفكار والفلسفات والدفاع عنها ضد منافسيها.
 - التسلية والامتناع: وهو الأمر الذي تحققه مقالات الترفيه والتسلية².
- ولكن مهما اختلفت تعريفات المقال الصحفي وتعددت الرؤى النظرية يبقى المقال تلك المادة الصحفية التي تستخدم لإقناع القراء بموقف معين إزاء واقعة من الوقائع، تقدم هذه الوقائع بأسلوب مقنع جذاب مترابط الأفكار حتى يتسنى الفهم العميق للأحداث وتعليلها وتفسيرها كما يسعى إلى تزويد الجمهور بإطار نظري يمكنه فهم الوقائع المتكررة في السياق نفسه. ويعكس المقال الصحفي دوما سياسة الجهة الإعلامية التي ينتمي إليها فغرضه ليس التعريف بالأحداث بل التنظير لها وتقنينها والخروج منها بنقاط واستنتاجات في إطار تجريدي.

¹: ينظر إسماعيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 65.

²: فاروق أبو زيد، المرجع السابق، ص 180.

1.2.3- لغة المقال الصحفي:

يجمع المفكرون على أن المقال الصحفي ينطبق على فنين هامين هما فن النقال الافتتاحي وفن العمودي وهناك من يضيف المقال النقدي والمقال التحليلي أما الفنون الأخرى كالخبر، والتحقيق وغيرها لا تعتبر مقالا صحفيا. والمقال الصحفي من حيث فكرة يتلقفها الكاتب من جريدة أو راديو، أو من التلفزيون فانه ينبغي أن يصاغ على هيئة أهم القوائم أو المعتدل يمعن أن الخلاصة تأتي في النهاية دائما، وأما الشواهد أو التفاصيل والمقدمات فتكون سابقة لذلك وللمقال انقسام ثلاث وهي: التقديم، الاستبدال، النتيجة¹.

و لكي تكون المعلومة مقروءة لا بد أن تكون واضحة ومباشرة تجيب على الأسئلة الستة: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟ لماذا؟

الشعب أو الناس عنصران مهمان لصاحب المقال منهما ينتقي ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه ومواضيع مقاله ليحرر مقالا ويصيغه بشكل جيد على الصحفي معايشة الناس ومخالطتهم والتقاط الأمور التي تشغلهم وتحرك تفكيرهم ثم يختار أسلوبا بسيطا واضحا خاليا من التعقيد "فاللغة المستعملة لهذا الغرض مشتقة من الحياة الواقعية التي يحياها الناس في المجتمعات، وهذه الحياة الواقعية تلد للصحافة كل يوم جملة صالحة من الألفاظ والتراكيب (...) وعلى هذا فالمعين الأول الذي يستقي منه المعجم اللغوي للصحافة في كل أمة من الأمم، هو الشعب، أو شعوب العالم كله حيث تضطر هذه الشعوب إلى استحداث ألفاظ تعبر عنها عن معان جديدة في المجال الدولي تارة، وفي المجال الإقليمي تارة أخرى².

لم تقتصر لغة الصحافة على المستوى الأول في الألفاظ واستلهاها من الشعب بل صار الشعب يستحدث تراكيب أيضا ويؤلفها تختار منها الصحافة المكتوبة صيغا لبناء مقالاتها وتلوينها

¹: ينظر عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 315.

بالصيغة الشعبية "و للشعب قدرة عجيبة على صوغ التراكيب الحديثة التي يعبر بها على بعض التجارب الإنسانية التي تمر به، ومعنى ذلك أن الشعب يعمل ذوقه في الألفاظ من جهة، وفي التراكيب والحل من جهة ثانية"¹. وحتى العناوين لم يستثن من ذلك، حيث هبت عليها رياح العامة واجتاحتها وصارت تأتي على شكل المثال وحكم شعبية جارية على الألسن².

وهناك من المفكرين من لم يكتف بمعايشة الناس ونقل همومهم وانشغالهم بما يوافق أسلوبهم وحياتهم في قالب لغوي سهل وعام وواضح، بل المعاشية للناس تمتزج معها معايشة الخبر من أجل تحرير المقال وعلى هذا فإن شخصية صاحب المقال تظهر لا محال، وهذا ما تجعله يكتسي طابع الذاتية وطابع الاتجاه الذي تعكسه الصحبة ككل والذي تنتمي إليه بالطبع وفي ذلك يقول إسماعيل إبراهيم: "مطلوب من المقال الصحفي وكتابه أن يعيش المستويين، معايشة الحياة الجارية كل يوم، ومعايشة حياة الصحيفة من ذال العمل الصحفي أي أن يؤخذ مادته من بين الناس، ثم يحاول التعبير عنها بما يتفق مع سياسة الصحيفة التي يعمل بها والتي تحكمها علاقتها المتعددة (...). وإذا كان المخبر الصحفي يلتقط الاختبار ويعرضها بأسلوب يخلو من الذاتية، فإن كاتب المقال الصحفي يلتقط هو الآخر بعض الأحداث الجارية، أو بمعنى أدق يتأثر بها، ويعرضها بأسلوب لا غ يخلو من الذاتية، فكاتب المقال ينقل إلى القراء ترجمة لردود أفعالهم بالنسبة لأهم الأحداث والموضوعات أو المشكلات المطروحة في الحياة كل يوم"³.

وإذا كانت لغة المقال الأدبي تقوم على المحسنات البديعية والصور البيانية ومفعمة بالمشاعر والعواطف، وإذا كانت لغة المقال العلمي تنبني على النظريات والأرقام والإحصاءات والمصطلحات العلمية التي لا يفهمها إلا المتخصصون، فإن لغة المقال الصحفي هي لغة الحياة العامة أي لغة المواطن العادي، فهي لغة يفهمها الجميع مهما اختلفت مستوياتهم.

¹: عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 316.

²: ينظر المرجع نفسه، ص 318.

³: إسماعيل إبراهيم، ص 28.

2.2.3- بنية المقال الصحفي:

يتكون المقال الصحفي من عدة عناصر يكمل فيها كل واحد الآخر، فلا بد من توافرها بحيث يؤدي كل نقص أو حذف لجاحد هذه العناصر إلى تخلخل المقال وعدم انسجام أفكاره وتسلسلها، وعادة ما يستهل الصحفي مقاله بعنوان ملفت للانتباه وتمهيد أو نص صغير يلخص أهم عناصر المقال وأفكاره دون ذكر التفاصيل، حيث يشد القارئ ويشوقه لتتمة كل المقال وأخيرا ينهيها بالخاتمة.

إن المقال الصحفي هو تأليف وشكل من أشكال الكتابة التي تعكس قدرة صاحبها على تصيد الأخبار وجمعها وعرضها بأسلوب مشوق للقارئ خاصة إذا ما عالج مواضيع اقتصادية، سياسية واجتماعية ورياضية تهم القارئ وتمس محيطه، ونقل له أهم ما يجري في بيئته من مستجدات تسهم في إنعاشها سياسيا واجتماعيا وثقافيا ورياضيا... وعرضها للفكر والتحليل والتعليل.

استنادا لكل ما ذكر في تعريف المقال يجمع "فاروق أبو زيد" خصائص يجب أن يتصف بها المقال حتى يكون قابلا للنشر و من ثمة قابل للترجمة في ما يلي :

1- معايشة الاهتمامات والأحداث التي تشغل بال القارئ.

2- أن يراعي كاتب المقال عنصر الحالية.

3- أن يراعي في كتابته وعرضه، أن يكون في متناول عقل القارئ العام.

أن يتصف هذا المقال بالحيوية سواء من ناحية طريقة الكاتب في تناول الموضوع، أو من حيث طريقة الصحيفة في تنسيق هذا الموضوع"¹.

¹: إسماعيل إبراهيم، م سابق، ص 25.

العنوان:

يشبه البعض العناوين بالصفقة التي يعقدها صاحب المقال مع القارئ صفقة تلزم الكاتب بان يتحدث عما يعلنه العنوان، ومن هنا يحكم بعض العناوين على أنها "بائعات فرعيات" عندما تدل على مضمون المقال بأكمله و"بائعات بثمن باهض" عندما تدل على أكثر مما يحتويه المضمون¹، وتدل العناوين على نوعية المادة الصحفية التي تؤدي بعدها وتتصل بها لتؤدي الأغراض الآتية:

- جذب القراء ولفت أنظارهم
- الفصل بينها وبين المواد الأخرى
- تقديم فكرة سريعة ومختصرة عن المادة التي تأتي بعدها
- تشويق وفتح شهية القارئ لمتابعة المادة الصحفية
- تمثل احد عناصر الجمال على صفحات الجريدة²

يقوم العنوان بالإسهام في تسلسل الأخبار، من خلال سمته الرئيسية وهي الحجم المطبعي الكبير، ومن الخطأ كتابة العناوين الفرعية بالخطوط العريضة فكما أن العنوان هو بوابة المعنى للمقال بأكمله، فإن الطباعة في الجريدة ينبغي أن تخدم المعنى أيضا، والمألوف أن تكتب العناوين الكبرى في أعلى الصفحة، وهنا أيضا يتعلق الأمر بصفقة مع القارئ ولكنها ضمنية، وينبغي أن تعتمد على التلاؤم بين الإشارة البصرية البارزة وأهمية الخبر.

ترفض الصحافة كل ما هو غامض، كذلك الحال بالنسبة للتعامل مع عناوينها، فالغموض فكرة شائعة خاطئة، لان الوظيفة الأولى للمعنى هو تسهيل فهم بقية المقل، ولهذا يحرص الصحفي

¹: جاك موريكان، م سابق، ص 142.

²: أدهم محمود، فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإسكندرية، ص 299.

على الوضوح لان يضيف الحيوية للمقال، كما ينبغي اللجوء إلى استخدام الكلمات المؤثرة دائما، كذلك فان استخدام الفعل للمعلوم يمنح الجملة قوة، ومن هنا بعض التحفظات التي تصدر غالبا إزاء استخدام النقطتين (:). اللتان تحلان محل الفعل غالبا بسبب عدم وجود مكان له مثل: "حقوق الإنسان: شهادة رضا من منظمة الأمم المتحدة". فتبقى هذه الصيغة مشوبة ببعض الغموض، فالغموض عدو للعنوان الجيد¹. وتقتضي القاعدة الذهبية في كتابة العنوان أن يتضمن الخبر الأساسي، بمعنى أن العنوان يعطي ويعكس فكرة واضحة عن الخبر مع أسهام العنوان الفرعي في إكماله كذلك يجب أن يجيب على هذه الأسئلة: من؟ ماذا؟ كيف؟²

- أنواع العناوين:

تعد العناوين عتبات يطل منها القراء على الصحف، بل أكثر من ذلك هي احد المصادر الرئيسية للإعلام وخاصة بالنسبة للقراء الذين تضطربهم ظروفهم دائما إلى القراءة السريعة وهذا ما قد يدفعه إلى الاكتفاء بتصفح العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية، إذ أن كل نوع منها يؤدي وظيفة خاصة.

العنوان الرئيسي: وهو أهم العناوين وأبرزها وهو الذي تتجه إليه الأنظار أولا، وبقية العناوين تكون مساعدة له، فالاهتمام به يكون مضاعفا من جانب المحرر، كما أنه يحمل أهم ما يتصل بالمضمون التحريري للمادة، وأهم جوانبها خبرا أكانت قصة أو تحقيقا أو حديثا.

¹: ينظر، جاك موريكان، المرجع السابق، ص 142.

²: ينظر: المرجع نفسه، ص 142-143 - 147.

3.3- ترجمة الخطاب الإشهاري و نظرية أنواع النصوص:

1.3.3- مفهوم الترجمة الإشهارية

في ظل اكتساب آليات السوق لأبعاد دولية، أصبح الإشهار رسالة إعلامية تتجه أكثر فأكثر إلى المستهلك الدولي Le consommateur universel لذلك فالحديث عن الإشهار الدولي يفضي بالضرورة إلى التطرق للترجمة الإشهارية، فلا يمكن في غيابها تصور إمكانية وصول الرسالة المحلية إلى كافة الأسواق العالمية .

وموضوع الترجمة الإشهارية "موضوع إعلامي يقع عند نقطة تتقاطع فيها اللسانيات التطبيقية مع العلوم السوسيوولسانية، أي إنها ليست موضوعا لغويا بحتا وإنما تندرج في سياق اجتماعي أيضا"¹. أما ماتيو قيدير فلا يتعد عن ذلك كثيرا حيث يرى أنها ميدان "يقع ضمن حدود مجال الإشهار من جهة وينتمي إلى عالم الاتصال الواسع من جهة أخرى"² ويعرفها بأنها "وسيلة الاتصال المثلى أمام شركة تصدر منتجاتها"³. كما وصفها في مقام آخر بكونها "ميزة ونعمة اتصالية لا يمكن نفيها"⁴ وأرجع ذلك إلى كونها تزيد من المداخل وتخدم صور المنتج في ظل المنافسة الشرسة، ويشير قيدير إلى أن إعطاء تعريف للترجمة الإشهارية يتوقف على المعنى الذي نعطيه لكلمة "إشهار"، إلا أن الترجمة الإشهارية هي النشاط الذي يعنى بنقل الخطاب الإشهاري من لغة إلى أخرى، بما يتضمنه ذلك من صعوبات وإشكاليات طرحها قيدير بشكل النقاط التالية:

¹ - M.Bonhomme et M.Rinn. « La traduction publicitaire en Suisse ».Le magazine de l'informatique des professionnels de la communication .Publication 22. FRP 08_01 Aout 2004. 'Publication 23'

² - Guidère.M.Publicité et traduction.L'Harmattan2000. p11

³ - Guidère.M. « Translation practice in international advertising » in translation journal, vol 0 ,n1.2001.Consulté le 30_12_200 sur ; <http://accurapid.com/journal/1 advert.htm>

⁴ - Guidère.M. & G.Lugrin « La traduction publicitaire et ses perspectives d'avenir», in Hieronymus, Revue de l'ASTTI, n2, 2000, pp 1-9.

- ما هو دور الترجمة في الاتصال التجاري؟
 - ما هي خصوصيات الترجمة الإشهارية؟
 - ما هي خصوصيات الترجمة الإشهارية؟
 - ما هي آثار المحيط التجاري على مسار الترجمة الإشهارية؟
 - ما هي معايير قياس وتقييم الترجمات؟ وما القيمة التي يجدر أن نعطيها إياها؟¹
- ويخصي قيدار للترجمة الاشهارية ثلاثة اثار محتملة:
- الأثر الصفري: عندما لا تغير الترجمة من النص الأصلي شيئاً، فلا تؤثر على البيع سلباً ولا إيجاباً
 - الأثر الايجابي: عندما تزيد ترجمة الرسالة الإشهارية من نجاح ورواج المنتجات في أسواق أخرى
 - الأثر السلبي: من الصعب توقعه أو فهمه، ويعرف بأنه تحييد الترجمة للنص الأصلي، فتضمحل قوة الحملة الإشهارية وأثرها في السوق الدولية²
- و تضع الوكالة Planete Lingua المختصة في تقديم خدمات الترجمة عبر العالم للمسار الترجمي خمس مراحل هي:
1. تحليل الوثيقة: بهدف الكشف عن الصعوبات التي تمثلها وكذلك حجم الوثيقة وخصائصها
 2. عملية الترجمة: أي النقل بمعناه الاصح، وعادة ما يستعان فيها الحاسوب "الترجمة الآلية"

¹ - Guidère.M. « Translation practice in international advertising », Op.cit.

² - Idem.

3. الفحص والتدقيق: حيث تفحص الترجمة المحصل عليها وتدقق، بحثا عن مقبولة وصحة النص

الناتج

4. دمج الترجمة في شكلها السابق: مع احتمال ورود بعض التعديلات التي تهدف الى خلق

الانسجام والحفاظ على التكامل التأويلي بين النص والصورة

5. المراجعة النهائية للترجمة.¹

ويجمع جل من تطرق إلى هذا الموضوع على صعوبة نقل النصوص الإشهارية، لكونها ليست نشاطا مستقلا بذاته، بل هو جزء "من كل من عناصر يتوجب إيضاحها، فالرسالة الإشهارية لا تنقل حسب إبداع ذاتي يقوم به المترجم، وإنما تتحد الممارسة الترجمة بشكل كبير بمؤشرات خارجة عن النص"²، كما ان وعي المترجم يمثل هذه الحقائق المتعلقة بالواقع العملي والتطبيقي للترجمة الاشهارية امر بالغ الاهمية في تفادي العشوائية في التنفيذ .

2.3.3-إمكانية الترجمة الاشهارية

وأما عن إمكانية الترجمة الإشهارية فقد تساءل هربن pierre hurbin عما إذا كانت ترجمة الخطاب الإشهاري؟³، وفي سعيه إلى الإجابة عن هذا التساؤل يرى تاتيلون أن المعلومات ليست دائما قابلة للنقل من "لغة_ثقافة" إلى "لغة_ثقافة" أخرى، مستدلا على ذلك قبله فرانسواز فيلمارت Françoise wuilmart عن المضامين الأدبية التي يستعصي على المترجم نقلها. وعليه فهو يرى في ذات المقال أنه من الأجدى أن نتكلم عن "تكييف" النصوص الإشهارية بدل ترجمة النصوص

¹ - Planet Lingua , « Translation servid=ce for advertising communication ». Consulté le 1 _01_2008 sur www.planetlingua.com

² - Guidère.M. « Translation practice in international advertising », Op.cit.

³ - Guidère.M.Publicité ettraduction. Op.Cit.p 11

الإشهارية، وحجته في ذلك أننا لا ننقل الكلمات وإنما روح الرسالة وجوهرها الضروريان لتحقيق التكافؤ الوظيفي، وكل نقل للنصوص الإشهارية عنده لا يعدو أن يكون تكييفاً.¹

وهناك من يجزم أن الترجمة الإشهارية مستحيلة، إنها ممكنة بمثل إمكانية نقل الشعر من لغة إلى لغة أخرى دلالة على صعوبتها وعسرها، فـ "عندما يترجم أحدنا الشعارات الإشهارية يدرك أن كل مفردة تحمل وزناً كبيراً على حدا، مما جعل الكثيرين من المترجمين يرون أن تأويل الشعارات الإشهارية أعسر وأكثر تطلباً للوقت وأكثر خلقاً لضغط العمل من العمل على النصوص الشعرية.²

وأما المجموعة الدولية eurologos الرائدة العالمية في الترجمة والنشر بلغات عديدة، فتري أن قابلية ترجمة النصوص الإشهارية يتوقف على تصميم النص الأصلي، لذلك تؤكد الوكالة العالمية على أن يكون تصميم النصوص الأصلية وفقاً لما يجعل ترجمتها إلى اللغات الأخرى ممكنة ويسيرة، وتعني بذلك أن يعكف مصمم النص الإشهاري الأصلي على خلق نصوص ذات مضامين عالمية، يمكن تطبيقها على أي مجتمع كان، ويجعل مهمة المترجم أقل عسراً من بعده، أو على الأقل أن لا يجد المترجم نفسه أمام نصوص غير قابلة للترجمة، كان تكون نصوصاً ذات صلة وشيقة برموز أو أعلام ثقافية تخص مجتمعاً معيناً دون غيره أو غير ذلك من الحالات التي تبدو معها الترجمة أمراً مستحيلاً.³

لذلك ترى الوكالة أن ترجمة الإشهار أمر ممكن طالما أن هناك مبدأ وجود (الكليات) les universaux، أي الحقائق والمواضيع التي لها وجود في جميع الثقافات، ولها ما يعبر عنها من أدوات في كل اللغات، ولا يتعدون بذلك كثيراً عن تاتيلون الذي يرى أن الحل الأمثل في ترجمة النصوص الإشهارية يبقى في أن يعتمد على مسار واقعي، يمكن به تفادي حالات عدم الترجمة، ويتمثل ذلك

¹ - Tatilon.Cl. Op.Cit.p24

² - « Translating advertising », Consulté 30_12_2007, www.transubstantiation.wordpress.com 200_11_1translating_advertising

³ - Le groupe international Eurologos. « Glocalisation des textes pragmatique ». Consulté 10/01/2008 sur ; www.eurologos.com

في السعي إلى تحقيق التكافؤ في الوظائف التي نادى بها نيدا Nida وقبله جورج موان

¹G.Mounin

3.3.3- أهمية الترجمة الاشهارية

يمكن بيان أهمية الترجمة الاشهارية من عدة زوايا، قد يكون أهمها ما قد ينجم عن الخطأ في نقل الرسالة الاشهارية من كوارث اقتصادية لا تحمد عواقبها، والحقيقة أن الموضوع يعج بالأمثلة وعلى سبيل الذكر ما لاقته شركة orange Telecom من مشاكل في تسويق خدماتها في سوق ايرلندا الشمالية ، معتمد الشعار:

« The future's bright... the future's Orange »

فأوحى ذلك إلى المتلقين الايرلنديين بالنظام البرتقالي، ولم يرق ذلك للمجموعات الكاثوليكية على الإطلاق وعادة ما يأتي الانتباه إلى الخطأ متأخرا، فلا يفهم المسوقون سبب فشل عملية التسويق، ويذكر ذلك بما حدث مع شركة ford عندما طرحت طرازها، الجديد آنذاك، pinto في السوق البرازيلية، فكَذلك لاقى المنتج جمودا محيرا في المبيعات، إذ لم تبع منه ولا سيارة واحدة والسبب أن مسؤول التسويق اعتمد على مترجم يتقن البرتغالية إلا انه بجهله للعامية التي يستعملها البرازيليون في حياتهم اليومية، لم يعرف أن اسم المنتج يحمل في المجتمع الهدف معنى غير لائق على الإطلاق، عندما سارعوا إلى تغيير الاسم إلى corcel التي تعني في لغتهم الحصان، وهنا فقط لوحظت زيادة في المبيعات وكذلك ما حدث مع علامة المياه المعدنية الإيطالية traficante عندما سوت في السوق الاسبانية فقد فهمها الإسبان على أنها "تاجر المخدرات" وسجل مسؤول التسويق ترددهم في اقتنائها وحي بالمترجم فيمثل هذه الحالة أن ينتبه إلى أن انحدار اللغات من أصل واحد لا يعني تطابقها كلية، فهناك ما يعرف بالكلمات الخائنة faux-amis، التي تتشابه على مستوى الصوت والكتابة، إلا أنها تختلف في دلالاتها وسياقاتها الضمنية وحكاية كوكاكولا لا تقل طرافة، فقد نقلت أول الأمر الصينية

¹ - Tatilon.Cl. Op.Cit.p 24

صوتيا إلى ke_ke_ken_la وتعني في لغتهم "امتلات الفرس شحما"، وبعد زمن انتبه المسوقون إلى الأمر، فما كان منهم إلا أن أعادوا البحث في أزيد من 40 ألف حرف صيني، فوجدوا الأصوات ko_kou_kale التي تعني في الصينية "السعادة في الفم" فابقوا على هذه التسمية، أي أنهم نقلوا الاسم صوتيا وحرصوا على أن يكون له معنى ايجابيا في لغة التلقي، وإن اختلف المعنيون، ويتبين من كل ما سبق مدى أهمية الترجمة الاشهارية، فهي هوية المنتج والمتحدث عنه في الأسواق الجديدة، وهو ما يفسر لجوء الشركات إلى الوكالات العلمية المختصة في نقل وتكييف الرسائل الاشهارية ، فتعهد إليها بما وتخصص في سبيل ذلك ميزانية معتبرة.

4.3.3- ترجمة النص الاشهاري وتحليله

يمكن تصور دور وأهمية المترجم العامل على النص الاشهاري في ظل ما يعرفه الإشهار من أبعاد جديدة، فهو لم يعد نشاطا محدودا بالأسواق ولا المجتمعات، وإنما ظاهرة دولية شاملة. وإن كانت الأسواق الدولية دخلت في منافسة شرسة ناجمة عن عولمة أشكال الإعلام وأساليب الاتصال، فذلك يوحي بما يترتب على المترجم من مسؤولية كبيرة، فعليه نقل الرسالة بحث تحقق الأثر الايجابي المنشود، وكل خطأ قد يترتب عنه انهيار صورة المنتج وتشويه سمعة الشركة وإفلاسها .

وهذا ما يبرر حسب ماتيو قيدار فتح مصالح للترجمة في قلب الشركات حيث يرى أن ذلك من جهة ثانية "دليل على الضغط الكبير الذي يمارس على مترجم الاشهار، على أساس أن نجاح أو فشل الحملة الاشهارية مرهونان به"¹

¹ - Guidère.M. « Translation practice in international advertising ».Op.Cit.

ومهمة المترجم، كناقل للنصوص الاشهارية ، ليست يسيرة "فلا أصعب للترجمة إلى لغة ثانية، من الحملات الاشهارية بما تحمله من مراجع ثقافية"¹، خاصة مع ما يعرفه هذا الميدان من نقص فادح في المراجع والأعمال التي من شأنها أن تسهل عليه مهمته، حيث يصف ماتيو قيدار مترجم النص الاشهاري بأنه "وحيد أعزل في معترك النقل ليس له سند يعتمد عليه تطبيقيا ولا نظريا"²

وأمام هـا الواقع الترجمي، وجب على المترجم العمل الذي يسعى إلى نقل النصوص الإشهارية التعامل معها بكثير من الحذر والوعي والمهارة، لما لذلك من انعكاس على صورة المنتج وتسويقه. كما أن عليه أن يضع نصب عينيه مبدأ التكافؤ الوظيفي بين النصين، بحيث يجعل الجديد متساويا أو أكثر فعالية من الأصل³، "كان يكيف الصورة التي تصاحبه عند الحاجة أو يعيد صياغة الحجج المستعملة في اتجاه إنتاج خطاب فعال لذلك كان على مترجم النصوص الإشهارية التحلي ببعض الخصال واستيفاء بعض الشروط حتى يوفق في مهمته"⁴، وأهمها:

■ أن يكون مختصا: نجاح المنتج على صعيد دولي مرهون بمدى اختصاص وخبرة المترجم الذي يتولى نقل النص الإشهاري، كان يكون مختصا أو على دراية كافية بكيفية تصميم النصوص الإشهارية وآليات الحصة على خطاب فعال ، وهذا ما يفسر الكم الهائل من الوكالات العالمية المختصة في نقل الرسائل الإشهارية.

¹ - Véronique Le Bris «'Translation publicitaire ;affaire de specialists'.Consulté le 24_09_2007 sur ;

www.stratégies.fr_archives104040_carrieres_traduction_publicitaire_affaires_de specialistes.html

² - Tatilon.Cl. Op.Cit.p 24

³ - Guidère .M.Publicité et traduction. Op.Cit. p11

⁴ - Guidère.M « translation practice in international advertising ». Op.Cit.

■ أن يكون على دراية بثقافة المستهلك الهدف: ذلك أن "الإشهار لا تصنعه الكلمات وإنما الثقافة"¹، ولكل ثقافة "بنية معرفية خاصة تدرك بها الأشياء والأحداث والأشخاص والظواهر"²، وعليه يجب على المترجم نقل الرسالة الإشهارية بحيث تتطابق مع البنية المعرفية للمتلقي وإلا جهل بفحوى الرسالة وفقد الإشهار معناه كلية.

■ أن يكون جزءا من عملية التسويق برمتها: لا ينقل المترجم خطابا إشهاريا معزولا عن سياق إنتاجه وتسويقه، ولا يترجم دون دراية بكل ما يتعلق بالمنتج، بل عليه إن "يقحم نفسه في جميع مستويات التسويق وحتى الإنتاج"³، ذلك أن الإشهار ذاته، رجوعا الى بوفينو *boivineau* ، "مسار معقد يأخذ بعين الاعتبار جميع مراحل الإنتاج من تصميم المنتج إلى غاية بيعه"⁴

4.3- ترجمة النص القانوني ونظرية أنواع النصوص

لعل مسألة ترجمة المصطلح القانوني، وما يتعلق به من قضايا ترجمية من لغة إلى لغة أخرى، تُعد من أهم المعوقات التي تعترض سبيل المترجم والدارس للترجمة على السواء، بحيث نجد جميع ما يتعلق بالمصطلح أو حتى مجموعة المصطلحات المتواجدة في نص ما، قد نجدها تشغل بصفة من الصفات، عدة مهام لغوية وألسنية، خصوصا من حيث الشكل والمضمون، ولا أشك بأنه يمكن وصف هذا النص بكونه نصا قانونيا، وذلك بعد الإطلاع على مختلف المصطلحات التي يتضمنها، ويتحمل بعض معانيها الفنية والتقنية على السواء، أو أننا نجد هذا المصطلح القانوني، قد يتميز ببعض مواصفاتها اللغوية "كما هو الحال في بعض الميادين التقنية الأخرى" بخصوصيات دلالية وسياقية عديدة، قد تدفع المترجم إلى البحث في معانيه ومدى استعماله في سياقات عديدة أخرى.

¹ - Marieke De Mooij."Translation advertising. Painting the top of an iceberg." The translator. Volume 10,number 2.St Jerome Publishing.Manchester 2004.p180

² - Marieke De Mooij. Op. Cit. P 181

³ - Guidère.M. « Translation practice in international advertising ». Op. Cit.

⁴ - Boivineau.R.'L'a.b.c de l'adaptation publicitaire'.In la revue Méta,XVII mars 1972.

وذلك لأن المصطلح القانوني، يشكل مصدر تساؤلات واستفسارات، إذا ما تعلق الأمر بترجمته أي فهمه واستيعابه وتحديد مدى توظيفه قبل السعي في الترجمة بحيث يرتبط ارتباطا وطيدا مع النص المتخصص الذي يتضمنه إذ يأخذ ذلك النص صبغة تخصص ما من حيث المصطلحات الواردة فيه والمعنى الذي ينتجه عن طريق العلاقات الدلالية التي تربطها.

ولهذا سنحاول من خلال هذا المبحث أن نوضح ماهية النص القانوني بصفة عامة ونتعرض بالتحليل المنهجي لطبيعته ترجمة النصوص القانونية ، مع التركيز على المصطلح لقانوني و ماهيته والغرض من ذلك أن نصل بالمبحث إلى مجموعة من النتائج المنهجية التي قد تساعدنا في تفهم النص القانوني بكل أبعاده الفكرية والمنهجية.

قبل التطرق إلى النص القانوني، لا بدّ من التوقف عند مفهوم النص أولا ثم مفهوم القانون ثانيا لنصل إلى مفهوم النص القانوني بحيث تحيلنا هذه العبارة إلى مفردتين مفتاحيتين يتوجب التطرق إلى كل منهما على حدا ألا وهي مفردة "النص" ومفردة "القانون"، فيعرف النص بأنه "نظام من العلاقات والملفوظات اللسانية التي ترتبط بينها حسب ما تتضمنه مادته اللغوية والتخصصية"¹ وبالتالي فهو نسيج من الوحدات الكتابية أو الكلامية يدل على معنى حسب سياق معين.

أما القانون فهو بشكل عام فهو: "مجموعة من القوانين التي تقرها الدولة لتحكم سلوك الأشخاص ويلزمون باحترامها ولو بالقوة العامة عند اللزوم"² أي أن- كما سبق ذكره- هو معيار السير الحسن للمجتمع الذي يولده، ويعرف ميشال بلورد القانون بأنه " قبل كل شيء، مجموعة من القواعد مدونة عرفية أو فقهية هدفها تنظيم سير الحياة في المجتمع"³، وعلمنا أن لكل ميدان تخصص

¹ عبد الحق بلعابد ،-حول ترجمة النص القانوني مجلة المترجم ، العدد 13 ، جوان 2006، ص 90

د.اسحاق ابراهيم منصور، نظريتنا القانون والحق، وتطبيقاتهما في القوانين الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجزائرية ،الطبعة ² ص.02

التاسعة 1999

³ Préface du collectif « langage du droit et traduction, essais jurilinguistiques », réalisés sous la direction de Jean-Claude GEMAR, 1989, service de communication du conseil de la langue française, université de Montréal.

خطابه الخاص به، فيبدو لنا منطقياً أن نتفق مع التعريف المختصر الذي يحدد أن النص القانوني هو: "مصدر لقاعدة أمرة تتحللها مجموعة قواعد إلزامية تسوقها وحدة كلامية مترابطة عناصرها وفق منوال تحدده مادة التفرع القانوني محل الصياغة"¹

وتختلف التعريفات حول النص القانوني حيث لا ينحصر إلى في المفهوم التركيب الكتابي أو الكلامي بل يتجاوز ذلك ليرمي إلى تقديم القانون أو فرض احترامه أو تفسيره أو تعديله أو تطبيقه حيث يرى جيرار كورنو أن "الخطاب القانوني هو كل خطاب يهدف إلى إنشاء القانون أو تحقيقه"²

« Est juridique tout discours qui a pour objet la création ou la réalisation de la loi »

أما جاك بيلاج فيفرق بين النص الذي له صفة قانونية أي النص الذي يخضع للقواعد الشكلية لميدان القانون والخطاب الذي له اثر قانوني. فالغاية هي التي تمنح للنص سمة النص القانوني بقوله: "هناك نصوص نعتبرها قانونية من حيث شكلها ومضمونها وأثرها"³، فمن الجدير بالذكر أن النص القانوني هو أولاً نص تخصص بحيث يستوفي كل شروط لغة متخصصة تخضع لقواعد نحوية ودلالية وبرامغمية تميز النص المتخصص عن النصوص العامة وأيضاً أن النص القانوني نصاً تقنياً حيث يظهر للقارئ العام نوع من التعقد حين الإطلاع عن مضمونه وملاحظة المصطلحات الواردة فيه الأمر الذي يمنحه صفة التقنية. ومن ناحية أخرى ، هذا لا يعني أنه حاصل من ميدان العلوم التقنية أو العلوم الدقيقة بحيث : "هناك جزء مما هو تقني في الميدان المالي كما هو الحال في الاقتصاد أو في القانون"⁴. علاوة عن ذلك ، يختلف النص القانوني عن غيره من النصوص التقنية الأخرى حيث أنه موجه لكل فئات

ترجمة المفاهيم القانونية في إطار اختلاف مصادر التشريع القانوني قانون الأسرة نموذجاً ، قسم الترجمة، جامعة وهران، ص05

¹ سلمت أسماء،

² Gérard CORNU, linguistique juridique, Paris, Montchrestien, 1990, P21

³ Jacques PELAGE, les défis de la traduction juridique, Confluencias, Revue de la traduction scientifique et technique, n°1, Novembre 2004, www.confluencias.net

⁴ Daniel GUADEC, Elisabeth Lavault-Olléon (éd.), "Traductions spécialisée : Pratiques, théories, formations », Vol 10, Peter Lang, P167

المجتمع الذي يعمل به. الأمر الذي يطرح إشكالية قابلية القارئ العادي في فهم النصوص القانونية وخاصة إذا تعلق الأمر بالعقود مثلاً. في حين أن نصوص الاختصاص الأخرى موجهة للأخصائيين.

وستتناول فيما يلي أنواع النصوص القانونية وتصنيفاتها ووظائفها مع التأكيد على البعض منها باعتبارها موضوع بحثنا. فتختلف النصوص القانونية من خلال المضمون والشكل حيث أن هناك فرق واضح بين النص التشريعي والحكم الصادر عن محكمة ما مثلاً أو بين العقد والمرسوم. الأمر الذي دفع فئة من الباحثين إلى تصنيفها وفق عناصرها.

1.4.3- تصنيفات النصوص القانونية آليات ترجمتها:

فصنف كلود بوكي¹ (Claude BOCQUET) النصوص القانونية إلى ثلاث أصناف معتمداً في تصنيفه على المرسل من جهة والغاية من النص من جهة أخرى على الترتيب التالي:

• الخطاب الإلزامي أو الخطاب التعليماتي :

وهو ما يرفقه المختصون اللغويون بالنصوص الحاملة على الإنجاز والتحقيق كنصوص القوانين والعقود بحيث يلتزم المتلقي سواء كان طرفاً في النص أو قارئاً بإنجاز شيء ما أو بالعكس الامتناع من تحقيقه وفق ما ورد في النص. ويشمل أيضاً هذا الخطاب النصوص التي توصف حقيقة دون وصفها أو شرحها أو تفسيرها.

• الخطاب القضائي:

يري كلود بوكي أنه النوع الذي يندرج في إطاره كل النصوص التي تنطبق عليها صيغة القياس كما هو الحال بالنسبة إلى نصوص الأحكام والقرارات ذات صفة قانونية من حيث الشكل والمضمون.

¹ Claude BOCQUET, traduction et appropriations par le traducteur, in Actes du colloque international sur la traduction juridique, les actes, ETI-ASTII, Genève, Berne, 2000, P.15-36

• الخطاب الفقهي:

وهو الخطاب الذي لا يمكن حصر مهامه وحصر معايير بحث يشرح ويفسر ويوضح مضامين الخطابات الإلزامية والقضائية، فيوضح هذا التصنيف الفرق بين تلك الأنواع بصفة عامة إلا أنه لا يفي بالغرض لأنه لا يعالج أهمية المتلقي أي الفئة الوجه إليها الخطاب. بينما قام المنظر جان كلود جيمار¹ (Jean-Claude GEMAR) بإدماج المتلقي في تصنيفه للنصوص القانونية الذي يشبه التصنيف السابق إلى حد معين بحيث أضاف جيمار على طرفي الخطاب القانوني أي المرسل والمتلقي بغية تصنيف النصوص وفق الغاية كالتالي:

■ النصوص ذات الموضوع العام :

وهي مجموعة النصوص ذات الاهتمام العام كنصوص التشريع والنصوص التنظيمية والنصوص القضائية والأحكام واللوائح.

■ النصوص ذات الموضوع الخاص :

وهي النصوص التي لا يلزم بها إلا من كان طرف فيها مثل العقود والاتفاقيات ونصوص الوصايا والصيغ الإدارية والتجارية.

■ نصوص الفقه :

وهي النصوص المدونة من طرف الأخصائيين والفقهاء ورجال قانون وتنشر قصد تحليل وشرح وتفسير القوانين ومواده ومجال تطبيقها مثلاً أو تفسير اجتهادا قضائيا حول قضية ما، ومن أحدث التصنيفات

¹ Jean-Claude GEMAR, La traduction Juridique, art ou technique d'interprétation, Méta, vol.33, n°2, Juin 1998, P.308

وأشملها، نجد التصنيف الذي قدمه المنظر بيتر تيرزما¹ (Peter Tiersma) حيث يصنف النصوص القانونية وفق الثلاثية التالية :

النصوص المؤثرة:

وهي النصوص التي تؤثر في الناس بموجب صدورها من مصلحة قانونية وتشمل العقود ونصوص التشريع والأوامر والقرارات والالتماسات والوصايا، وهي نصوص تخضع لصيغ لغوية محددة تحمل وظيفية تأثيرية.

• نصوص العرض :

وهي النصوص التي ينتهجها أسلوب التقرير والبيان كالمذكرات.

• نصوص الإقناع:

وهي النصوص التي يكون الهدف منها إقناع القارئ كالعرائض والدعاوي والمذكرات الجوابية، فبذلك يتبين أن للنص القانوني تصنيفات مختلفة ناجمة عن أراء منظرين وأخصائيين وبعد الإطلاع عن تلك التوضيحات بالتركيز أساسا في نص العقد فنجد أنه نص إلزامي أو تعليماتي حسب تصنيف كلود بوكي وأنه يندرج في إطار النصوص التي لا يلزم بها إلا من كان طرف فيها حسب جان كود جيمار وأنه من النصوص التي تؤثر في الأشخاص بمجرد صدوره فبصفة عامة، العقد هو نص قانوني يلزم من كان طرف فيه ويؤثر فيه.

ويأخذ العقد أشكال متنوعة حسب ما هو متعاقد عليه لنذكر مثلا العقود المدنية والعقود التجارية والعقود الإدارية موضوع بحثنا هذا، ويختلف الخطاب القانوني فيه من غيره من النصوص القانونية شكلا ومضمون، لا شك أن استعمال اللغة القانونية يختلف من وثيقة إلى أخرى حيث تصنف النصوص القانونية حسب وظائفها كالإلزام والشرح والتفسير مثلا كما لاحظناه من خلال

¹ Peter TIERSMA, Legal Language, University of Chicago Press, 1999,P.139.

التصنيفات المذكورة أعلاه ولهذا سنتطرق إلى أهم مميزات اللغة القانونية الواردة في العقود عبر حصر طبيعة المفردات والعبارات والتراكيب اعتماداً عن التحديدات والتفاصيل الواردة في المؤلف "ترجمة العقود مع شرح واف لأهم سمات اللغة القانونية الإنكليزية"¹ للمؤلف محمود محمد علي صبره حيث قام بحصر العبارات التي تميز العقود عن باقي الوثائق القانونية الأخرى على النحو التالي:

• العبارات الدالة عن معنى الإلزام :

و هي العبارات التي تحمل أساساً معنى إلزام متلقي الوثيقة بصفة عامة أو أطراف العقد بصفة خاصة مثل : "يجب على... أن... " ، "يتوجب على الشركة أن تعقد كل التأمينات" ، " يتعين على الشركة ضمان الأخطار".

• عبارات تقرير حكم أو قاعدة قانونية:

و هي العبارات التي تدل على الاستناد بالأحكام التنظيمية للإضفاء الطابع الشرعي القانوني للنشاط. على سبيل المثال نأخذ العبارة التالية : "هذه الصفقة معفاته من رسم الطابع والتسجيل تطبيقاً للأمر رقم 76-103 المؤرخ في 09 ديسمبر 1976 والتضمن قانون الطابع"^{*}

• العبارات التي تشير إلى شخص أو شيء أو وضع أو ما هو متعلق بالعمل القانوني التعاقدي:

نأخذ على سبيل المثال العبارة الشائعة التالية: "بموجب هذا العقد"، "المتعلقة بالعقد" ، "التابعة للعقد"، "تعتبر الشركة..".

¹ محمود محمد علي صبره ، ترجمة العقود مع شرح واف لأهم سمات اللغة القانونية الإنكليزية، جامعة القاهرة، ص56

* ينظر المدونة الترجمة في الفصل التطبيقي، المادة 23 من الفصل الأول ، دفتر التعليمات الخاصة

• العبارات الزوجية :

وهي تلك العبارات المستعملة لتجنب أي لبس والتأكيد على الشيء ولو كان مدلولاً للدال نفسه. مثلاً : "حرر ووقع"، "اخضع وألتزم"، "يصبح العقد لاغ وباطل"

• عبارات المتفق عليها والذي استقر مدلولها :

حيث أن هناك عبارات وتراكيب قانونية مستمدة من مواد تشريعية وتنظيمية متداولة من طرف الأخصائيين من مشرعين ومحامين ومترجمين موثقين ولا يمكن تجاهلها أو تغييرها تلقائياً لأن قد ينتج عن ذلك نقص في مصداقية الوثيقة. نأخذ على سبيل المثال العبارة التالية: "أؤكد تحت طائلة فسخ الصفقة بقوة القانون أو وضعها تحت التسيير المباشر للإدارة بتظلم حصري من الشركة أن هذه الأخيرة لا تنطبق عليها الممنوعات المنصوص عليها في التشريع والتنظيم المعمول بهما".¹

• العبارات الشرطية:

وهي العبارات التي تظهر من خلال ورود أدوات الشرط . "إذا" ، "إلا إذا" ، "شرط أن" ، "بشرط أن" مثلاً : " إذا لم يناسب تقدم الأعمال الجدول الزمني.. من حق رب الأعمال أن يطبق التدابير المنصوص عليها في المادة 35 من دفتر الشروط الإدارية العامة"^{*}

• العبارات المتضمنة كلمات مقترضة من لغة أخرى :

والملاحظة أن توظيف الكلمات المقترضة نوعاً ما نادراً في الوثائق القانونية الجزائرية. نأخذ على سبيل المثال العبارة "بوليصة التأمين" التي أصلها في اللغة الفرنسية « Police d'assurance »

مرسوم رئاسي رقم 10-236 مؤرخ في 28 شوال عام 1431 الموافق لـ 07 أكتوبر سنة 2010، يتضمن قانون الصفقات العمومية العدل والمتمم، نموذج رسالة عرض ص 23.

^{*} ينظر المدونة المترجمة ، الفصل التطبيقي، المادة 26 من دفتر التعليمات الخاصة .

علاوة عن طبيعة العبارات الواردة في نص العقد والتي تميزه عن باقي النصوص القانونية الأخرى، لا بد من النظر في نوع التراكيب والجمل الواردة فيه بصفة عامة.

• الجمل الحكمية الرئيسية :

وهي الجمل التي تعين المخاطب بالحكم القانوني والعمل القانوني أي الفعل والفاعل في الجملة. وترتكز هذه التركيبية على الشروط اللازم الوفاء بها والتزامات الأطراف كما هو الحال في الجمل الآتية :

- " تتخلى الشركة الفائزة بالمناقصة عن مسؤوليتها..."¹

- " يعتبر المقاول مسؤول عن دراسة الخرسانة..."²

• الجمل المقيدة للمعنى :

ويقصد بها التراكيب التي تحيط بكل عناصر وجوانب المعنى وتدون قصد اجتناب الفهم السيئ أو الاستغلال السيئ للجملة القانونية بحيث " أن العبارات المقيدة للمعنى توفر اللحم اللازم للجملة الرئيسية في النص القانوني ، وبدونها لا يعدو النص أن يكون النص سوى هيكل عظمي ليست له أية قيمة"³. نذكر على سبيل المثال الجملة الآتية : " نظرا لعدم وجود موطن الشركة بقرب من الورشة ، يصح إيداع كل التبليغات المتعلقة بها في الورشة بوهرا"⁴ ومن جهة أخرى، يمكن أن نصنف تلك

¹ ينظر المدونة المترجمة

² ينظر المدونة المترجمة

³ ينظر المدونة المترجمة

⁴ V.K Bhatia An applied discourse analysis of English legislative writing, language studies unit, The university of Aston in Birmingham, U.K, May 1985, P.3-4

الجميل حسب تصنيف بهاتيا¹ (Bhatia) الذي صنفها إلى ثلاثة أنواع على أساس المعنى والأسلوب والوظيفة المرجعية وكان ذلك على النحو التالي :

- **العبارات التمهيدية المقيدة للمعنى:** التي تنقسم بدورها إلى :
 - العبارات التي تصف حالة أو حالات يسري عليها العمل القانوني.
 - العبارات الشرطية التي تحدد الشروط اللازمة لنفاذ الحكم القانوني.
 - العبارات التي تقيد التحكم الإرادي.
- **العبارات العملية التي تحدد الأسلوب اللازم لتنفيذ الحكم القانوني وتتفرع إلى :**
 - العبارات التي تحدد الوسائل القانونية المطلوب استخدامها للإنجاز العمل القانوني.
 - العبارات التي تحدد الغرض القانوني الذي يسعى العمل القانوني إلى تنفيذه.
 - العبارات الدالة عن تعليمات أو علاقة مؤقتة.
- **العبارات المرجعية :** وهي العبارات التي تربط العمل القانوني (التعاقد) مع النصوص القانونية التنظيمية التي تشعه والتي يكون لها أثر قانوني عليه. وتنقسم إلى :
 - العبارات التي تشير إلى نص مستشهد به.
 - العبارات التي تشير إلى شروح اصطلاحية.
 - العبارات التي تشير إلى موقع نص ما.

¹ V.K . BHATIA, An applied discours analysis of english legislative writing, language studies unit, the university of Aston in Birmingham, U.K, May 1989, P.2

- العبارات التي تحدد نطاق الحكم القانوني.

فيتين لنا أن النصوص القانونية مختلفة من حيث الوظائف التي تؤديها ومن خلال الغاية من وجودها والهدف من ترسيمها وأيضا من خلال المصدر التي استنبطت منه من جهة، ومن جهة أخرى، يتضح أنها تجتمع بكل أنواعها في مفهوم تحقيق القانون وعدم تجاهله أو تجاوزه سواء كان يرمي إلى الإقناع أو الإلزام أو التفسير علما انه لا يحمي المغفلين عنه.

فقد سبق وأن ذكرنا أن القانون أساس السير الحسن لمجتمع ما بوصفه " مجموعة قواعد تنظم نشاط الأشخاص في المجتمع وتقوم على ضمان احترامها سلطة عامة توقع الجزاء على من يخالفها"¹ وعليه، للقانون علاقة مع كل نشاط إنساني فردي أو في مجتمع ما. فلا شك أن النشاط الاقتصادي الناجم عن عقود إدارية قائم على أسس قانونية تشرع ظروف وكيفية ممارسته وأنه وبالتالي يبدو نوعا ما غامضا من حيث سيسور ته ومن حيث ارتباطه بالنصوص القانونية. ولهذا، سنطرق إلى توضيح العلاقة بين القانون والنشاط الاقتصادي أو العلاقة بين النصوص القانونية والأنشطة الاقتصادية قصد حصر البعد القانوني للعقود الإدارية كالصفقات.

النصوص القانونية كقاعدة للنشاط الاقتصادي :

لا شك أن الهدف من وضع النصوص القانونية هو ترسيخ الأسس القانونية الرسمية العادلة للسير الحسن لكل نشاط مجتمع ما، ففي الجزائر مثلا، لا يمكن تصور العلاقات المدنية الاجتماعية دون قانونا مدنيا، ولا يمكن النطق بحكم العقوبة دون الاعتماد على قانون العقوبات وقانون الإجراءات المدنية ، ولا يصح تحديد حصص فريضة ما إلا عملا بقانون الأسرة، والشيء نفسه فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادي الذي يتجسد ويأخذ طابع فعلي حقيقي من خلال العقود والاتفاقيات بين

د.عبد القادر الشخيلي، فن الصياغة القانونية تشريعا وفقها وقضاء ، مكتبة دار النشر والثقافة للنشر والتوزيع ، عمان 1995 ،

¹ ص 14.

الأشخاص بصفة خاصة وبين الشركات بصفة عامة. الأمر الذي يدفع بنا إلى التساؤل حول العلاقة بين القانون والاقتصاد أو بمفردات أخرى العلاقة بين النصوص القانونية والنشاط الاقتصادي .

تختلف الآراء حول العلاقة التي تربط النشاط الاقتصادي كيفما كان بالنصوص القانونية، "فهناك من يرى أن القانون خارج نطاق الاقتصاد ويدخل القانون حيز التنفيذ لما لا يصل الاقتصاد إلى الفعالية بنفسه، أي فشل الأسواق"¹ وهذا ما يعبر عن عزل القانون عن الاقتصاد والربط بينهما إلا في حالات حتمية. وفي الواقع يقدم هذا التصور نوع من الخطورة بحيث "قد أدى عزل القانون عن الاقتصاد إلى تصور خاطئ وتصميم غير كامل للواقع الاجتماعي"² إذ يؤدي إلى تجاهل رجال الاقتصاد المعايير القانونية في أداءهم وتجاهل رجال القانون واقع النشاط الاقتصادي.

ومن جهة أخرى، هناك من يرى أن القانون يخدم الاقتصاد حيث يركز النشاط الاقتصادي (المتمثل حاليا في اقتصاد السوق) على مفاهيم وضوابط قانونية وبالتالي، "قيمة النشاط لا تتمثل في النشاط ذاته بل في حق ممارسته"³ فنستنتج أولا أن هناك علاقات لا تفك بين النصوص القانونية والأنشطة الاقتصادية بحيث تقدم تلك النصوص وخاصة التنظيمية منها الإطار القانوني الذي يجري فيه النشاط وتحدد الأفاق التي ينبغي عدم تجاوزها.

¹"Les autres auteurs évoquent que le droit se trouve en dehors de l'économie .Le droit doit entrer en vigueur, lorsque l'économie n'atteint pas l'efficacité par elle-même, c'est-à-dire dans les cas des faiblesses de marché" CONTRIBUTION A LA THEORIE DU DROIT PUBLIC ECONOMIQUE PAR L'ANALYSE COMPARATIVE DU DROIT FRANÇAIS ET DU DROIT RUSSE . Université de la Réunion P.37

² " L'isolement de la formation juridique et de la formation économique ont crée une fausse impression et la vision incomplète de la réalité sociale » " CONTRIBUTION A LA THEORIE DU DROIT PUBLIC ECONOMIQUE PAR L'ANALYSE COMPARATIVE DU DROIT FRANÇAIS ET DU DROIT RUSSE . Université de la Réunion P.38

³ « ce n'est pas le bien même qui représente la valeur » Ibid P.

وبناء عن ذلك، "تندرج العلاقات الاقتصادية في المعايير القانونية التي تشرعها"¹ الأمر الذي يوضح أن القانون أساس النشاط الاقتصادي الذي يتجسد غالبا في انجاز المشاريع والخدمات أو أي نشاط تم التعاقد عليه ولا يمكن تصور أي نشاط اقتصادي مضبوط دون أسس وقواعد قانونية معدلة ومتحينة باستمرار وفق للتغيرات التي تطرق في شتى الميادين (إضافة أمثلة).

فيظهر من خلال من سبق ذكره أن البعد القانوني المتضمن في الوثائق القانونية كالعقود على وجه الخصوص حيث يمكن ملاحظته من خلال اللغة المستعملة أي المفردات والتراكيب والصيغ الخاصة باللغة القانونية في سياق التعاقد والإلزام كما يظهر البعد القانوني من خلال النصوص القانونية التنظيمية التي تعتبر كمراجع رسمية تشرع النشاط في كل تفاصيل ممارسته.

إلى غير ذلك، هناك بعد آخر غير مستقل عن القواعد القانونية بل يتركز عليها وهو خاص بالوثائق القانونية كالعقود الإدارية الهادفة إلى تحقيق نشاط اقتصادي. فيظهر نص العقد كنص قانوني من خلال قيمته كوثيقة قانونية ترمي إلى تحقيق القانون إلا أن هناك مساعي وأهداف اقتصادية متضمنة في الوثيقة وخاصة إذا تعلق الأمر بعقد بين شركتين يهدف إلى انجاز مشاريع مهمة أو تبادل المنافع أو الاتفاق عن نشاط مشترك. ويظهر ذلك البعد في الوثيقة القانونية من خلال المفردات والمصطلحات الإدارية والتقنية ذات الطابع الاقتصادي من جهة كما يتضح من خلال الأهداف الضمنية التي تدفع إلى إبرام عقد إداري كالصفقة من جهة أخرى ولهذا، سنتطرق إلى كلا العنصرين على حدا باعتبار الأول كعنصر لغوي متجسد في المصطلحات والثاني عنصرا غير لغوي إلا أن يمكن تحديده من خلال الأهداف الضمنية الدافعة إلى إبرام عقد.

¹ « Les relations économiques s'expriment dans les normes juridiques qui les légalisent » Ibid .P38

المصطلح الاقتصادي الوارد في الوثائق القانونية :

من المعلوم أن اللغة القانونية تتضمن العديد من المصطلحات سواء كانت قانونية محضة أو مرفقة بمصطلحات تخصص معين وذلك لأن هدف القاعدة القانونية تنظيم ذلك التخصص، وعليه نجد نصوص قانونية تتسم بطابع التخصص. فادا تقرنا منا النصوص ذات الطابع الاقتصادي كالعقود والصفقات والاتفاقيات، نجد أنها تتميز لوحدها بخصائص محددة متمثلة في مفاهيم ومصطلحات إدارية واقتصادية التي تمنحها صفة الوثيقة الرسمية.

وبالتالي تتضمن تلك النصوص لغة اقتصادية تقنية تختلف عن اللغة الاقتصادية المدونة في الجرائد والمجلات المتخصصة لأنها مرتبطة ارتباطا وطيدا بالقاعدة القانونية من جهة وبالطابع الإداري الاقتصادي من جهة أخرى بحيث " إذا درست اللغة الاقتصادية بواسطة الصحافة إلى غاية الآن، لا ينبغي نسيان النصوص الأخرى التي تستعملها : نذكر منها التقارير السنوية للشركات ، ووثائق القرض، وتقارير شركات التصنيف ، والدراسات الاقتصادية وتقارير ومنشورات البنوك المركزية، والوثائق النابعة من بنوك القضايا" وكل تلك الوثائق تشترك مع نص العقد في أمر أساسي وهو أنها دونت بشكل أكاديمي إداري تكون فيه المصطلحات بعيدة عن كل بيان أو استعارة بل تدل عن المعنى مباشرة دون أي لبس أو إبهام حيث أن محرري تلك الوثائق من أهل الاختصاص غير ملتزمين بالتحديد اللغوي من جهة . فهناك العديد من المصطلحات الاقتصادية التي لها مدلول اقتصادي ذات قيمة قانونية من جهة أخرى مثل : " مناقصة" " تعهد"، " توطين بنكي" ، النفقات"، وهذا ما يدل عن علاقة المصطلحات أولا بالبعد الاقتصادي حيث يسمى الشيء باسمه ولا يمكن دون أن يتعلق الأمر به. ويتبين أن إضافة عن المصطلحات التقنية القانونية والإدارية ، تحتوي النصوص القانونية عن بعض المفاهيم التي لها علاقة مع السير القانوني لنشاط اقتصادي ما.

وعليه، يظهر البعد الاقتصادي أولا من خلال المصطلحات الاقتصادية الواردة في النص بحيث تحيل مباشرة الى نشاط اقتصادي قد يشمل البيع أو الشراء أو الصيانة أو الصيانة أو إنجاز الأشغال أو كل ما هو متعاقد عليه وهو ذات طابع اقتصادي.

وعلاوة عن ذلك، يتبين البعد الاقتصادي ومن خلال الأهداف أو الغاية الواجب تحقيقها. أو بعبارة أخرى، هنالك دوافع اقتصادية مالية ربحية تدفع أصحاب المشاريع إلى توثيق عقودهم بصفة قانونية قصد تحقيق الأرباح من جهة بكل التأمينات القانونية ومن جهة أخرى التمتع بوثيقة قانونية تشهد عن مدى تعلقهم بها.

فهي مجموعة من الإجراءات (التي سنذكرها في المبحث اللاحق) التي يقوم بها المتعاقدين على طوابق قانونية ولا يمكن تجاوزها، ومن أهم أهداف المصلحة المتعاقدة هي تنفيذ المشروع في أسرع وقت وبأقل تكلفة مع متعاقد يحترم كل النصوص التنظيمية المتعلقة بالمشروع قصد تحقيق الأرباح وبالتالي من أهم دوافع إبرام العقود والصفقات التي تعتبر نصوصاً قانونية، يجب السعي إلى تحقيق الأرباح وتنفيذ المشاريع التي تضمن مرودية معينة اعتماداً عن النصوص القانونية التي تنظمها.

خاتمة

حاولنا في هذه الدراسة أن نضع مختلف أنواع النصوص على محك نظرية نحالها نظرية قدمت للمترجم وسائل عمل أسهمت في التقليل من الهوة بين نص الانطلاق ونص الوصول، وهذه النظرية هي نظرية أنواع النصوص، التي سعت جاهدة لغة الاختصاص، وخصوصيات الأسلوب وكذا شروط الترجمة المتخصصة، الأمر الذي جعلنا نسلك منهجية ركزت على أهمية نظرية أنواع النصوص بالنسبة للترجمة، ، والترجمة المتخصصة عامة، وأن الإلمام بالمعرفة النصية للترجمة يعتمد على معطيات نظرية أنواع النصوص وكل ما جاءت به من مستجدات والتي تنعكس بصفة جلية على النصوص المترجمة.

ولأننا نعتبر أساليب وخصائص النصوص المختلفة المتنوعة، من أبرز تجليات الإشكال في الترجمة

بل في العملية الترجمية كلها، ونظرا للأهمية البالغة التي يكتسبها المترجم الخدق، في تعامله مع النصوص على اختلاف توجهاتها ومصادرها، سواء على المستوى المحلي بصفة خاصة أو على المستوى الدولي بشكله العام، فإن المترجم المتمرس يجد نفسه أمام معضلة حقيقية، سرعان ما يتغلب عليها، وتمثل في محاولته الجادة تطبيق نظريات علمية، تخص أنواع النصوص، والتي تتمظهر بشكل شبه معقد، وهي على جانب كبير من الدقة، الأمر الذي يضعه أما خيارين:

إما ترجمة المعنى بتفصيلاته الدلالية المضمنة، وإما الترجمة بأساليب مقابلة في اللغة المترجم إليها، خاصة إذا علمنا أن المصطلحات المتعددة، أدبية وعلمية، قد تكون مختارة بدقة، وقد يكون صاحبها على درجة عالية من الدقة والموضوعية، ولأن لكل مصطلح دلالة وغاية من استعماله، فإننا نجد في هذا الإطار بعض الدراسات التي جاءت لتساهم في محاولة الوقوف على معضلة التعاطي مع النصوص بنظريات حديثة ترتبط باللسانيات، وباللغة، الأمر الذي جعلنا نحاول من خلالها الوقوف على خيارات المترجم إزاء مواجهة الإشكال المطروح في هذا البحث، إضافة إلى مسألة الأمانة في ترجمة النصوص المختلفة من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية والعكس، ومن

الإنجليزية إلى العربية، وذلك من خلال تحليل وتقييم مناهج وأساليب الترجمة في مدونة بحثنا على المستويين الدلالي والأسلوبي أي ضمن ثنائية ترجمة المعنى والحرفية.

كما وأنا حاولنا متابعة بعض الترجمات، ومن ثم تحليل أساليب المترجمين لبعض النصوص الأدبية والإشهارية، والتي شملت العديد من المستويات أولها المستوى اللفظي وثانيها المستوى التركيبي وآخرها المستوى الأسلوبي البلاغي، كما أننا اخترنا هذا التقسيم لعلنا بأهميته، ومكانة كل منها خاصة في سياق التعامل مع النصوص المترجمة، حيث نجد المترجم يعتني في بعض الحالات بالدرجة الأولى بفهم جل الدقائق الدلالية والتي عادة ما تتوزع على بعض هذه المستويات التي تخص العديد من المجالات المعرفية، وكذا الترجمة، فمن هذا المنطلق تبين لنا مدى وفاء المترجم وحرصه على نقل غالبية هذه الدقائق الدلالية وكذا المعاني المقصودة من طرف الأديب، تجاه جمهور متلقيه وذلك من خلال دراسة أو تحليل أساليبه وتقنياته في ترجمة النصوص بحسب النظريات الجديدة..

وهي على النحو التالي: تبين لنا على مستوى الألفاظ اختيار بعض المترجمين لنهج الترجمة بالمقابل الاعتيادي وبعضها باستعمال الألفاظ المعروفة والمعمولة بها عادة، كما أن بعضهم اختار الترجمة بإيجاد المكافئ الأقرب في الحالات التي تخرج فيها الألفاظ عن معانيها الحقيقية إلى معان ثانوية، ومن هذا المنطلق نرى وفاء المترجم بتبليغ ونقل مقاصد النص المصدر إلى متلقيه، وهذه تكون عادة في الترجمة باللغة الفرنسية.

ولأن المترجم الناجح الفطن قد يوهم قارئه بأن الأمر لا يتعلق بنص مترجم، بقدر ما هو نص أصلي، وإن كنا في هذا البحث، نحث على الإبداع أكثر، لكنه ينبغي أن يبقى محدودا في إطار إبداع كاتب النص الأصلي حتى لا نتوهم بحصولنا على نص جديد بأفكار بعيدة عن أفكار مؤلف النص الأصلي، وعليه يجب احترام أسلوب الكاتب الأصلي من خلال عملية النقل المباشر، وذلك حتى يعكس أسلوبه الشخصي وأفكاره لأن نقل الأفكار والروح الجمالية للنص الأصلي، تقع ضمن جل مقاصد ومعاني التراكيب المتنوعة.

وتحليلية مفصلة وفهم النص في سياقه الزماني والمكاني، ودراسة الشخصيات المذكورة فيه، كما رأينا مع موسم الهجرة إلى الشمال، للطبيب صالح، وذلك لاستيعاب الأدوار التي تضطلع بها واستشفاف روح النص جديد بأفكار بعيدة عن أفكار مؤلف النص الأصلي.

وإنه من الأهمية بمكان إعادة قراءة النص المترجم من طرف مترجم آخر حتى ينبّه المترجم إلى وجود بعض النقائص أو الهفوات التي قد يغفل عن اكتشافها لشدة انغماسه في نصه الأصلي، إذ مهما سعى جاهدا إلى الابتعاد عنه فإنه يجد نفسه مرتبطا به، من باب الموضوعية والأمانة والوفاء، والواجب يحتم علينا ألا ننكر أهمية الترجمة ودورها الأساسي في تثقيفنا مهما زعمنا أنها غير مفيدة.

وفي الختام نخلص إلى أن الترجمة مهما بلغت قدرا كبيرا من الدقة، إلا أنها لا يمكن أن تؤدي إلى إحداث تكافؤ تام بينها وبين النص الأصلي سواء كان أدبيا أو إشهاريا، أو علميا، ومع ذلك تسمح ثنائية المقابل الشكلي وترجمة المعنى بتوجيه المترجم إلى ترجمة على قدر كبير من الدقة باعتبار أن الترجمة التأويلية هي ترجمة إيضاحية بالدرجة الأولى ونظرا لأهمية النصوص ودقتها، كونها تعبر عن مشاعر إنسانية خالدة، كان لزاما على المترجمين التحلي بقدر كبير بروح الاجتهاد والمثابرة في هذا المجال، الأمر الذي جعل منه ميدانا خصبا للدراسة والتحليل ودقة المتابعة.

المصادر

والمراجع

قائمة المراجع والمصادر بالعربية :

- 1- إبراهيم الخليل ، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1.
- 2- ابن سينا الشفاء من العبارة تحقيق: محمد الحضري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة 1970
- 3- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر (بيروت)، ط 1 (1997)
- 4- أحمد الأخضر الصبيحي ،مدخل إلى علم النص ،2008.
- 5- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مبحث ضوئي، تركيبي و دلالي، ط1. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- 6- أحمد عفيفي ،نحو النص ،مكتبة زهراء الشرق ،2001.
- 7- بحيري سعيد،علم لغة النص، لونجمان، القاهرة، ط1، 1997.
- 8- بحيري سعيد حسن ، علم لغة النص، الشركة العالمية المصرية للنص لونجمان ،مصر ط1، 1991.
- 9- بن ظافر الشهري عبد الهادي ، إستراتيجية الخطاب ،دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2004.
- 10- تشو مسكي: اللغة و مشكلات المعرفة. ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني. دار توبقال. المغرب 1992
- 11- جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1998.
- 12- ج.س. كاتفورد: نظرية لغوية في الترجمة، ترجمة: د. خليفة الغرابي ود. محيي الدين حميدي، مراجعة: د. عيسى العاكوب، معهد الإنماء العربي (بيروت)، ط 1 (1991).
- 13- . جان ليونز: نظرية تشو مسكي اللغوية: ترجمة: حلمي خليل. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. 1995.
- 14- جماعة من الباحثين: الترجمة و التأويل ، أعمال المائدة المستديرة الثالثة ، منشورات كلية الآداب (الرباط)، سلسلة ندوات و مناظرات رقم : 47 ، 1995.
- 15- حسن قبيسي: كلود ليفي سترواس: مقالات في الإناسة. دار التنوير. بيروت 1983

- 16- رمزي منير بعلباكي: معجم من علم اللغوية إنجليزي عربي مع 14 مسردا عربيا. بيروت. لبنان. دار العلم للملايين، ط 1 يونيو 1990.
- 17- روبرت هولاب، نظرية التلقي، مقدمة نقدية. ترجمة عز الدين إسماعيل.
- 18- زيز الحاكم: ترجمة النص الأدبي من المساكنة إلى الانفلات، العلم الثقافي، 1997.
- 19- زيز الحاكم: ترجمة النص الأدبي من المساكنة إلى الانفلات، العالم الثقافي، ط. 1997.
- 20- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب.
- 21- سليم بابا عمر، اللسانيات العامة الميسرة. دار أنوار الجزائر 1990.
- 22- سعد مصلوح ، العربية من نحو الجملة إلى النص ، جامعة الكويت كلية الآداب ، 1989، 1990.
- 23- سعيد علوش: جمالية الترجمة الأدبية ، مجلة "علامات في النقد"، جُدد، مج 12، ع. 45.
- 24- سعيد حسن البصري، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع.
- 25- صالح بلعيد: التراكيب النحوية و سياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- 26- شوقي محمد العاملي ، المقال في الأدب عبد الرحمان شكري ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1989.
- 27- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، الكويت، أغسطس 1992.
- 28- صالح ياسين: اللغة و الفكر: بعض التأملات في موضوعات مجلة مجلة النهج. العدد 11، صيف. 1997م.
- 29- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك.
- 30- عبد العزيز الغنام، مدخل في الصحافة ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1997.
- 31- عبد العزيز شرف ، الأساليب الفنية في التحرير الصحفي ، دار قباء، القاهرة، 2000.

- 32- عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي، سلسلة كتابك رقم 135، دار المعارف، القاهرة، 1977.
- 33- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، دار الأديب وهران.
- 34- عبد اللطيف حمزة، المدخل في فن التحرير الصحفي، مكتبة الإسكندرية.
- 35- عبد المجيد شكري، فن الترجمة الإعلامية، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة.
- 36- عبد المالك مرتاض، النص من أين وإلى أين؟.
- عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي، نظرية بناء الكلمة و بناء الجملة. ط 1. دار توبقال. المغرب. 1990م.
- 37- الغزالي، معيار العلم، بيروت بدون طبعة.
- 38- فارديناندي دي سويسير، دروس في الألسنة العامة (مبادئ عامة). ترجمة صالح القرمادي و احمد شاوش. ط1. الدار المعرفية للكتاب تونس 1985.
- 39- ليندة قياس، لسانيات النص، مكتبة الآداب، القاهرة.
- 40- لطيف زيتوني - حركة الترجمة في عصر النهضة دار النهار مصر.
- 41- لطيف زيتوني - حركة الترجمة في عصر النهضة دار النهار مصر ص122.
- 42- مازن الوعر: دراسات لسنية تطبيقية. دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1. 1989م.
- 43- مارك أوتن، سيميولوجيا القراءة، ترجمة طاهر روانية، مجلة تحليلات الحداثة.
- 44- محمد مراد: المسار الجديد في علم اللغة العام (دراسات لغوية حديثة). ط 1. مطبعة الكواكب دمشق. 1986.
- 45- محمد نخلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية. ط 1 دار النهضة العربية للطباعة و النشر. مصر. 1988م.
- 46- محمد عبد المطلب البلاغة و الأسلوبية. ط1. دار نوبار للطباعة. القاهرة. 1994م.
- 47- محمد علي الخولي: معجم اللغة النظري إنجليزي-عربي مع مسردا عربي-إنجليزي. بيروت. مكتبة لبنان. ط2. 1991.

- 48- محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات و توحيدها و تنميطها (الميدان العربي)، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط 1 1986.
- 49- محمد عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب العربية والغربية وتراثنا النقدي.
- 50- مختار محمصاجي، لسانيات النصوص ما هي؟ دفاتر الترجمة.
- 51- منذر عياشي: النظرية التوليدية ومناهج البحث عند تشو مسكي. مجلة الفكر العربي المعاصر. ع 40 مركز الإنماء القومي. بيروت. 1986.
- 52- نصرالدين لعياضي، اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007.
- 53- نهاد الموسي: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظرية اللغوية الحديثة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الأردن.
- 54- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة، مكة المكرمة ط 1.

المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب ، الجزء السادس ، دار المعارف.
- مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ، مصر، ط 2004 ، 4 مكتبة الشروق الدولية .

المواقع الالكترونية :

- سعيدة كحيل ، نظريات الترجمة ، الموقع www.ta5atub.com

المصادر والمراجع بالأجنبية:

- Adam J.M, / Elements de Linguistique Textuelle, Paris, 1990.
- Adam M, Linguistique Textuelle, Nathan, 2004.
- Basil Hatim, Ian Mason, Discourse and Translators, Longman, 1990.

- Basil Hatim, Ian Mason, The Translator as a Communicator, Routledge, 1st publication 1997.
- Claude-Lévi-Strauss: Anthropologie Structurale-Agora .Plon.1958
- David Crystal: Introducing Linguistics; Penguin English Linguistics; Corgi Ltd, England.1992.
- Delisle J. L'analyse du Discours comme Méthode de Traduction, Presse Universitaires d'Ottawa, 1980.
- Encyclopedia Universalis [Théorie du texte], France 1998. P371.
- George Mounin : Chefs pour la Linguistique Générale, Librairie Seghers. Paris 1971
- Hartman & Stork, Dictionary of language and linguistics, ed AMSTERDAM, 1972
- Imbertot Eco. La structure absente. P64.
- J.Claude. Margot : traduire sans trahir (la théorie de la traduction et son application aux textes bibliques). Ed. L'Age d'homme.
- J.Dubois et Autres, Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse Paris, 1973
- Noam Chomsky : Structures Syntactiques. La Haye, Paris, 1969.
- P.Theveau, J.Lecomte .Théorie de l'explication littéraire par l'exemple.
- R.P.Robert: Teaching translation theory, World Congress Of Translators, Vienna 85.
- Roger T.Bell: Translation and translating: Theory and practice, Longman Group UK Limited, England, ed 1991.
- www.universalis.fr/ encyclopédie/ Prolégomènes-à-une-Théorie-du langage/ Christine Durieux vers une théorie décisionnelle de la traduction, vol VII-N°03. <http://lisa.revues.org>.
- Robert Alain De Beaugrand ; introduction to Text Linguistics ,XIV Congress of Linguists ,Berlin1987; <http://www.beaugrand.com>

الفهرس

الفهرس

إهداء

الشكر

أز	مقدمة.....
9	مدخل

الفصل الأول تطور الدراسات اللسانية و الترجمة

23	1. من اللسانيات إلى الترجمة.....
24	1. مدرسة جنيف (Ecole de Geneve).....
24	1.1.1 - تعاقبي/آني (Diachronique/ Synchronique).....
24	2.1.1 - لغة/ كلام (Langue/ Parole).....
25	النسقي و الاستبدالي (Paradigmatique et Syntagmatique).....
25	3.1.1 - دال/ مدلول (Signifié/Signifiant) اعتبارية العلامة.....
27	2. الاتجاهات اللسانية المعاصرة و مناهجها.....
27	1.2 الاتجاه البنيوي.....
28	2.2 الاتجاه السلوكي.....
30	3.2 الاتجاه التوزيعي.....
36	4.2 الاتجاه التوليدي والتحويلي (Grammaire Générative).....
39	1.4.2 معالم النظرية التوليدية /التحويلية.....
40	2.4.2 مكونات النظرية التوليدية/التحويلية.....
40	المكون التركيبي (Composant Syntaxique).....
41	مكون الأساس.....
41	• العامل التحويلي.....
41	• العامل الفونولوجي.....
42	• العامل الدلالي.....

44	3. الكفاءة اللغوية و الأداء اللغوي Compétence/Performance
47	4. لسانيات النص
48	1.4 الفرق بين الخطاب وبين النص.....
49	2.4 التماسك النصي

الفصل الثاني:

مفاهيم الترجمة وأهم النظريات الترجمة

50	1- الترجمة و نظرياتها
50	1-1 الإطار النظري للترجمة.....
50	1-1-1 نظرية الترجمة القواعدية
51	2-1-1 نظرية فيديروف.....
52	أ-المشكلات المعجمية: lexical d'ordre Difficultés
52	ب- المشكلات النصية: textuelles Difficultés
52	3-1-1 نظرية إيجان نيدا
54	4-1-1 النظرية التفسيرية
55	5-1-1 نظرية أنواع النصوص (The Text Typological Model)
57	2- مناهج الترجمة
58	1-2 الترجمة من منظور الاختصاص
59	2-2 منهج فينس التعليمي: (Wilss)
59	3-2 منهج كايزر (Keiser's Syllabus)
60	4-2 منهج كوفيني (Coveny's Modem)
60	5-2 منهج هورن (Horn's Model)
61	6-2 منهج كاترينا رايس (Katerina.Reiss's Model)
63	1- كاتارينا رايس ونظرية أنواع النصوص
67	2- الترجمة: وخصوصياتها الجمالية.....

الفصل الثالث

فحص الكفاءة الترجمية في ظل أنواع النصوص

76	1.2- آراء المنظرين حول أنواع النصوص و أنواع الترجمة.....
87	2.2- مناهج الترجمة في ظل إشكالية اختلاف اللغات.....
90	2.3 مرتكزات الترجمة و قواعدها
91	أولا الترجمة الممنهجة و التخطيط
92	ثانيا الإستيعاب الكامل للمضامين
93	ثالثا خصوصية المترجم و مؤهلاته
94	رابعا أسلوب الترجمة
95	خامسا الإبداع و دقة الترجمة
97	سادسا تعادل زمن الأفعال في الترجمة
98	سابعاً الألفاظ و التراكيب

الفصل الرابع : نماذج تطبيقية.

101	1- العملية الترجمية من حيث الأنساق.....
107	2-فحص الكفاءة الترجمية في ضوء النصوص.....
107	-المستوى الصرفي-(Morphology)
108	- المستوى التركيبي النحوي (Syntax).....
110	- المستوى الدلالي (Semantics)
112	3. أنواع النصوص والترجمة.....

112	1.3 ترجمة النص الأدبي على محك نظرية أنواع النصوص.....
118	أ- في مستوى النص.....
118	توسيع النص أو اختصار النص.....
121	ب- في المستوى الأسلوبي.....
124	2.3 ترجمة المقال الصحفي في ضوء نظرية أنواع النصوص.....
126	1.2.3 لغة المقال الصحفي.....
128	2.2.3 بنية المقال الصحفي.....
129	العنوان.....
130	- أنواع العناوين
131	3.3 ترجمة النص الإشهاري و نظرية أنواع النصوص.....
131	1.3.3 مفهوم الترجمة الاشهارية.....
133	2.3.3 إمكانية الترجمة الإشهارية
135	3.3.3 أهمية الترجمة الإشهارية
136	4.3.3 ترجمة النص الإشهاري و تحليله.....
138	4.3- ترجمة النص القانوني و نظرية أنواع النصوص.....
141	1.4.3- تصنيفات النصوص القانونية آليات ترجمتها.....
153	الخاتمة.....
156	قائمة المصادر و المراجع.....
164	فهرس الموضوعات.....

الملخص

تناول بحثنا دراسة النصوص المختلفة، من منظور نظرية أنواع النصوص، فطرأنا إلى خصائص هذه النصوص المتنوعة المختلفة، من حيث لغة الاختصاص، وخصوصيات الأسلوب وكذا شروط الترجمة المتخصصة. الموضوع يركز أساسا على أهمية نظرية أنواع النصوص بالنسبة للترجمة فالإلمام بالمعرفة النصية للترجمة يعتمد على معطيات نظرية أنواع النصوص وكل ما جاءت به من مستجدات والتي تنعكس بصفة جلية على النصوص المترجمة. ولأننا نعتبر أساليب و خصائص النصوص المختلفة المتنوعة، من أبرز تجليات الإشكال في الترجمة بل في العملية الترجمية كلها، المترجم المتمرس في تعامله مع النصوص يجد نفسه أمام خيارين:- إما ترجمة المعنى، وإما الترجمة بأساليب مقابلة في اللغة المترجم إليها. و في الختام نخلص إلى أن الترجمة مهما بلغت قدرا كبيرا من الدقة، إلا أنها لا يمكن أن تؤدي إلى إحداث تكافؤ تام بينها وبين النص الأصلي سواء كان أدبيا أو إشهاريا، أو علميا، ومع ذلك تسمح ثنائية المقابل الشكلي و ترجمة المعنى بتوجيهها لمترجم إلى ترجمة على قدر كبير من الدقة باعتبار أن الترجمة التأويلية هي ترجمة إيضاحية بالدرجة الأولى و نظرا لأهمية النصوص و دقتها.

الكلمات مفتاحية:

الترجمة؛ الترجمة المتخصصة؛ المترجمين؛ المقابل الشكلي؛ النظريات الترجمية؛ التأويل؛ النصوص؛ مناهج الترجمة؛ المعنى؛ اللسانيات.

نوقشت يوم 29 جوان 2016